الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 81 - SEVENTH YEAR - DECEMBER. 1983.

(٨١) ـ ربيع الأول ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 81 - SEVENTH YEAR - DECEMBER. 1983. — العدد (٨١) ـ ربيع الأول ١٤٠٤هـ ـ السنة السابعة ـ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣م

رئيس التحرير

علـــوي طه الصـــافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To: — المراسلات :

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
Riyadh-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027-TELEX 202600 DRFATH Sj

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفـــراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠

في هذا العدد

من كتاب العدد



د. فاطمة هدى نجا

★ من مواليد مدينة طرابلس ـ لبنان عام ١٩٤٠ م.

★ دكتوراه في التاريخ ـ الجامعة اللبنانية.

★ تعمل حالياً أستاذة متفرغة بقسم التاريخ ـ كلية آداب الجامعة اللبنانية ـ فرع طرابلس، إلى جانب تدريس مادة تاريخ الحضارات بكلية الهندسة.



علي أحمد عمر عسيري

★ من مواليد مدينة «أبها» في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٢ هـ.

★ بكالوريوس لغة عربية ـ دبلوم الكليات المتوسطة.

★ عمل مدرساً في المرحلة الابتدائية.

★ يعمل حالياً مدرساً بالثانوية النموذجية في أبها.

★ عضو مؤسس في نادي أبها الأدبي..

★ له كتاب مطبوع بعنوان «أبها في التاريخ والأدب»، وله ديوان شعر مخطوط بعنوان «العاشق والسراب».

★ له مشاركات أدبية، وبحوث، ولقاءات أدبية.

د. جمال الدين سيد محمد علي

★ من مواليد القاهرة ـ مصر عام ١٩٤٢ م.

★ دكتوراه في الأدب اليوغسلافي.

★ يجيد الإنجليزية،



والصربوكرواتية (اليوغسلافية)، والفرنسية.

★ اشترك في عدد من المؤتمرات.

★ له عدد من الدراسات والبحوث نشرت في المجلات العربية.. وله تحت الطبع كتابان أحدهما بعنوان «الأدب اليوغسلافي المعاصر»، والآخر بعنوان «مختارات من الشعر المقدوني المعاصر».

★ يعمل حالياً محرراً ومترجماً

●● مدينة أبها من أجمل مدن المملكة العربية السعودية ، تقع على سفوح جبال تتخللها الأودية .

تتكون من تلال مترامية تكثر فيها الشعاب والأودية والمنخفضات . يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ستة آلاف قدم .. فهي إذن أعلى مدينة في المملكة ، وهي أيضاً أشبه بحديقة غناء .. تكثر فيها البساتين وحقول الحبوب . طالع ص (٢٠) .





●● أحمد السباعي .. اسم قد لا يكون معروفاً لدى القارئ العربي ، لكنه بالنسبة للقارئ في المملكة العربية السعودية علم من أعلام الفكر ، والتاريخ ، والأدب ، والصحافة .. ولو توافر لعطائه وعطاءات غيره من أدباء المملكة الانتشار الذي توافر لعطاءات بعض أدباء ومفكري ومؤرخي الأقطار العربية .. لكان اسمه اليوم في قائمة الرواد العرب . طالع ص (٥١) .

●● وزن السفينة الفضائية ، البالغ الألف طن ، قادر على الانطلاق في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء !

عما قريب .. ربما خلال ثلاثين أو عشرين عاماً ، فالتطور العلمي سريع ، وسريع جداً ، وبالذات فيما يختص بالليزر .. ذلك الشعاع الغريب ، الذي ولد في المخيلة التنبؤية لكتاب الخيال العلمي .. قبل أن يصبح حقيقة علمية معترف بها . طالع ص (١٠٦) .



●● من أشهر الخانات الشاخصة اليوم في بغداد ، هو «خان مرجان» ، الذي يعتبر من أجمل الخانات العراقية ، حيث تتجلى فيه روعة عمارته وجمال زخارفه . وعلى الرغم من سعة وارتفاع هذا الخان ، إلا أنه سقف بطريقة معمارية فائقة ، تدل على المقدرة الفنية . طالع ص (١٢٤) .



●● لا تأتي أهمية كتاب «غزو العقول» ومساهمته في ربط الغزو الثقافي الأمريكي المعاصر بالأيديولوجية الثقافية التي نادى بها زعماء ومفكرو الأمة الأمريكية الأوائل .. فحسب ، وإنما تتميز مساهمته في سبل عمل الأجهزة الأمريكية واستراتيجيتها اختفاء وتستراً من الأجهزة الأمريكية والعسكرية المنتشرة في كثير من مجتمعات العالم الحديث ، والعالم الثالث على الخصوص . طالع ص (٨٣) .

أول للغة الصربوكرواتية بالهيئة العامة للاستعلامات .

■■

د . سعيد يس عامر



★ من مواليد القاهرة ــ مصر عام ١٩٤٣م .

★ دكتوراه في الإدارة ــ ماجستير في إدارة الأعمال ــ دراسات ماجستير في علم الكومبيوتر ــ ماجستير في الدراسات الإسلامية .

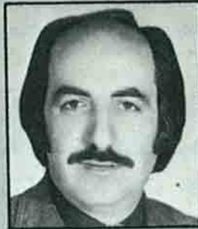
★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل خبيراً استشارياً في المجالات الإدارية والمالية ، ونائباً لرئيس الشؤون المالية والإدارية ، فمديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية ، ثم مراقباً عاماً للشؤون المالية والإدارية ، فرئيساً لشركة «وايد سرفيس للخدمات الاستشارية» بولاية نيوجرسي في أمريكا .

★ يعمل حالياً خبيراً استشارياً بالهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس بالرياض .

★ شارك في عدد من المؤتمرات .

★ له ثلاثة كتب مطبوعة باللغة الإنجليزية ، وكتابات بالعربية في مجال تخصصه ، وله ثلاثة كتب تحت الطبع عن الموارد البشرية والإنتاجية ومحاسبة الموارد البشرية .



سمير عبده

★ من مواليد دمشق ــ سورية عام ١٩٤٠م .

★ إجازة الفلسفة ــ جامعة دمشق .

★ يجيد الإنجليزية ، والإلمام بالألمانية والفرنسية .

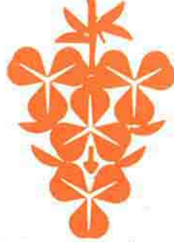
★ عمل عضواً بهيئة تحرير مجلة «العلوم اللبنانية» ، ثم رئيساً لتحرير مجلة البطريركية التي تهتم بتاريخ سورية .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة إلى جانب مجموعة من الدراسات والبحوث التي ينشرها في مختلف المجلات العربية .

★ شارك في عدد من المؤتمرات العلمية والاقتصادية .

★ يعمل حالياً محرراً لملف سورية في Quarterly Economic Review الصادرة عن مؤسسة الايكونومست الإنجليزية ، كما يعمل باحثاً اقتصادياً غير متفرغ في جريدة «تشرين» في دمشق .

■■



عناقيد

مجمع علمي لغوي .. في المملكة

صدرت الموافقة السامية بإنشاء «مجمع علمي لغوي» في المملكة العربية السعودية .. وتأتي هذه الموافقة بمناسبة الاحتفال الأول للفائزين بجائزة الدولة التقديرية .. وهو تزامن أو توقيت له دلالته الحضارية والفكرية.

ولو سألنا أنفسنا : ماذا يعني إنشاء مجمع علمي لغوي في هذه الفترة من تاريخ المملكة ، لوجدنا أنفسنا أمام مجموعة من العناصر أو الرموز أو التوجهات للنهضة التي تعيشها مملكة النور والأمان والأمن .. وللدور الذي تنهض به هذه البلاد عربياً وإسلامياً وإنسانياً.

لقد استطاعت المملكة أن تبني نفسها في فترة هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع .. وتحول المجتمع الساكن إلى خلية نحل ، وورشة عمل ليل نهار .. وفي الوقت الذي كانت الأيدي والآلات تشيد المباني ، وتمد الطرق .. كانت العقول والنفوس تسيِّر دفة العلم والتعليم في مواجهة شجاعة لكل المعوقات .. فانتشرت المدارس بالآلاف في المدن والقرى .. والمعاهد العلمية والتعليمية بالمئات .. وازداد عدد الجامعات والكليات بحيث أصبح في المملكة اليوم سبع جامعات وعشرات الكليات .. إلى جانب البعثات إلى الخارج.

لقد وظفت المملكة طاقاتها وثرواتها في عدد من خطط التنمية الشجاعة .. نفذتها بكل قدرة متجاوزة عوامل الخوف والتردد ، متخطية كل المخاوف في فترة قصيرة تثير الدهشة .. فترة لم تغيِّر فيها معالم التخلف فحسب ، بل اقتحمت خلالها عالم الصناعة والتصنيع (في مشروعي الجبيل وينبع) العملاقين لتوسيع قاعدة الدخل العام المعتمدة اعتماداً كلياً على دخل النفط تطلعاً لإيجاد مجتمع الكفاية والاكتفاء والرخاء .. ولأن النفط مصدر من مصادر الدخل القابل للنضوب ، فقد سعت المملكة إلى البحث عن البدائل من خلال التنمية الزراعية ، والبحث الجاد عن مصادر أخرى للدخل العام كالمعادن الأخرى من ذهب ونحاس .. وغيرهما ، لمواجهة التحديات القادمة ، وتوفير الحياة الكريمة للمواطن.

ولإيمان المملكة أن أية نهضة تقوم على الجانب المادي في غياب الجانب الفكري هي نهضة عرجاء .. نهضة تفتقر إلى أبرز ما يميز الأمم والشعوب المتمثل في الجانب الفكري والإنساني .. لإيمان المملكة بهذا ، بادرت بإنشاء «جائزة الدولة التقديرية» تحت رعاية الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، لتكريم الرواد الأدباء والمفكرين الذين أضاءوا طريق هذه النهضة بمعطياتهم الفكرية والفنية .. فجاء الاحتفال الأول لهذه الجائزة تظاهرة حضارية شهدها مفكرو العرب وأدباؤهم على اختلاف أقطارهم .. وكان مهرجاناً للعلم والفكر توجته الإرادة السامية بإعلان إنشاء المجمع اللغوي السعودي .. فجاء هذا الإعلان بمثابة الحدث الكبير الذي يتناسب وهذه المناسبة الكبيرة.

وإنشاء مجمع علمي لغوي في المملكة ، في هذه الفترة ، يعني أشياء كثيرة.

●● فهو يعني أولا أن نهضة المملكة المعاصرة تستكمل عناصرها المادية والفكرية.

●● وهو يعني ثانياً أن المملكة تعيد لهذه الأرض مكانتها التاريخية العربية والإسلامية .. ودورها الحضاري القيادي.

●● وهو يعني ثالثاً أن في المملكة ريادات فكرية وعلمية قادرة على الإسهام الحضاري والفكري المعاصرين.

●● وهو يعني رابعاً تقعيد وتأصيل معطيات الماضي والحاضر لبناء مستقبل حافل بالإبداع والابتكار علمياً وفكرياً.

●● وهو يعني خامساً وسادساً أكثر من ذلك أشياء كثيرة يضيق مجال هذه السطور بتعدادها بله التوسع في شرح أبعادها ومراميها وأهدافها وغاياتها السامية.

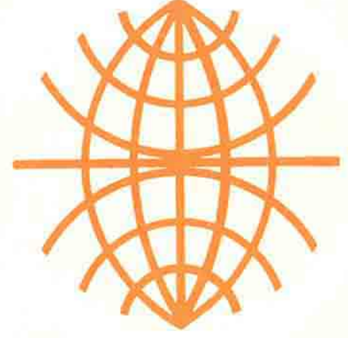
ويأتي المجمع العلمي اللغوي تكريماً جديداً ، ورمزاً من رموز النهضة المتوازنة لمملكة النور ليس في داخلها فحسب ، بل يمتد إلى كل الديار العربية والإسلامية والإنسانية .. فهو بلا شك سوف يضم الريادات الفكرية البناءة من كل أقطار العرب والمسلمين ، وغيرها من أقطار الشعوب التي عرفت قيمة حضارتنا العربية والإسلامية ومعطياتها في تاريخ البشرية.

وقد كان لجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها المتعددة ، دورها في تكريم الرواد في هذه الأقطار ، فقد تجاوزت أهدافها محدودية المكان ، لتصل إلى ديار العرب والمسلمين وغيرها من ديار العاملين في خدمة الإنسانية ، مؤكدة بهذا أن هذه الأرض المعطاء كانت وستظل مشعلاً للهداية والإيمان والعلم ، ومسكناً آمناً للعلم والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

وهذا كله ليس بكثير أو جديد على أرض انطلقت منها خاتمة الرسالات السماوية الداعية إلى تكريم العلم والعلماء .. رسالة العلم والإيمان والحضارة ، حضارة الإنتاج والتصدير ، لا مدنية الاستهلاك والاستيراد .. والله الموفق .. وهو من وراء القصد.

رئيس التحرير

الحركة الثقافية



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **



- مجمع علمي لغوي في السعودية .
- إنشاء متحف سيناء .
- معرض للكمبيوتر في الإمارات .
- الفائزون بجائزة معرض الكتاب الثامن في الكويت .
- وفاة المفكر الجزائري «أحمد توفيق المدني» .
- كشف أثري في السودان .



- معرض للفنون والتصاميم الإسلامية .
- إقامة مركز للفكر العربي في لندن .
- تحويل منفى (عرابي) في سريلانكا إلى متحف .
- صدور صحيفة ألمانية ـ تركية جديدة .
- ترجمة مجموعة قصصية عربية إلى الإنجليزية .



السعودية :

أول مجمع علمي لغوي

بهدف المحافظة على لغة القرآن، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، ومسايرة لحاجات العصر وتوفير المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية، وإحياء التراث القديم، **فقد أعلن عن تأسيس أول مجمع علمي لغوي في المملكة العربية السعودية**، وذلك أثناء إقامة أول احتفال لتسلم الفائزين جوائز الدولة التقديرية على شرف **جلالة الملك فهد بن عبد العزيز**.

ندوة عن المكتبات المدرسية

عقدت في الرياض ندوة عن «المكتبات المدرسية» نظمها المركز العربي للبحوث التربوية بالكويت بالتعاون مع اللجنة الوطنية السعودية للتربية والثقافة والعلوم وقد استضافت الندوة وزارة المعارف، وحضرها مسؤولو المكتبات المدرسية في دول الخليج العربي الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج، وقد نوقشت فيها عدة دراسات وبحوث منها:

★ الاتجاهات الحديثة في مجال المكتبات المدرسية.

★ واقع المكتبات المدرسية في أقطار الخليج العربي وسبل تطويرها.

★ دور المكتبة في المنهج المدرسي.

مسابقة أدبية

بهدف تحريك الجانب الثقافي لدى الشباب فقد أعلن المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الغربية عن مسابقة أدبية للجنسين من الشباب السعودي، تشتمل مواضيعها على الشعر الموزون والموّال الأدبي والقصة القصيرة وذلك ضمن شروط معينة:

★ أن يكون المشترك أو المشتركة سعودي الجنسية.

★ أن لا يزيد عمره عن ٢٥ عاماً.

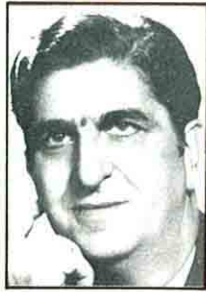
هذا وسوف يشكل المكتب لجنة لفحص الإنتاج المقدم للمسابقة ومن ثم تحديد الجوائز، وسيكون آخر موعد للاشتراك في المسابقة نهاية هذا الشهر.



★ د. محمد بن سعد بن حسين ★



★ د. نعمات أحمد فؤاد ★



★ زكي فنصل ★

أبو زيد في مجمع الفقه

تم تعيين فضيلة وكيل وزارة العدل الدكتور بكر عبد الله أبو زيد ممثلاً للمملكة العربية السعودية في مجمع الفقه الإسلامي.

ومما يذكر أن هذا المجمع قد جاء تأسيسه بناءً على حاجة ملحة رأتها حكومة المملكة العربية السعودية، وذلك بعد انعقاد **مؤتمر الفقه الإسلامي الثالث** في مكة المكرمة، ويعنى هذا المجمع بالفقه الإسلامي ونشره، ودراسة قضاياه المستجدة، وغير ذلك من الأمور الفقهية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدكتور أبو زيد له عدة دراسات إسلامية في مجال الفقه وطبع منها عشرة مؤلفات، منها كتابه: «الحدود والتعزيرات عند ابن القيم ــ دراسة وموازنة».

كتب جديدة

● **«ضفاف الذكريات»، ديوان شعر** للشاعر **مجدي نضر خاشقجي**، صدر عن **نادي المدينة المنورة الأدبي**.

● **«الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية»، تأليف الدكتور قاسم السامرائي**، صدر ضمن سلسلة **(مذاهب وتيارات)** التي تصدر عن **دار الرفاعي**.

● **«التبرج والحجاب في ضوء الكتاب والسنّة»، تأليف زهرة أحمد الألمعي**، صدر عن **نادي أبها الأدبي** ضمن سلسلة **«ألوان ثقافية»**.

● **«تفسير سورة الواقعة»، تأليف المرحوم الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة**، صدر ضمن سلسلة **«صور من الإعجاز البياني وإحكام المعاني»**.

● **«الحب الكبير»، قصة** طويلة تأليف **حسن ناصر الجرشي**، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي**.

● **«كتب وآراء»، تأليف الدكتور محمد بن سعد بن حسين وهو الكتاب الثاني**، صدر **في الرياض**.

● **«الإطار القانوني والسياسي لمجلس التعاون الخليجي»، تأليف الدكتور عبد الله الأشعل**، صدر **في الرياض**.

● **«دراسة نحوية في علاقة بعض المسائل الخلافية بكتاب سيبويه»، تأليف الدكتور عبد الكريم جواد كاظم الزبيدي**، صدر **في جدة**.

● **«التصنيف في المكتبات العربية»**، تأليف **ناصر محمد السويدان**، صدر عن **دار المريخ بالرياض**.

● **«فن الوصف في مدرسة عبيد الشعر»، تأليف الدكتور محمد لطفي الصباغ**، صدر **في الرياض**.

تونس :

يوم للشباب العربي

حددت اللجنة العربية للأنشطة


★ زكريا ثامر ★

الشبابية المنبثقة عن مجلس وزراء الشباب والرياضة العرب **يوم الخامس من تشرين الثاني** (نوفمبر) **من كل عام يوماً للشباب العربي**، كما أقرت اللجنة مشروعاً حول «إنشاء مركز عربي للأنشطة الشبابية والرياضية، وبرنامج الأنشطة الرياضية العربية المشتركة التي ستقام عام ١٩٨٥م» في إطار الاحتفال بالسنة الدولية للشباب.

أسبوع ثقافي عراقي

أقيم في تونس خلال الفترة من ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) إلى ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) **أسبوع ثقافي عراقي** وذلك تحت إشراف اللجنة الثقافية القومية بالتعاون مع سفارة العراق بتونس، اشتمل الأسبوع على معرض للفن التشكيلي العراقي، وأمسية شعرية شارك فيها عدد من الشعراء العراقيين الشبان، إضافة إلى إلقاء محاضرتين حول «العلاقات العراقية الدولية والفن التشكيلي العراقي».

كتب جديدة

● **«غداً نلتقي»، ديوان شعر** للشاعر السوداني **سيد أحمد الحردلو**، صدر عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع بتونس**.

● **«الأرض في شعر المقاومة الفلسطينية»**، تأليف **محمد القاضي**، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس**.

● **«هواجس»، مجموعة شعرية** للشاعر **زكي قنصل**، صدرت عن **الدار العربية للكتاب بتونس**.

● **«هذيل في جاهليتها وإسلامها»**، تأليف **الدكتور عبد الجواد الطيب**، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس**.

كلمة

ماذا نريد من الشعر؟!

سؤال صعب، والإجابة عنه مستحيلة إذا كان المقصود من كلمة شعر التي وردت في العنوان، الشعر الحقيقي. فالشعر لا يمكن أن نطلب منه أي شيء. إنه شعور، وإنه تأثر، وإنه مزيج عجيب من الانفعالات والمشاعر والحقائق والأوهام والفن؛ فهل نستطيع أن نطلب من هذا المزيج طلباً؟! لا، ولكننا نستطيع أن نهذب، ما أمكننا التهذيب، لهذه العوامل النفسية الإنسانية الفنية. والتهذيب هنا ليس بمعناه الأخلاقي، وإنما بمعناه الهندسي، إن صح التعبير، وبمعناه الحيوي أيضاً.

والشاعر، أو صاحب التجربة الشعرية الجديدة يدوّن ما فاضت به نفسه من هذا المزيج، ويقدمه للعالم.

وهنا يخرج الشعر من حيز ضيق جداً إلى حيز واسع كل السعة، فيبدأ التأثير في المتلقين لهذا الشعر. والتأثير له أنواع عديدة، ومهما يكن هذا التفسير فإنه يدخل في مجالين:

١ ـ القراء.
٢ ـ النقاد.

والشعر الخالد لا ينهزم أمام النقد، بل قد يقلب مفاهيم النقد السائدة.

والنقد، أحياناً، يساعد على اشتهار أشعار معينة، أو شاعر ما. إن الشعر الذي نختاره لأنفسنا عادة ونردده ونستمتع بقراءته له مواصفات متنوعة أهمها:

١ ـ وجود مشاعر حقيقية.
٢ ـ وجود فكرة مبنية على نوع من الحقيقة.
٣ ـ وجود خيال.
٤ ـ وجود قيم فنية جمالية كالوزن والأسلوب اللغوي وأسلوب العرض...

يكون الشاعر شاعراً عندما يصدق بمشاعره وأحاسيسه، وليس عندما يصدق بروايته للحوادث أو للحقائق.

محمد كرزون
حلب ـ سورية

الجزائر

وفاة المدني

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب والمؤرخ والسياسي الجزائري «أحمد توفيق المدني» إثر نوبة قلبية عن ٨٥ عاماً قضاها بين الأدب والسياسة، حيث ولد رحمه الله عام ١٨٩٨م، وقد أنهى دراسته **بجامعة الزيتونة** وكافح ضد الاستعمار، واعتقل في عدة مناسبات حتى اندلاع الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م. هذا وقد شغل المرحوم عدة مناصب هامة أثناء الحرب الجزائرية وأصبح عضواً في المجلس الوطني للثورة، ثم عين وزيراً للثقافة في الحكومة المؤقتة قبل أن يمثل الجزائر كسفير في عدة بلدان، كما شغل أخيراً منصب وزير الأوقاف إلا أنه انسحب من الحياة العامة للتفرغ للإنتاج الأدبي والتاريخي.

كتب جديدة

● **«الفنون الشعبية في الجزائر»**، صدر الكتاب عن **وزارة الإعلام الجزائرية**.

● **«حرسني الظل»، ديوان شعر للشاعر ازراج عمر**، صدر في **الجزائر**.

الأردن

لوحات بريطانية

أقيم في عمّان معرض ضم **مجموعة من اللوحات الفنية وأعمال الجرافيك** لاثنين من كبار الفنانين البريطانيين هما:

★ الفنان **«وليام هوجارت ١٦٩٧ ـ ١٧٦٤م»**.

★ والفنان المعاصر **«ديفيد هونكه»**.

جدول رقم (١)
تطور استخدام الذهب في الدول العربية منذ عام ١٩٦٩م، حتى عام ١٩٧٩م، من الذهب الجديد

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	٦,٤	٧,٠	٧,٦	٤,٠	٦,٠	٢٣,٠	٦,٠	٢٥,٥	٢١,٠	٢٠,٥	١٢,٥
السعودية واليمن	٥,٠	٥,٠	٣,٥	٢,٠	٢,٠	٧,٠	١٠,٠	٣٧,٠	٤١,٥	٣٩,٠	١٤,٥
العراق وسورية والأردن	١٠,٠	١٠,٥	١٠,٠	٤,٥	١٧,٥	٢٢,٥	١٢,٠	١٨,٠	٢٤,٠	٢٨,١	١٣,١
الكويت والإمارات	٥,٩	٦,٠	١٠,١	٤,٦	١٢,٠	٨,٥	١٦,٠	٣٨,٠	٤١,٧	٣٦,٣	١٦,٨
لبنان	٩,٠	١٠,٠	١٠,٠	٥,٠	-	١,٥	٢,٠	٢,٠	٢,٥	٢,٠	٣,٠

جدول رقم (٢)
تطور حجم الذهب المستخدم في تشغيل المصوغات في البلاد العربية منذ عام ١٩٦٩م، حتى عام ١٩٧٩م، بالطن

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	٦,٠	٦,٥	٧	٣,٥	٦,٠	٢٣,٠	٦,٠	٢٥,٥	٢١,٠	٢٠,٥	١٢,٥
السعودية واليمن	٢,٥	٢,٥	٢,٥	٢,٠	٢,٠	١,٠	٨,٠	٣٣	٣٤,٥	٣٠,٠	٧,٥
العراق وسورية والأردن	٧	٧,٥	٧,٠	٣,٥	١٨,٠	٢٣,٠	١٠,٠	١٥	١٧	١٢,١	٦,١
الكويت والإمارات	٤,٩	٥,٠	٩,١	٤,١	١٢,٠	٩,٠	٩,٠	١٣	١٧,٢	١٦	١٣,٧
لبنان	٢	٣	٤	٣	٢	١	٢	٢	٢	٢	٣

جدول رقم (٣)
الذهب المستخدم في الدول العربية لصناعة العملات والقلائد

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	-	,١	,١	-	-	-	-	-	-	-	-
الكويت	١,٠	١,٠	١,٠	,٥	-	,٥	٧,٠	١٦,٠	١٠,٠	٧,٠	٣,٠
سورية	٣,٠	٣,٠	٣,٠	١,٠	,٥	,٥	٢,٠	٣,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠
السعودية	٢,٥	٢,٥	١,٠	-	-	٦,٠	٢,٠	٤,٠	٧,٠	٩,٠	٧,٠
لبنان	٧,٠	٧,٠	٦,٠	٢,٠	١,٠	,٥	-	-	,٥	٩,٠	٧,٠
ليبيا	١,٠	٣,٠	٢,٠	٢,٥	-	-	-	-	-	-	-
دولة الإمارات	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	,١

* المصدر: الأهرام الاقتصادي، العدد ٦٢٦، ص ٢٢.



عن الجودة وقلل الانتفاع به ، فكان لا بد ليد عالم مخلص متمكن من مذهب الإمام أحمد أن يعيد للكتاب عافيته ، فكان أن قيّض الله للكتاب تلك اليد ممثلة بفضيلة الفقيه الثبت والمحدث الحصيف **الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي** ، الذي نذر نفسه لخدمة مذهب الإمام أحمد منذ فترة طويلة من الزمن ، فراح فضيلته يبحث عن أصل الكتاب الخطي ليتمكن من تصحيح نسخته من الطبعة المنيرة ، غير أن جهوده في البحث عن الأصل الخطي لم تكلل بالنجاح ، فاضطر المحقق إلى اعتماد « الطبعة المنيرية » أصلاً للكتاب ، ومضى يصحح الأخطاء المطبعية وغير المطبعية فيها ، واستدراك السقط الحاصل أثناء طبع الناشر لها ، وحذف الزيادات ، مما دعاه إلى مقابلة الكتاب على كثير من المصادر التي نقل عنها المؤلف رحمه الله ، ثم أضاف المحقق إلى الكتاب خدمات جليلة تمثلت بضبط النص ، وتخريج الآيات ، والأحاديث ، وأبيات الشعر الواردة في الكتاب ، وتوّج عمله في الكتاب بتصديره إياه بمقدمة حافلة تحكي عن مدى تمكنه من فهم مذهب الإمام أحمد وهضم مسائله وسعة اطلاعه على ما صنف علماء الحنابلة من متقدمين ومحدثين في أصول المذهب وفروعه ، وقد ضمت مقدمته ترجمة مقتضبة لحياة المؤلف اعتمد في إعدادها على بعض المصادر والمراجع التي تحدثت عن حياة المؤلف(٧) ، وإني أستطيع القول في هذا التقديم : إنه إن كان للعلاّمة الشيخ عبد القادر بن بدران فضل على الحنابلة المعاصرين محصلة لتصنيفه هذا الكتاب ، فإن للدكتور عبد الله لقاء نشره الكتاب بهذه الحلة الرائعة يماثل ما للمؤلف من فضل في هذا المضمار سواءً بسواء .

محمود الأرناؤوط

دمشق ــ سورية

الهوامش

(١) في معظم المصادر التي ترجمت لحياة المؤلف ، سمّي عبد القادر بدران ، وليس ابن بدران ، ولعله الصواب والله أعلم .

(٢) قال محقق الكتاب عند ترجمته لحياة المؤلف : لم تذكر الكتب التي اطلعت عليها في ترجمته تاريخ ولادته . أقول : لقد وقفت على تاريخ ولادة المؤلف وهي سنة ١٨٤٨ م ، وهي تصادف سنة ١٢٦٥ هـ ، كما أثبتها ، وذلك في كتاب « أعلام الأدب والفن » للأستاذ أدهم الجندي رحمه الله المطبوع بدمشق عام ١٣٧٤ هـ .

(٣) الكلام في ترجمة المؤلف إلى هنا استقيته من كتاب « الأعلام » للعلاّمة المؤرخ خير الدين الزركلي رحمه الله ، ٣٧/٤ الطبعة الرابعة ، وبالمناسبة فقد ذكر لي أستاذي الجليل سليم بك الزركلي أن خير الدين درس في بداياته على الشيخ بدران وتأثر بفكره السلفي النقي .

(٤) راجع ترجمته في كتابي « الكشكول الصغير » وهو من منشورات مؤسسة الرسالة في بيروت .

(٥) راجع ترجمته أيضاً في كتابي « الكشكول الصغير » .

(٦) انظر ما كتبته عن هذا الإمام في مقدمتي لكتاب « النصيحة في الأدعية الصحيحة » للحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي ، الذي توليت تحقيقه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه ، وتولت طبعه مؤسسة الرسالة .

(٧) نزولا عند رغبة محقق الكتاب إلى كل من يعلم مزيداً من المعلومات عن حياة المؤلف أو عن مؤلفاته ، فإني أحيل فضيلته إلى المصادر والمراجع الآتية : « أعلام الأدب والفن » الذي تقدم ذكره ٢٢٤/١ و ٢٢٥ ، و « الموسوعة الموجزة » لصديقنا الفاضل الأستاذ حسان بدر الدين الكاتب المجلد السادس صفحة (١٠٥) و (١٠٦) وفي ختام ترجمته في الموسوعة مصادر ومراجع مختلفة تتحدث عن حياة المؤلف ومصنفاته ، وربما أضيف جديداً إلى معلومات المحقق الفاضل إذا قلت إن الشيخ عبد القادر كان قد أصدر صحيفة في الشام سماها « موارد الحكمة » كما ذكر ذلك فيليب دي طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » ٤٢/٤ ، وقد أصدر الشيخ عبد القادر صحيفته المذكورة سنة ١٣٢٧ هـ ، وأرجح بأنه ربما وجدت نسخ منها في المكتبة الظاهرية بدمشق والله أعلم .

مصر :

متحف سيناء

تم في مدينة « العريش » ، إقامة متحف باسم **« متحف سيناء »** يضم آلاف القطع الأثرية التي تحكي تاريخ المنطقة في مختلف العصور سبق وأن عثرت عليها البعثات الأثرية المصرية والأجنبية . كما يضم المتحف إضافة إلى القطع الأثرية مكتبة تحتوي على كافة الوثائق التي تحكي تاريخ المنطقة والمعارك التي دارت على أرض سيناء منذ عصر الفراعنة مروراً بالدولة الوسطى ، وحتى العصر الحديث .

كتب جديدة

● **« أحلام » ، ديوان شعر للشاعر محمود البدري محمد ، صدر في القاهرة .**

● **« صهيونيون حتى أطراف أصابعهم »** ، تأليف **محمود فوزي** ، صدر في **القاهرة** .

● **« المرأة بين الماضي والحاضر »** ، تأليف **أحمد طه** ، صدر في **القاهرة** .

● **« الشخصية »** ، تأليف **الدكتور سيد محمود غنيم** ، صدر عن **دار المعارف بمصر** .

● **« نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع من خلال القرن الرابع عشر »** ، تأليف **الدكتور شكري فكار** ، صدر عن **مكتبة وهبة بالقاهرة** .

● **« من بلاغة السنّة »** ، تأليف **الدكتور محمد أحمد أبو بكر** ، صدر عن **دار النهضة المصرية بالقاهرة** .

● **« أسباب السلامة في أهوال القيامة »** ، تأليف **الشيخ طه العفيفي** ، صدر عن **مكتبة الزهراء بالقاهرة** .

● **« سيرة عمر بن عبد العزيز »** ، تأليف **أبو محمد عبد الله بن الحكم** ، **تحقيق وتعليق أحمد عبيد** ، صدر عن **مكتبة وهبة بالقاهرة** .

● **« عزف على أوتار خرساء »** ، **مجموعة شعرية للشاعر اليمني محمود أحمد الشامي** ، صدرت عن **مطبعة حسان بالقاهرة** .

● **« رفاعة الطهطاوي ووقفة مع الدراسات اللغوية الحديثة** ، مع النص الكامل للتحفة المكتبية » ، تأليف **الدكتور البدراوي زهران** ، صدر عن **دار المعارف بمصر** .

● **« في أدب العقّاد »** ، تأليف **الدكتورة نعمات أحمد فؤاد** ، صدر في **طبعة جديدة عن دار المعارف بمصر** .

● **« أصول الشريعة »** ، تأليف **محمد سعيد العشماوي** ، صدر عن **مكتبة مدبولي بالقاهرة** .

السودان :

●● ندوة قضايا معاصرة ●●

عقدت في السودان ندوة دارت حول

الحركة الثقافية في الوطن العربي

«قضايا معاصرة في الأدب والثقافة والفكر» تحدث فيها الدكاترة **محمد عمارة، وحسن حنفي، وشريف حتاته**، حضرها العديد من المهتمين بقضايا الأدب والثقافة السودانية. ومما يذكر أن الندوة قد عقدت بدار **معهد الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم**، تحت إشراف وتنظيم أسرة مجلة **«الثقافة السودانية»**.

كشف أثري

تم اكتشاف قصور أثرية بمنطقة «الجريف» شرق محافظة الخرطوم وذلك بالتعاون بين مصلحة الآثار والمتاحف القومية السودانية والبعثة الفرنسية للتنقيب عن الآثار التي تعمل في السودان منذ بضع سنوات، ويرجع تاريخ هذه القصور إلى **مملكة «مروى» القديمة** التي ازدهرت وامتد عمرها من القرن الرابع ـ قبل الميلاد ـ إلى القرن الرابع الميلادي.

كتب جديدة

● **«مذكرات عثمان دقنة»، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم**، صدرت عن **دار التأليف والترجمة والنشر بجامعة الخرطوم**.

البحرين:

معرض للكتاب الخليجي

أقيم في «المنامة» معرض للكتاب الخليجي وذلك بمناسبة انعقاد **مؤتمر البحرين عبر التاريخ** الذي دعي إليه علماء التاريخ من معظم دول العالم، عرضت في المعرض تلك الكتب والمخطوطات التي لها علاقة بالبحرين بصفة خاصة وبالخليج بصفة عامة. ومما يذكر أن المعرض قد افتتح يوم ٣ ديسمبر (كانون الأول) الموافق ٢٩ من شهر صفر عام ١٤٠٤هـ، وسيستمر حتى يوم ٩ ديسمبر (كانون الأول) وهي نفس الفترة التي بدأ فيها المؤتمر.

مؤتمر عالمي للصم والمكفوفين

عقد في «المنامة» المؤتمر العالمي الثالث للصم والمكفوفين، شارك فيه ممثلون من أكثر من عشرين دولة عربية وعالمية، بالإضافة إلى مندوب من المجلس العالمي لرعاية المكفوفين، ورئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية والمبعوث الخاص لليونسيف، ورئيس الاتحاد الدولي للمكفوفين.

مما يذكر أن هذا المؤتمر يعد الأول من نوعه في منطقة الشرق الأوسط والخليج والثالث على المستوى العالمي حيث عقد المرة الأولى في **نيويورك** عام ١٩٧٧م، والثانية في **هانوفر** عام ١٩٨٠م. هذا وقد نوقشت في هذا المؤتمر الثالث الذي استمر أربعة أيام عدة موضوعات **أهمها «موضوع العلم والتكنولوجيا»**، ودورهما بالنسبة لتعليم مزدوجي العاهة.

معرض تشكيلي

أقيم في «المنامة» المعرض النسائي

نافذة

حرب النجوم.. بين الخيال والحقيقة

يبدو أن المسلسلات التلفزيونية الموجهة للأطفال أصبحت تثير شهية مبتكري السلاح وموجهي آلة الحرب في أمريكا، فأسلحة (**جريندايزر**) الفضائية على وشك الانتقال من الشاشة الصغيرة إلى الفضاء عبر المشروع (**الدفاعي**) الذي تبنته إدارة الرئيس (**ريغن**) مؤخراً تحت اسم (**حرب النجوم STAR WAR**). ومن شأن تنفيذ هذا المشروع أن ينقل (**حرب الأشعة**) من عالم الخيال إلى حيز التطبيق الفعلي. واستعمال الأشعة في الحروب كسلاح فتاك يضمن النصر الحاسم والسريع هي فكرة قديمة، إذ تقول الحكايات إن العالم اليوناني (**أرخميدس**) كان أول من استخدم المرايا المجسّمة الضخمة في عكس أشعة الشمس وتركيزها على السفن الرومانية مما كان يتسبب في اشتعالها، وذلك حوالي عام (٢٠٠) ق.م. والفارق بين الأمس واليوم كبير طبعاً، فحرب النجوم المقترحة اليوم تعتمد على (**أشعة اللايزر**) التي بإمكانها أن تصهر وتفتت أكثر المعادن صلابة بلمح البصر.

وكلمة (لايزر) اشتقت من الأحرف الأولى للعبارة الإنجليزية «Light Amplification by Stimulated Emission of Radiation» التي تعني (تضخيم الضوء بالإصدار المحثوث للإشعاع). وتؤدي عملية (التضخيم Amplification) إلى إصدار دفعات كثيفة من (**الفوتونات**) أو كمات الأشعة الكهرطيسية المؤلفة للأشعة الضوئية، التي تتركز في حيز ضيق للغاية، وهذا ما يجعل شعاعاً ضيقاً من اللايزر محملاً بطاقة هائلة. ويمكن التحكم في توجيه أشعة اللايزر بدقة كبيرة ولمسافات بعيدة نحو الأهداف التي يراد إتلافها. والمنبع الضوئي لهذه الأشعة هو جهاز اللايزر، فهي أشعة صنعية ابتكرها الإنسان لا يوجد مثيل لها في الطبيعة. ويخطط خبراء الأسلحة الأمريكيين لفكرة زرع أقمار صناعية في مدارات حول الأرض بحيث تتضمن أجهزة لإنتاج نوعين من أكثر أنواع اللايزر تطوراً وهما:

١ ـ **أشعة اللايزر الكيميائية chemical lasers** التي تشتق طاقتها الأصلية (قبل تضخيمها) من تفاعل احتراق الهيدروجين بالفلور.

٢ ـ **لايزر أشعة (إكس)** المحرضة نووياً «Nuclear-pumped X-Ray Lasers» ويتم توليد طاقتها الأصلية من تحقيق انفجار نووي خفيف يؤدي إلى تشكل دفعات متصلة من أشعة (إكس) التي يجري تضخيمها. ويتم توجيه هذه الأشعة نحو مرايا ضخمة مزروعة في الفضاء يصل قطر الواحدة منها إلى عشرة أمتار، وتعمل على عكس الأشعة وتصويبها بدقة نحو الصواريخ النووية الهجومية لحظة انطلاقها من قواعدها فتدمرها بسرعة خاطفة. وإلى جانب اللايزر يعمل الخبراء على ابتكار سلاح فضائي جديد أطلق عليه (**سلاح الأشعة الجسيمية particle-beam weapon**) يطلق أشعة تتألف من بروتونات وشوارد مسرعة توجه نحو الأهداف الصاروخية فتسبب تخريبها وتشل قدرتها على التدمير، ولا زال هذا السلاح في مرحلة الدراسة

النظرية . والمشاكل الأساسية التي تواجه تنفيذ المخططات والمشاريع المتعلقة بحرب النجوم ما زالت كثيرة ومعقدة ، نذكر منها :

١ ـ صعوبة التمييز بين الأهداف الصاروخية العدوة والصديقة بسرعة خاطفة ، مما يتطلب ابتكار أنظمة للرصد والمراقبة بالغة الدقة والتعقيد ، وهذه لم يتم ابتكارها بعد .

٢ ـ لم يهتد الخبراء حتى الآن إلى طريقة تسمح بإبطال مفعول الرؤوس النووية التي تنفصل عن الصواريخ بعد تدميرها .

٣ ـ صعوبة التحقق من إصابة الأهداف بعد توجيه الأشعة نحوها .

٤ ـ في حالة توجيه أشعة اللايزر من الفضاء نحو محطات إطلاق الصواريخ الأرضية فإنها تفقد أغلب طاقتها عند اختراقها للغلاف الجوي الأرضي ، إذ تصرف الطاقة المفقودة في تسخين الهواء ، وتتضح هذه المشكلة أكثر في الأحوال الجوية السيئة أثناء حدوث العواصف المصحوبة بالأمطار الغزيرة .

يضاف إلى ذلك أن الأقمار الصناعية التي ستحمل الأسلحة المنتجة للأشعة ستبقى معرضة بدورها لهجوم التوابع الفضائية العدوة التي سيسند إليها دور (العربات الانتحارية) الذي يتلخص بالاصطدام بالأقمار الصناعية وتفجيرها . ومن المعلوم أن **الاتحاد السوفييتي** يملك منذ عشر سنوات أنظمة مضادة للتوابع الفضائية ، كما يعد أكثر تفوقاً من **الولايات المتحدة** بثلاث أو خمس مرات في تكنولوجيا توليد أشعة اللايزر .

ونفهم من كل هذا أن مشروع (حرب النجوم) أو (حرب الأشعة الفضائية) ما زال في أول الطريق ، إلا أن الخبراء يذكّرون بأن مشروع إنتاج القنبلة الذرية الذي تبناه **الرئيس (روزفلت)** كان يبدو أبعد منالا عما هو الحال بالنسبة للمشروع الجديد .

ولقد أثار مشروع حرب النجوم ضجة سياسية وإعلامية كبيرة تركت بصماتها الأولى على مجرى المفاوضات المتعلقة بحظر انتشار الأسلحة النووية . ويدعي خبراء الإدارة الأميركية المدافعون عن مشروع إنتاج هذه الأسلحة بأنها ستؤدي إلى تغيير مفهوم الحرب الحديثة . . من حرب الأسلحة ضد البشر ، إلى حرب الأسلحة ضد بعضها .

عدنان عضيمة
الجزائر

المراجع

١ ـ مجلة (نيوزويك) ـ عدد ٤ أفريل (نيسان) ١٩٨٣ م ، مقال تحت عنوان (مفاجأة حرب النجوم) .

٢ ـ مجلة (ساينتيفيك أميريكان) ـ عدد مارس (آذار) ١٩٨٢ م ، مقال تحت عنوان (التطبيقات الصناعية لأشعة اللايزر) .



★ جوته ★

كتب جديدة

● « **البحث البلاغي عند العرب** » ، تأليف **الدكتور أحمد مطلوب** ، صدر ضمن سلسلة « **الموسوعة الصغيرة** » التي تصدرها **دار الجاحظ ببغداد** .

● « **ملامح من تراث العرب النقدي** » ، تأليف **الدكتور محمود عبد القادر** ، صدر عن **دار الجاحظ ببغداد** .

● « **ملامح في تراث العرب النقدي** » ، تأليف **الدكتور محمود عبد الله الجادر** ، صدر ضمن **منشورات دار الجاحظ ببغداد** .

الإمارات العربية

معرض للكمبيوتر

أقيم في قاعة المعارض الجديدة بمركز دبي التجاري خلال الفترة من ٢١ إلى ٢٤ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ م ، **معرض الخليج الثالث للكمبيوتر** ، حيث عرضت فيه ما أنتجته الشركات والمؤسسات العالمية من أجهزة الكمبيوتر في كل من أميركا ، فرنسا ، بلجيكا ، بريطانيا ، ألمانيا ، النمسا ، وتايوان ، ومؤسستان عربيتان . ومما يذكر أن هذا المعرض قد أقيم بمناسبة عقد مؤتمر الخليج الثالث للكمبيوتر .

قطر

كتب جديدة

● « **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري** » ، تأليف **الدكتور محمود حمدي زقزوق** ، صدر عن **دار الأمة** ، ضمن سلسلتها « **كتاب الأمة** » .

الأول للفنون التشكيلية وذلك تحت إشراف وتنظيم نادي المحرق الثقافي والرياضي ، اشتمل المعرض على العديد من اللوحات الفنية والتشكيلية .

كتب جديدة

● « **شجرة الأطفال** » ، **مجموعة قصائد للأطفال** تأليف **علي الشرقاوي** ، صدرت في **المنامة** .

● « **شمس الظهاري** » ، **ديوان شعر** اشترك فيه **علي الشرقاوي وفتحية عجلان** ، صدر في **المنامة** .

العراق

فهرس مخطوطات نينوى

صدر في بغداد بتعضيد من وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في العراق **الجزء السابع من « فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف المركزية في محافظة نينوى »** ، من إعداد **سالم عبد الرزاق** ، ويشتمل الجزء على فهرسة ستمائة مخطوطة بموادها ومؤلفيها وشروحاتها ، كما يشتمل على نماذج مصورة لأندر المخطوطات العلمية التي يتراوح تاريخ نسخها ما بين السنوات ٧٠٠ إلى ١٢٥٠ للهجرة .

الحركة الثقافية في الوطن العربي

● «حقوق الإنسان في القانون الوضعي الإسلامي»، تأليف الدكتور غازي حسن، صدر في الدوحة.

● «تأملات في أزمة العقل العربي»، تأليف الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، صدر في الدوحة.

● «الإعلام الإسلامي الدولي»، تأليف الدكتور محمد علي العودي، صدر عن دار الدوحة للنشر.

اليمن:

صحيفة جديدة

صدر في محافظة الحديدة العدد الأول من أول صحيفة يمنية تصدر حديثاً اسمها «اليقظة»، ويرأس تحريرها الشاعر اليمني علي حمود عفيف. ومما يذكر أن عددها الأول قد صدر بمناسبة أعياد سبتمبر (أيلول) في اليمن.

فلسطين:

كتب جديدة

● «السفر الفلسطيني»، مجموعة قصصية للقاص الأردني أكرم النجار، صدرت في الأردن.

● «مجنون فلسطين»، ديوان شعر للشاعر يوسف الخطيب، صدر عن دار فلسطين.

الكويت:

جوائز معرض الكتاب ٨٢

أعلنت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عن الفائزين بجائزة معرض الكتاب العربي الثامن لعام ١٩٨٢م، وهم:

★ الدكتور محمد ياسين عن كتابه «أمراض القلب والشرايين» كأحسن كتاب في العلوم.

★ نبيل خليل ورياض كمال عن كتابهما «الكترونيك الرقمي» كأحسن كتاب مترجم إلى اللغة العربية في العلوم.

★ خالد سعود الزيد عن كتابه «أدباء الكويت في قرنين» الجزء الثاني، كأحسن كتاب مؤلف عن الكويت.

أما جائزة أحسن كتاب مؤلف في الفنون والآداب والإنسانيات فكانت من نصيب الكتاب المكوّن من جزءين والمعنون باسم:

● «الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية»، تأليف عادل حسين.

وذلك بالمناصفة مع الكتابين:

● «معاهد العلم في بيت المقدس».

● «أجدادنا في ثرى بيت المقدس».

وهما من تأليف الدكتور كامل جميل العسلي.

★ المستشرق الروسي بارتولد عن كتابه المعنون باسم «تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي»، ترجمة صلاح الدين عثمان، وقد فاز بجائزة أحسن كتاب مترجم في الفنون والآداب والإنسانيات.

هذا وقد تم توزيع الجوائز في ٧ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ١٩٨٣م، وذلك في أثناء افتتاح ندوة (ثقافة الطفل) التي نظمها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالتعاون مع الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

محاضرات

● «أزمة الثقافة والمثقفين في الوطن العربي»، محاضرة ألقاها الدكتور محمود أمين في الدائرة الثقافية بالشارقة.

● «آيات الرحمن في نفس الإنسان»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد المجيد الزنداني بالرياض.

● «الجنس في النبات»، محاضرة ألقاها الدكتور هشام عبد الجواد في كلية العلوم التابعة لجامعة الملك سعود بالرياض.

● «علم الأجنة ـ تطوره عبر العصور وبعض العوامل المؤثرة عليه»، محاضرة ألقيت بكلية الملك خالد العسكرية بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي فيها.

● «التفسير الاجتماعي والتراث»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الرحيم علي بجامعة الخرطوم.

● «تطوير تعليم البنين بمنطقة القصيم»، محاضرة ألقاها أحمد عبد الله اليحيى بفرع جامعة الملك سعود بالقصيم.

● «صراع العقائد ومستقبل الإنسانية»، محاضرة ألقاها الأستاذ المهدي ابن عبود بمقر صالة مدارس الثغر بجدة تحت إشراف وتنظيم نادي جدة الأدبي.

● «الاتصالات والمحفوظات وأحدث الأساليب المستخدمة فيها»، محاضرة ألقاها الدكتور سيد حسب الله بأبها.

● «العلاقة بين السياسة والإعلام»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الله الأشعل بقسم الإعلام بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية.

● «أدب الطفل العربي»، محاضرة ألقاها زكريا تامر في الدائرة الثقافية بالشارقة.

● «قراءات في فكر وأدب محمد مزالي»، محاضرة ألقاها رشيد الذوادي برابطة الأدب الحديث بالقاهرة.



★ خالد سعود الزيد ★

كتب جديدة

● « الإسلام والشعر » ، تأليف الدكتور سامي مكي العاني ، صدر ضمن سلسلة « عالم المعرفة » .

المغرب :

أيام ثقافية سنغالية

أقيمت في المغرب خلال الفترة من ١ ــ ٨ من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ م ، عروض ثقافية سنغالية في كل من الرباط وفاس والدار البيضاء ومراكش اشتملت على فنون تشكيلية ومسرح وسينما وغيرها من ميادين ثقافية أخرى كإقامة المحاضرات الأدبية والعروض الفولكلورية .

كتب جديدة

● « فضائل القرآن الكريم » ، للإمام النسائي (ت ٣٠٣) ، تحقيق الدكتور فاروق حمادة ، صدر في الدار البيضاء عن دار الثقافة العربية للطباعة والنشر .

● « التاريخ السياسي والاجتماعي لأشبيلية في عهد دول الطوائف » ، تأليف الدكتور محمد بن عبود ، صدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط

سورية :

كتب جديدة

● « ذئب البحر » ، مختارات من الشعر الرومانسي المعاصر ، اختارها وترجمها الشاعر سليمان عواد ، صدرت عن دار الأمل بدمشق .

رسائل جامعية

●● « مسرح جيرودو » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الألسن ــ جامعة عين شمس ، تقدم بها السيد محمد درويش ورد .

●● « النفقات في الشريعة الإسلامية وأثرها في الحياة الاجتماعية » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدمت بها السيدة حياة محمد علي خفاجي .

●● « الأحكام الثابتة بخطاب الوضع عند الأصوليين » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد إسحاق موسى كوني .

●● « منهجية الدعوة في القرآن الكريم » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تقدم بها السيد أحمد حمد محمود عبيد .

●● « تخطيط الاحتياجات البشرية من المذيعين في إذاعات المملكة العربية السعودية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ــ كلية الاقتصاد والإدارة ، تقدم بها السيد عبد الله الشايع .

●● « تقويم النشاط المدرسي اللاصفي في مرحلة التعليم الثانوي في المملكة » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية التابعة لجامعة الملك سعود ، تقدم بها السيد عثمان عبد العزيز المنيع .

●● « كتاب البعث والنشور ــ تحقيق ودراسة » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد عبد العزيز راجي الصاعدي .

●● « معالم الدعوة في الدولة الإسلامية إلى عهد معاوية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد عبد الحميد برحاوي .

●● « الإمامة عند أهل السنّة والرد على الفرق المخالفة » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالمعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تقدم بها السيد خالد أحمد عبد الحميد .

●● « التليفزيون التعليمي : ماهيته ، وحاجة المملكة له » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض ، تقدم بها السيد أحمد عبد المحسن حكيم .

●● « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد أحمد محمد العدناني .

●● « أبو حاتم الرازي وآثاره العلمية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد محمد أحمد الأزوري .

●● « منهجية الدعوة في القرآن الكريم » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، تقدم بها السيد محمد محمود عبيد .

■■■

الحركة الثقافية في الوطن العربي

● «عودوا إلى الأرض»، مسرحية، تأليف لؤي عيادة، صدرت عن دار العلم بدمشق.

لبنان :

كتب جديدة

● «الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر بلند الحيدري»، صدرت في كتاب عن دار العودة ببيروت.

● «ملف العالم العربي»، صدر عن الدار العربية للوثائق ببيروت.

● «أجيال الرياح ـ وعاصمة الحرب»، تأليف فهمية نصر الله، مجموعة شعرية صدرت عن دار النهار للنشر ببيروت.

● «التذكرة الحمدونية»، تصنيف ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، صدر المجلد الأول عن معهد الانماء العربي ضمن سلسلة «التراث العربي».

● «لقاءات شخصية مع الثقافة الغربية»، تأليف عصام محفوظ، صدر عن دار العالية ببيروت.

● «النفط والمجتمع العربي»، تأليف سعد الدين إبراهيم، صدر في بيروت.

● «قيثارة الليل»، تأليف جورج إبراهيم الخوري، صدرت عن دار الصياد ببيروت.

● «أساطير الحب والجمال عند اليونان»، تأليف دريني خشبة، صدر عن دار التنوير ببيروت.

الحركة الثقافية في العالم

ألمانيا :

صحيفة ألمانية تركية

صدرت بمدينة «هانوفر» الألمانية صحيفة تركية ـ ألمانية تحت اسم «هانوفر بوستاسي» هدفها توطيد العلاقات والتفاهم بين الألمان والأتراك، أصدرها الصحفي التركي خالد أياروغلو. مما يذكر أن الصحيفة شهرية يوزع منها (١٠) آلاف نسخة كل شهر، وقد صدر العدد الأول منها متضمناً العديد من الأنباء المتنوعة ما بين سياسية وثقافية واجتماعية وغيرها سواء كانت تركية أم ألمانية، ومن ضمن محتويات هذا العدد ما ذكرته باللغة التركية عن الشاعر الألماني «فولفجانج فون جوته» وبعض من المقطوعات الشعرية العاطفية التركية باللغة الألمانية.

أمريكا :

أحدث الكتب

● «بصوت مختلف»، تأليف الدكتورة كارول جليجان، صدر ضمن مطبوعات جامعة هارفارد.

● «إن تحب طفلاً»، بقلم نانسي ريجان، صدر في واشنطن.

سري لانكا :

متحف في قصر عرابي

قررت الحكومة السريلانكية تحويل القصر الذي نفي فيه الزعيم المصري السابق «أحمد عرابي» وأقام فيه ١٩ سنة إلى متحف سياحي، تم ذلك في احتفال حضره الرئيس السريلانكي ووزير الدولة للثقافة في مصر ممثلاً للرئيس المصري وذلك خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من العام الميلادي ١٩٨٣م.

بريطانيا :

معرض للفنون والتصاميم الإسلامية

اقيم بالمتحف البريطاني معرض خاص للفن الإسلامي تحت اسم «الفنون والتصاميم الإسلامية» حيث عرضت فيه نماذج زخرفية إسلامية رائعة. المعروف أن المتحف يحوي كنوزاً تمثل عدة حضارات، وأن هذا المعرض الخاص بالفنون والتصاميم الإسلامية قد بدأ يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٣م، وسيستمر حتى يوم ١٩ فبراير (شباط) من عام ١٩٨٤م.

مركز للفكر العربي

خلال شهر محرم الماضي من العام الهجري ١٤٠٤هـ، في حفل حضره حوالي ٣٠٠ مفكر وأديب وفنان عربي وإسلامي من بينهم المفكر الفرنسي «رجاء جارودي» إضافة إلى كبار الناشرين البريطانيين، تم افتتاح أول مركز «للفكر العربي» ليكون منارة للثقافة الإسلامية العربية في أوروبا. يضم المركز حوالي نصف مليون كتاب صدرت في الغرب، كما تم وضع خطة لترجمة التراث الإسلامي والعربي إلى الإنجليزية، وذلك بهدف تدعيم المركز، ليقف الغير على ثقافة العرب والمسلمين.

هذا ويضم المركز جناحاً خاصاً لكل ما صدر عن الإسلام والشرق الأوسط من دراسات وأبحاث ومؤلفات لتكون في خدمة الباحثين العرب والمسلمين والمقيمين في ديار الغربة.



★ رجاء جارودي ★



★ يوسف الشاروني ★



★ أحمد عرابي ★

أحدث الكتب

● «الثأر»، **مجموعة قصصية** للقاص **يوسف الشاروني**، صدرت مترجمة إلى الإنجليزية عن **دار هاينمان**، ترجمها **دينيس جونسون**.

فرنسا

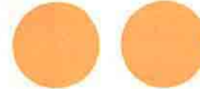
أحدث الكتب

● **«ذكريات: نصف قرن من التأملات السياسية»، تأليف ريمون آرون**، صدر في **باريس**.

● **«تاريخ العقائد والأفكار الدينية»**، تأليف **ميرسيا إيلياد**، صدر القسم الأول من الجزء الثالث عن **دار «بايو» الفرنسية**.



★ ريمون آرون ★



أخبار الغد

مؤتمر عالمي إسلامي

سيعقد في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة خلال هذا العام الهجري ١٤٠٤هـ، **«المؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة»**، ويهدف المؤتمر إلى تحقيق التضامن والانتماء والسلوك، وإيجاد رأي عام إسلامي قوي على هدى الكتاب والسنّة. هذا وستطرح في المؤتمر عدة موضوعات وبحوث منها:

★ وحدة المسلمين على منهج القرآن والسنّة..

★ التضامن الإسلامي ومناهج الدعوة في تحقيقه.

★ مسؤولية الإعلام والجامعات في العالم الإسلامي تجاه التضامن الإسلامي.

★ التعصب وأثر البدع والخرافات وأساليب الاستعمار في تفرقة المسلمين وتعميق الخلاف بينهم.

★ مسؤولية الفرد والجماعة في بناء المجتمع.

سيحضر المؤتمر كبار دعاة العالم الإسلامي.

دليل رسامي دول الخليج

يفتزم مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي الذي يتخذ من الرياض مقراً له إصدار دليل فني بعنوان **«مختارات من أعمال رسامي دول الخليج العربية»**، وسوف يتم اختيار حوالي عشرة من أبرز الفنانين في كل دولة خليجية، على أن يشارك كل فنان بعدد مناسب من اللوحات التي تتناول مختلف جوانب الحضارة العربية والإسلامية والتراث والتقاليد الشعبية في المنطقة.

معرض للصور القديمة

ستقيم إدارة الشؤون الثقافية برئاسة رعاية الشباب في المملكة العربية السعودية معرضاً للصور الفوتوغرافية القديمة، وذلك بهدف إبراز التقاليد العريقة والمناسبات الهامة المسجلة بصورة فوتوغرافية لدى الهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية والأفراد. هذا وقد دعت الإدارة كل من يرغب الاشتراك في هذا المعرض الذي ستنظمه، على أن تصل الأعمال المقدمة في موعد غايته نهاية هذا الشهر.

معرض للآثار المصرية

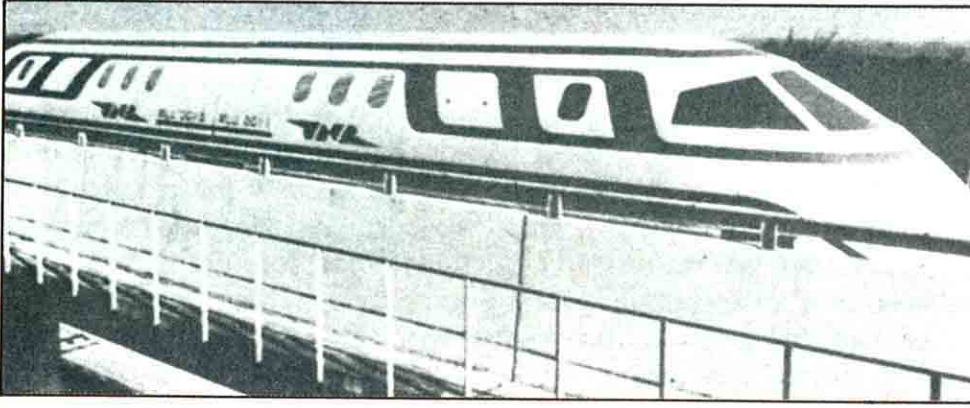
ستقيم وزارة الثقافة المصرية وهيئة الآثار معرضاً للآثار المصرية في اليابان ابتداءً من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤م، ويستمر لمدة أربعة أشهر، ويقوم حالياً خبراء الآثار المصرية باختيار القطع الأثرية الملائمة. المعروف أنه سبق أن أقيم معرض مماثل في اليابان في بداية عام ١٩٨٣م.

إقامة أكبر مسجد في أوروبا

● **«سيفتتح في مدينة «مالوي» السويدية** خلال شهر رمضان القادم **أول مسجد يقام في شبه جزيرة إسكنديناوة وأكبر مسجد في أوروبا** حيث بلغت تكاليفه ٧,٥ ملايين كورنة سويدية.

هذا وقد ألحق بالمسجد **مدرسة لتعليم القرآن الكريم** وعلومه باللغة السويدية لحوالي (٥٠) ألف مسلم يعيشون في السويد.

اليوم و الغد



منشأة يعلوها الصدأ

إن الداخل إلى منشأة **كاشيما** لأعمال الفولاذ **اليابانية** يشاهد الصدأ يعلو كل شيء فيها: الأرض ـ المباني... أما ضمن المنشأة فلا يوجد أي شيء صدئ. فعلى الرغم من انخفاض الطلب وازدياد الكلفة نتيجة زيادة أسعار مصادر الطاقة والمواد الأولية إلا أن الفولاذ لا يزال مثالا براقاً على **المهارات اليابانية**.

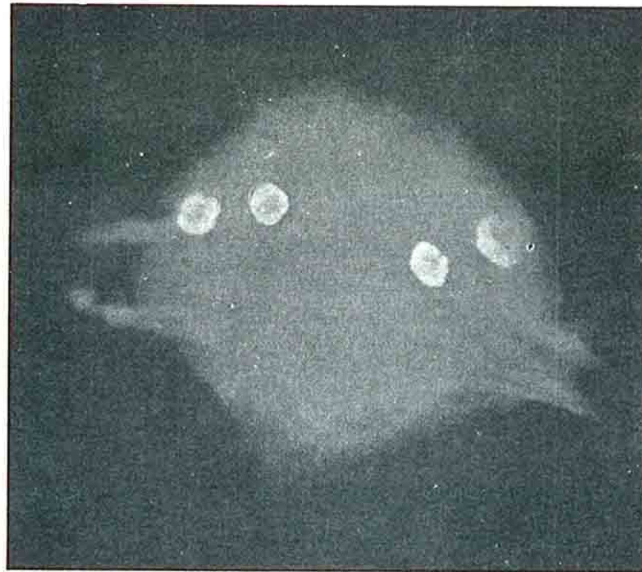
ففي يوم من الأيام تعلم اليابانيون **صناعة الفولاذ** على يد الأمريكيين. أما الآن فقد أصبحت **الحالة معكوسة**، ويستدل على ذلك من عدد الضيوف الأمريكيين الذين يزورون المنشأة سنوياً ويستجلون حقيقة السر وراء التقدم الياباني الذي وضعهم في طليعة الدول في هذا المجال.

تفتخر منشأة **كاشيما** بأنها تضم أكبر الأفران الانفجارية في العالم بالإضافة إلى جملة متقدمة جداً للتحكم بالإنتاج بواسطة الآلة الحاسبة الإلكترونية (الكمبيوتر). تضم المنشأة ثلاثة **أفران انفجارية**، وقد ازداد إنتاجها من ٢,٢٥ مليون طن في عام ١٩٧١م، إلى ١١,٥ مليون طن في عام ١٩٨٠م. وهي تنتج حالياً ١/١٠ من الفولاذ الياباني.

العربة الخطية تصل خط النهاية

سعت مؤسسة **الخطوط الحديدية القومية اليابانية** منذ عام ١٩٦٢م، إلى تطوير عربة خطية قادرة على التحرك بسرعة كبيرة، بينما هي تطفو على ارتفاع ١٠ سم فوق الخط الحديدي، وذلك بالاعتماد على القوة الكهرطيسية. في نهاية عام ١٩٧٩م، وصلت العربة إلى سرعة ٥٠٠ كم في الساعة في اختبار بدون ركاب. وعلى الفور ابتدأت المؤسسة استعداداتها لاختبار العربة بوجود الركاب. والمرحلة الأخيرة من التحضيرات هي عبارات عن تجربة بدون ركاب باستخدام عربتين، وهذه قد تمت مؤخراً والعربات التي استخدمت في هذه التجربة الأخيرة هي من طراز MLUOOI (الصورة). وبفضل نجاح هذه التجربة فإن أول اختبار بواسطة العربات ذات الركاب سيتم بعد عشرين سنة من بداية المشروع.

ارتباط الخلايا العصبية



عندما يقوم الكهربائيون بوصل حزمة من الأسلاك مع بعضها فإنهم يهتدون إلى أجزائها المتقابلة من لونها. ولكن كيف ترتبط الخلايا العصبية مع بعضها لتشكل جملة التحسس العصبية في الإنسان؟ والجواب الذي توصل إليه **اختصاصيو الأعصاب** هو أن هناك بعض **الجزيئات** في الخلايا العصبية يعتقد أنها تقوم بوضع **علامة كيميائية** تجعل الخلايا تتعرف على بعضها مما يجعل ارتباطها مع بعضها صحيحاً.

في هذه الدراسة استخدم العلماء **دود العلق** لأن خلاياها أكبر حجماً كما أن عددها أقل (لا يتجاوز ٢٠ ألف خلية، بينما عددها في الإنسان ٥٠ بليوناً). ولإيجاد الجزيء الذي يقوم بدور العلامة عمد الباحثون إلى طريقة معقدة باستعمال الوسائل الضوئية لتحديد ردود فعل الخلايا العصبية. وقد أوحت الدراسة أن الخلايا مشتركة في كثير من الأشياء. وقد لوحظت **خصائص «انتقائية»** خاصة بكل خلية. هذه الانتقائية هي التي أوحت أن كل نوع من الخلايا العصبية له **جسيمات مختلفة** أو محددات كيميائية قد تكون المفتاح المطلوب الذي يساعد الارتباطات الصحيحة.


أزمة اللغة العربية
أنت ممتاز في الإنجليزي والفرنساوي، وهذا من شروط الوظيفة... ولكن عيبك الوحيد "طلبك" مكتوب باللغة العربية.!!



مدينة وتاريخ

أبها.. الخضرة



★ منظر عام لمدينة
أبها الحاضرة.★

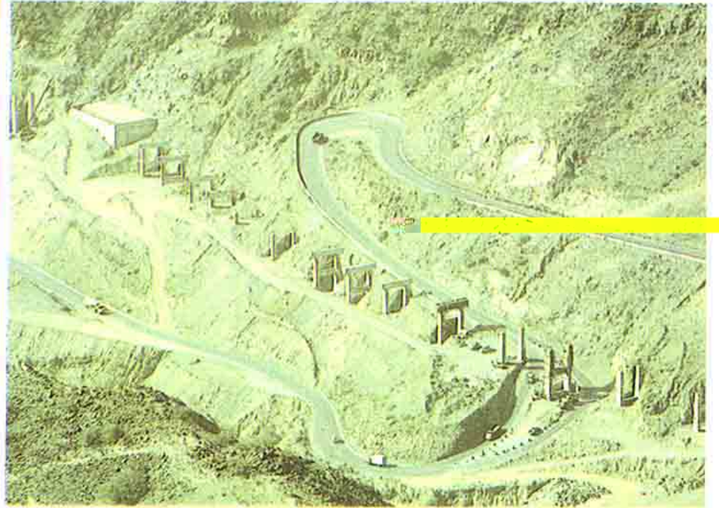
والضوء والبهاء

بقلم: علي عمر عسيري
تصوير: محمد بيبر

★ نفق في عقبة شعار ★

أبها

★ شعار .. الطريق الجبلي الذي يربط بين تهامة وأبها ★



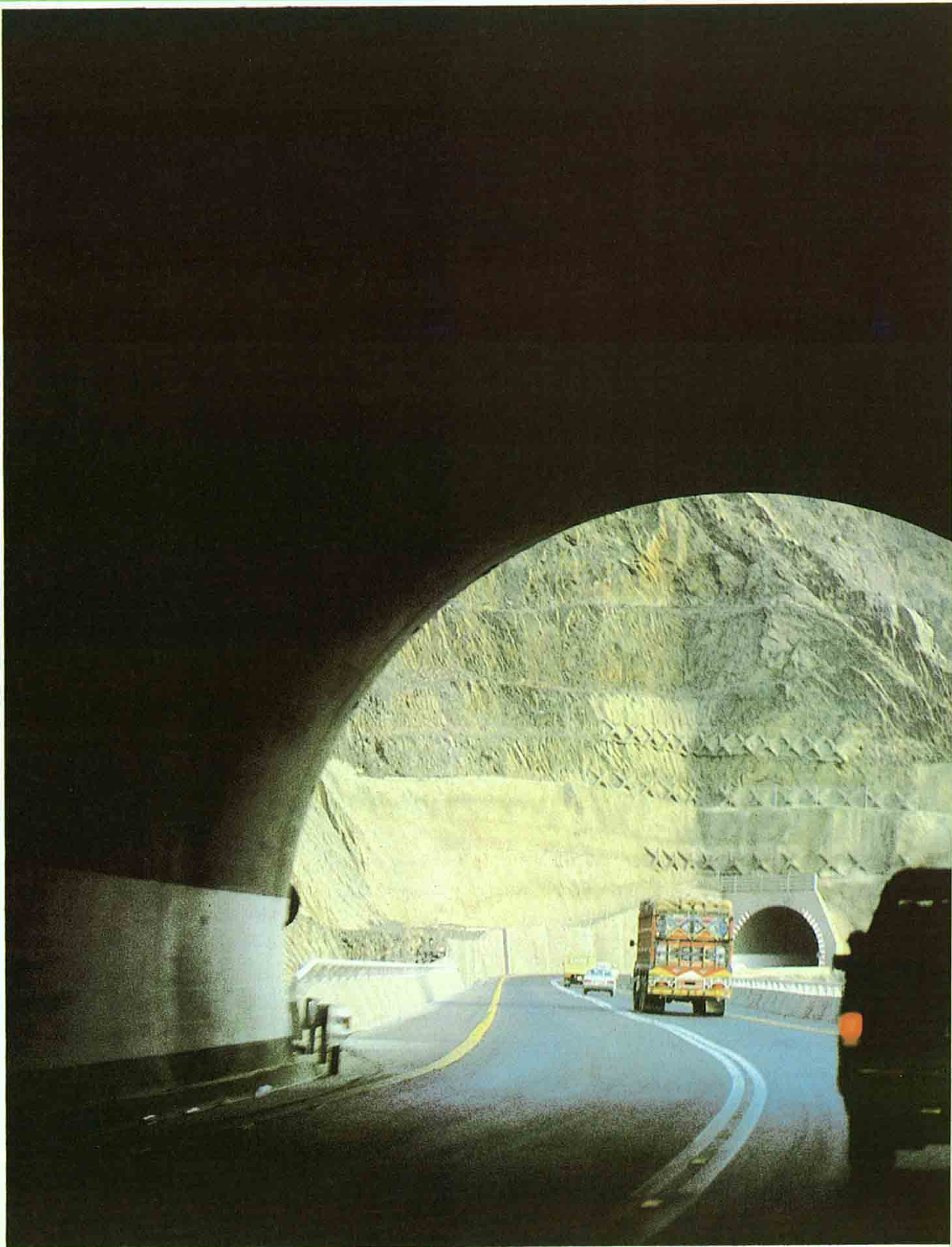
بقعة جميلة اتخذت من أحضان الجبال منزلا يحيطها بالحماية والدفء، ومن شاطئ الوادي مرفأ للشمس.

بدأت كما تبدأ كل الأشياء .. ذرة رمل ثم تباركت فتكاثرت فتحولت بشرا وحضارة وتاريخاً.

من اسمها تستشف سر الحب والإيثار اللذين ينزعان من ذاتك نزعاً لها .. وفي تقاسيم وجهها تقرأ أروع قصيدة كتبتها الأيام ... إنها القصيدة الأضمومة تتجلى فيها صبوة الخضرة وطفولية الضوء.

ترى متى وُلدت هذه الحسناء ..؟ وهل كان اسمها «أبها» منذ فجر حياتها ..؟ وهل هناك أسباب أخرى - غير بهائها - تدخلت في اختيار هذا الاسم لها ...؟





أبها



★ البحيرة .. سد وادي أبها « بحيرة المدينة » ★

★ الماضي الحاضر .. بيت يُعد الآن ليُصبح متحفاً في وسط المدينة ★



الاسم .. والمسمى

في التاريخ البعيد .. إلى ما قبل الميلاد سبتمائة عام ، **كانت تسمى « هيفاء » أو « أبها » وكانت إحدى المدن الكبرى في دولة سبأ** وهذا المصدر قديم لكن هناك مصدراً آخر يشير إلى أن أبها بلدة غير قديمة ، فهي غير معروفة في التاريخ ، وإنما الذي عرف إنما هو **وادي أبها** ، فعندما أُنشئت عرفت باسمه ..

وإلى هذا الرأي ذهب المؤرخ « **هاشم النعمي** » صاحب « تاريخ عسير » إذ يقول : « يطلق اسم أبها على وجه العموم على الوادي المعروف بوادي أبها ، وعلى وجه التخصيص يطلق على المدينة المعروفة بمدينة أبها من باب إطلاق العام على الخاص أو بالعكس ، أو الجزء على الكل ، أو من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . . . » .

هناك مصدر آخر يقول : « **كان اسم أبها في القديم « مناظر »** ، وقد تكون « مناظر » أصل البلدة القديمة ثم اتسعت حدودها واستطالت رقعتها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها » .

أما صاحب **كتاب « فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن »** فقد ذكر أن أبها كانت تسمى « **السراة** » .

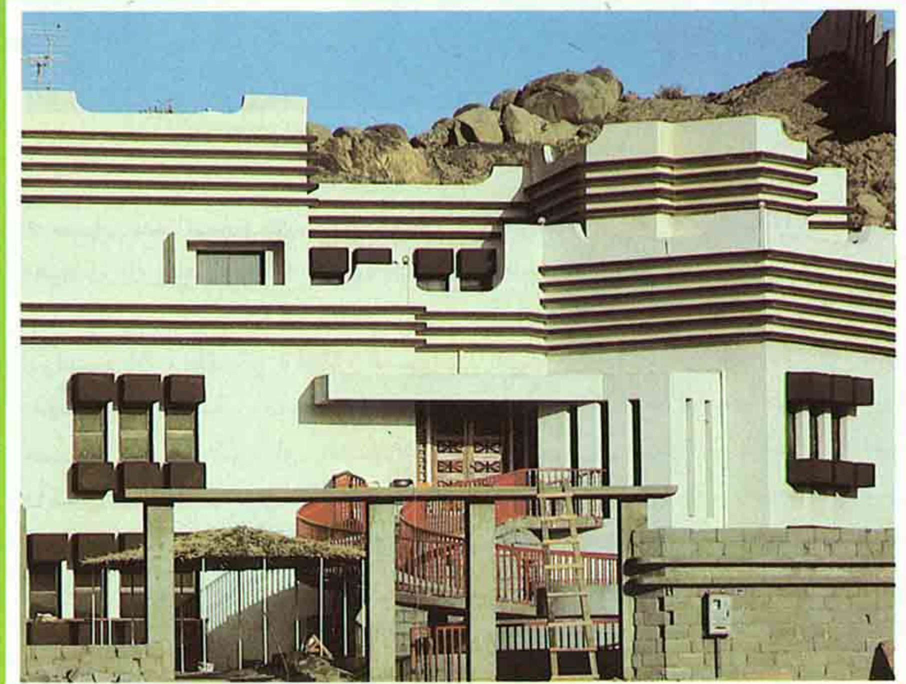
ومن هذه المصادر مجتمعة نقول : كانت أبها موجودة منذ أمد بعيد وإن اختلفت الأسماء .

ويقول **حمد الجاسر** : « مدينة أبها تعتبر من أجمل مدن المملكة ، فهي واقعة على سفوح جبال تتخللها الأودية وإن كان علماء اللغة يقولون إن الأسماء لا تعلل إلا أنني أرى أن اسمها مأخوذ من مادة « بهو » وأنها جمع لذلك ، فالإنسان فيها يشاهد المدينة منتشرة على ضفاف الجبال وفي سفوح الأودية في « أبهاء » واسعة من الأرض ، وعلى كل حال فهذا رأي قابل للبحث والنقاش » .

وهنا نقف لنستنتج هذه الخلاصة :

« أبها بلدة قديمة جداً لا يعرف اسمها الحقيقي الذي نشأت عليه .. تطورت في العمارة وربما تغير مسماها من فترة إلى أخرى حتى استقرت على ضفتي الوادي المسمى بهذا الاسم » .

ونحن نميل إلى ما ذهب إليه **الشيخ حمد الجاسر** من تعليل لمسماها وإن أحسسنا بشيء في أنفسنا من ذلك التعليل فذلك يعود إلى عدم



★ من قديم البيئة الجديد .. مبان حديثة شبه المباني القديمة ★

استعمال المفردات اللغوية الصحيحة في زمننا هذا ، أما القدماء فكانت سليقتهم سلسلة ولا يجدون في استعمال اللفظ الأصل قلقاً ولا ثقلاً حتى في تسمية أبنائهم ومواشيهم ومزارعهم وبلدانهم .

جغرافية أبها . وجيولوجيتها

من الملاحظ أن أبها تتكون من تلال مترامية تكثر فيها الشعاب والأودية والمنخفضات ، حيث **تقع على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر** ، أي أن أبها تعتبر أعلى مدينة في المملكة العربية السعودية .

وتعتبر منطقة عسير عموماً ، كما يقول أحد الباحثين ، بقايا من القارة القديمة المسماة «جندوانا» التي كانت

أبها

★ أحد المساجد القديمة ★



تشمل إفريقيا وآسيا ولم يكن للبحر الأحمر أي وجود، وتكونت الجبال في **الزمن الثالث «الكاينوري»** نتيجة لحركات إنكسارية حيث حدث الأخدود الذي كون **«بحر القلزم»** قديماً ثم أطلق عليه البحر الأحمر فيما بعد، وتكونت الجبال كرد فعل للتحركات التي صاحبت الأخدود.

وتنتشر الصخور «الأركية» في أبها وما حولها وتعد أساساً جيولوجياً أولياً يشتمل على صخور نارية بلورية معظمها من الجرانيت أو من الصخور المتحولة من «النيس» و«الشست» والجرانيت والرخام الذي تبدو عروقه واضحة في كثير من الجبال.

ويوجد الذهب والفضة والنحاس والزنك والحديد والنيكل والرصاص والقصدير والملح والكبريت في بعض الجبال القريبة من أبها.

ورد في بعض المراجع أن «بلقيس» ملكة سبأ عندما استدعيت لتقابل نبي الله سليمان عليه السلام طلبت من سكان «هيفاء» أن يؤمنوا لها أعداداً من الجمال السريعة، وتذكر بعض تلك المراجع أن «ايفا» أو «هيفا» هي مدينة «أبها» الحالية، وعندما سقطت سبأ خضعت لنفوذ **حمْير أو التبابعة** ١١٥ ق. م ـ ٥٢٥ م، الذين مدوا نفوذهم إلى الحجاز واليمامة.

«وقد قيل إن **العمالقة** قد عمروها حتى انقرضوا منها.. كما قيل إن **الأنباط** قد انطلقوا منها إلى أطراف جنوبي بلاد الشام، وقيل إن «**بني ثابر**» قد عاشوا فيها حتى جاءتهم «**الأزد**».

وفي **العصر الجاهلي** كانت قبائل عسير التي تسكن أبها وما حولها ذات قيمة بين القبائل لقوتها ومناعة بلادها مما جعلها تفرض «إتاوة» على عير قريش المنطلقة نحو اليمن في رحلتها الموسمية في فصل الشتاء، وعندما شع نور **الإسلام** وفتحت **مكة المكرمة** للمسلمين، ودانت لهم **الطائف**، وخضع لهم ما حولها من قبائل وأعراب، وزالت الأصنام وزالت دولة الشرك، وابتدأت القبائل تدخل في دين الله



★ القصبة.. عبارة عن برج للمراقبة وتخزين الغلال ★

الاستقرار والاطمئنان والحضارة بعد سفر طويل .

أحياء أبها

بدأت أبها كما تبدأ كل الأشياء صغيرة ثم نمت واتسعت ، ومن ذلك أن أحياء أبها كانت لا تزيد على حي واحد هو «**مناظر**» ، ثم زادت حتى وصلت في حوالي ١٣٧٣ هـ ، إلى سبعة أحياء فقط . أما اليوم فقد بلغت أكثر من أربعين حياً ، أما أحياء أبها القديمة فمنها :

●● **مناظر** : وهو أصل المدينة حيث قامت بعده بقية الأحياء الأخرى ، وكان هذا الحي مزدحماً بالبيوت المتشابكة ، والطرق فيه ضيقة ، وكثير منها تحت أسقف المنازل ويسمونها «**سدداً**» . وكان يوجد بجانب هذا الحي من الجهة الجنوبية **جبل يسمى «مازن»** ، ويعد من المعالم لأبها آنذاك ، ويتوسطه ميدان مستو هو «**ميدان البديع**» ، وقد أزيل هذا الحي اليوم وأقيم على أرضه سوق مركزي كبير .

●● **المفتاحة** : يقع غرب مدينة أبها على ضفة الوادي الجنوبية ، ويشتهر بكثرة بساتينه وغزارة مياهه لقربه من منابع المياه في وادي أبها ، وبهذا الحي قلعة حصينة تسمى **قلعة «المفتاحة»** .

●● **القرى** : على وزن «السكرى» ويقابل حي مناظر ويفصل بينهما «شدا» ورأس «الملح» والقصر الأبيض الموجود حالياً . . ويطل هذا الحي على بساتين المفتاحة غرباً وعلى **باحة «البحار»** شرقاً التي كانت مجمعاً للمدينة في السوق والمناسبات ، وقد تغير حي القرى اليوم وأزيل ، وأقيم على أنقاضه مجمع حكومي كبير .

●● **حي الربوع** : ويقع شمال غربي «مناظر» ، وسمي بهذا الاسم لأنه كان يقام به سوق صغير يوم الأربعاء من كل أسبوع ويربط بين حي القرى غرباً ، وحي مناظر شرقاً ، وهو حي سكني ، وكانت به **أول مدرسة حكومية أنشئت عام ١٣٥٦ هـ** ، وقد أزيل اليوم ، وإلى جانبه من الغرب يقع **حي «نعمان»** على ربوة تسمى «**رأس نعمان**» شمال شرقي القرى .



★ بقايا قلعة قديمة في جبل ذرة بأبها ★



★ قلعة قديمة في وسط مدينة أبها ★

أفواجاً . . وصل شعاع الحق إلى عسير فوفد **صرد بن عبد الله الأزدي رضي الله عنه** في السنة العاشرة للهجرة على **رسول الله صلى الله عليه وسلم** على رأس وفد من قومه مسلمين .

وكانت أبها إحدى توابع **الدولة الأموية والدولة العباسية** وشاركت قبائل عسير مع الجيوش الإسلامية بالفتوحات والانطلاق خارج الجزيرة العربية .

وفي عام ١٢٨٨ هـ ، تمكن **الأتراك** من احتلال «أبها» وذلك في عهد **الأمير محمد بن عايض** ، ومن ثم سيطر الأتراك على عسير حتى عام ١٣٣٧ هـ ، أي بعد **الحرب العالمية الأولى** التي خسرتها «تركيا» .

ومنذ خروج الأتراك من أبها بقيت محط أنظار **الأدارسة** في الجنوب ، **والأشراف** في الحجاز ، **والسعوديين** في نجد حتى عام ١٣٤١ هـ ، حيث تمكن **الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله** من دخول أبها (أي بعد **معركة حجلاء** بثلاث سنوات تقريباً) ، وبذلك تنفست أبها الصعداء وبدأت حياة

أبها

★ منظر فريد للسوق قديم جداً في حوالي عام ١٣٥٥ هـ ، وأول سيارة دخلت أبها في الستينات من القرن الرابع عشر الهجري ، وإلى أسفل جسر دائري عمره أكثر من مائة عام ، وبئر قديمة كانت مصدر الماء للمواطنين ★



★ رقصة شعبية في إحدى المناسبات الاجتماعية ★

●● **مقابل** : وهو الحي المقام على ضفة الوادي من الجانب الشمالي مقابلاً **حي «الربوع» و «القرى»** وكان يوجد به **قصر يسمى «مقابل»** ، وقد كان يسكن في هذا الحي متصرف عسير **سليمان شفيق الكمالي ومحيي الدين باشا** من بعده .

وقد أنشأ الأتراك في عهد «محيي الدين باشا الذي تولى الحكم في عسير عام ١٣٣٢ هـ ، **جسراً يربط بين ضفتي الوادي بين (مقابل) وحي الربوع** ، وقد أفاد الناس كثيراً ولا زال صامداً حتى اليوم رغم شدة عوامل التعرية ... ولا زالت بعض ملامح الحي القديم ماثلة حتى الآن ، وإلى الشمال الشرقي يقع حي **«الصفيح»** وإلى الشمال منه يوجد حي **«ضباعة»** حيث تحيط به البساتين والمزروعات .. وهناك حي **«لبنان»** الذي يقع في مقابل حي **«النصب»** من الجهة الشمالية .

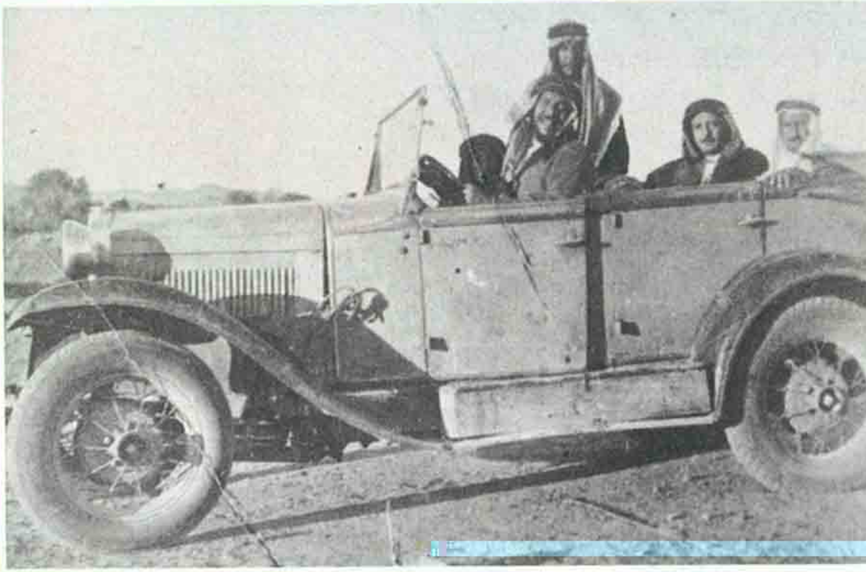
هذه هي أحياء أبها قديماً لم تتعد عشرة أحياء ، أما اليوم فقد بلغت ثلاثة وأربعين حياً .

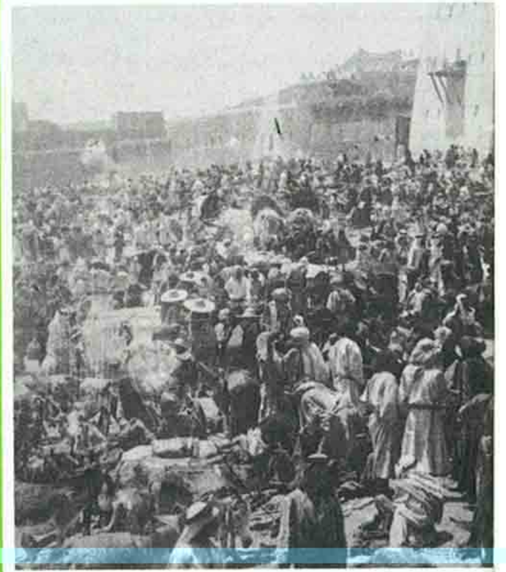
معالم أبها

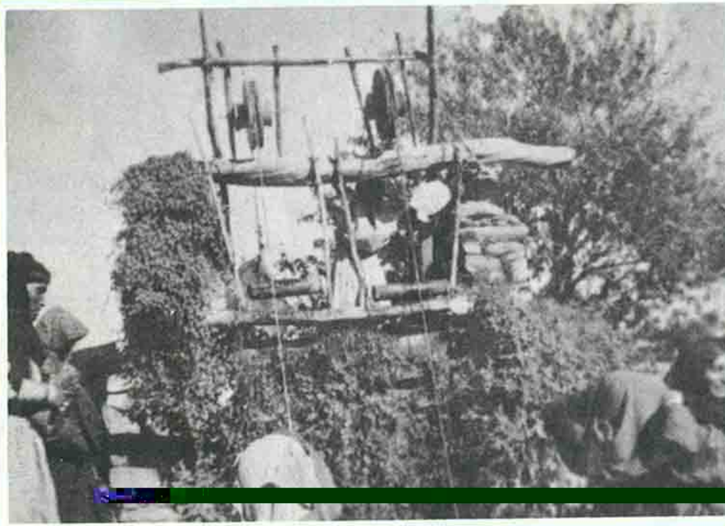
تقع مدينة «أبها» في شرق جبل عسير في وهدة من حزون بين عدد من الجبال المتفاوتة في الارتفاع التي كانت مغطاة بالنبات والأشجار البرية ، ويخترقها وادي «أبها» الذي يمثل امتداداً لوادي «خَبْيبي» ، وفي وسطها ربوة تسمى **«رأس الملح»** ، وكان يقوم عليها **«شدا» وهو قصر بُني بالحجارة ذو متانة فائقة** ، ويقال إنه سمي بأحد جبال بني شهر الشامخة لمناعته ، وقد أزيل لتصدعه وعدم إمكانية ترميمه ، وأقيم على أنقاضه مبنى ضخم للهاتف الآلي ... وعلى مقربة من موقع «شدا» قصر الإمارة الذي بُنيَ عام ١٣٤٣ هـ ، ولا يختلف عن «شدا» كثيراً في تصميمه وشكله وارتفاعه ، ولا زال قائماً حتى اليوم .

الجبال والقلاع

ومن المعالم الجميلة الأخرى الجبال التي تحيط بأبها فتشكل حماية لها من جميع الجهات ،









وتقوم عليها قلاع حصينة بُنيَ الكثير منها في عهد الأتراك ، ومن تلك القلاع :

●● **قلعة ذرة** : وذرة جبل مرتفع يسيطر على كل ما حوله ، وهو صعب الارتقاء مع أنه أصبح من الممكن الوصول إلى قمته بالسيارة .. ويقع في الجزء الجنوبي من بداية أبها ، ويعتبر هذا الجبل علماً مشهوراً تتميز به أبها .. وقد بدأ العمران يتسلقه بسرعة عجيبة ، ومن الممكن أن يتحول إلى لوحة فنية إذا أحيط بمدرجات إما نباتية أو أبنية من طراز واحد ، لأنه يبدو كالهرم العملاق .

●● **قلعة شمسان** : وشمسان جبل أقل ارتفاعاً من « ذرة » له باحة في قمته ، يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة أبها ، وقد غشاه العمران اليوم ولم يبق سوى قمته وقلعته ...

●● **قلعة أبو خيال** : وتطل على وادي ضلع .

●● **قلعة الدقل** : وتقع هذه القلعة شمال مدينة أبها ... والدقل جبل مرتفع يزيد ارتفاعه عن ارتفاع جبل شمسان وأقل قليلاً عن « ذرة » .

المباني العتيقة

ومن المعالم الجميلة التي كانت تتميَّز بها أبها قديماً ، المباني ذات الطراز المميَّز المبنية باللبن على شكل هرمي ، واسع في الجزء الأسفل ضيق في جزئه العلوي ، وتحوط جدرها العلوية حجارة مبسوطة رقيقة يرصّ بعضها فوق بعض أثناء البناء ، وعندما ينتهي البناء تأخذ شكلاً هندسياً بديعاً وتسمى « الرقق » ومن فوائد هذه الحجارة أنها تشد الجدر الطينية وتقيها تأثير المطر ، وكلها ضيقة النوافذ للوقاية من البرد من جهة ، وللحصانة من جهة أخرى .. **وتسمى النافذة « كترة »** .

وهناك بيوت مبنية بالحجارة المقطوعة من الجبال وهذه أكثر متانة وأطول عمراً ، وقد يبلغ عرض الجدار من ٥٠ ــ ١٠٠ سم ، ويكون البناء مرتباً ويستعملون نوعاً من الحجارة الرقيقة الصغيرة يسمونها « **كحلا** » بفتح الكاف وتسكين الحاء يضعها البناؤون بين الحجر الكبيرة

أبها

والأخرى فيبدو الجدار من الخارج كأنه منقوش ، وعلى بعض الجدر تنقش وترسم لوحات فنية وذلك باستعمال المرو الأبيض ، كأن ترسم نجمة أو سيف أو هلال أو مثلثات . . . إلخ ، فيبدو ذا شكل جذاب كأنه حجر الواجهات المستعمل اليوم أو الرخام مع أنه من معطيات البيئة الطبيعية . هذا فضلاً عن داخل البيوت الذي كان يبيض بالجير ويزخرف بخطوط يسمونها « قطآطا » ويعتنون برسمها في الثلث الأسفل من الجدار غالباً ، أما الأرض فكانوا يستعملون النباتات كالبرسيم لتخضيرها وذلك بدلكها بهذه النباتات ويسمونه « خضاراً » . وقد انقرضت كل هذه السمات تماماً وأصبحت ذكريات . . مجرد ذكريات .

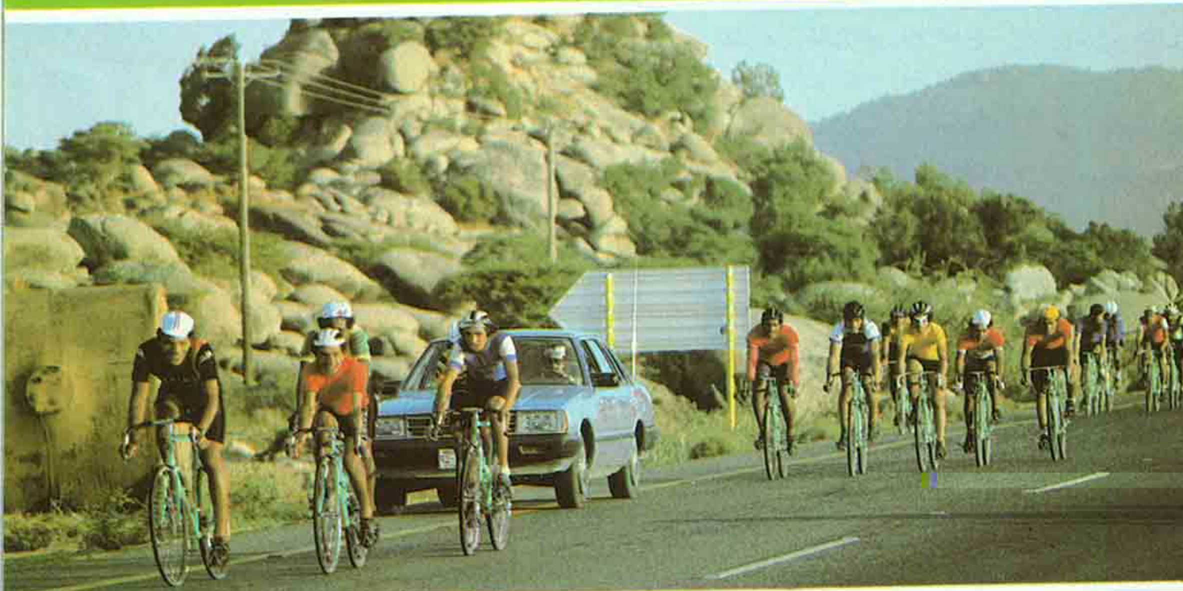
★ جانب من سوق أبها للخضار ★



الحدائق والبساتين

بحكم موقع هذه المدينة على ضفتي واديها الذي كان ممراً للسيول ومياه الينابيع على مدار العام ، وبحكم خصوبة أرضها .. ذلك لأنها واقعة في حضن عدد من الجبال المكسوة بالأشجار المنوعة ، وفي ملتقى عدد من الأودية الصغيرة التي تصب في الوادي الكبير حاملة أوراق تلك الأشجار وكميات من تربة الجبال والسماد من آثار الرعي ثم تلقي به في مزارع المدينة ، لذلك فقد كانت أبها أشبه بحديقة غناء ، حيث تكثر فيها البساتين وحقول الحبوب . **وقد كانت لأبها بحيرة ماء إلى الغرب من «المفتاحة» يسمونها «كظامة»** ، وكانت لها مجار ضخمة تخترق جنوب المدينة إلى الشرق وكذلك شمالها ، وكانت تسقي المزارع والماشية التي كان السكان يربونها بكثرة .. كما يروي أحد المعمرين أن الجبال المحيطة بأبها كانت تغطيها غابات من أشجار «الطلح» ، و«الشث» ، و«العرعر» وغيرها . يروى أن **الثلوج نزلت على أبها**

★ مسابقات الدرجات من الرياضات الناجحة في مدينة أبها ★



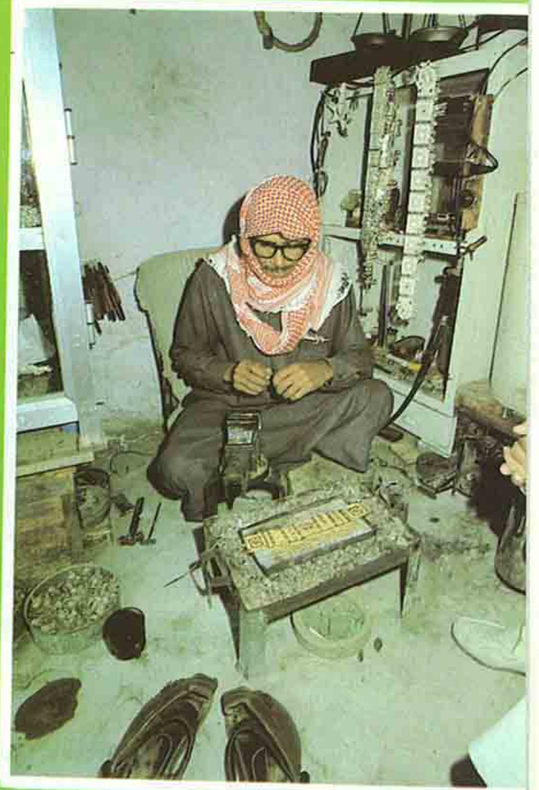
★ جانب من أسواق الغنم ★





أبها

★ صياغة الفضة
صورة من الماضي
تطل على الحاضر ★



وما حولها قبل أكثر من ثلاثين عاماً ونبتت بعد «عام الثلج» نباتات عديدة لم يكن لهم معرفة سابقة بها ... أما الآبار فكانت منتشرة في كل بساتين المدينة ووديانها.

سوق الثلاثاء

وكان سوق أبها الأسبوعي يقام يوم الثلاثاء في «**رأس الملح**»، وكان يعرف فيما قبل سنة ١٢٤٢ هـ، بسوق «**ابن مدحان**» نسبة إلى جد عشيرة آل مدحان د أحداً يتخلف عنه لاعتبارات عديدة، منها أن هذا اليوم هو موعد السوق الأسبوعي الحقيقي فليس قبله سوق ولا بعده، عدا بعض الدكاكين، ثم انشغال الناس بأمور حياتهم، وتوفيرهم في استهلاك المواد يجعل يوماً واحداً كافياً لقضاء لوازم بقية أيام الأسبوع، ومن جهة أخرى فإن معظم الباعة الذين كانوا يفدون من **خميس مشيط، وتهامة، ورجال المع، ومحايل، وبيشة، ورجال الحجر، وقحطان**.. كانوا لا يصلون إلى أبها إلا يوم الثلاثاء ومعهم أصناف جديدة تجعل المواطن يترقبهم في هذا اليوم.

إذن فيوم السوق هو يوم العيد الأسبوعي في المنطقة مثلما هو يوم البيع والشراء، وهو فوق ذلك يوم المقاضاة والمحاكمة وإبلاغ إعلانات الحكومة للناس، ويوم تأديب المجرمين وغير ذلك من الأعمال التي تعرض للناس في معاشهم، وعلى الإجمال فهو يوم جامع تقضى فيه الحوائج وتفض فيه المنازعات والمشاكل. لذلك نجد القبائل كثيرة الاهتمام بأسواقها، مدافعة عنها، عاملة جهدها على إبعاد المشاغبات منها، وإقصائها عن كل ما يشين سمعة أهلها، أو يضعف حركتها.

ومن الناحية الإعلامية، فقد كان هذا السوق أشبه بصحيفة متحركة يطلع بعضهم على أخبار بعض، وينقل بعضهم أخبار بلاده وأسرته وجهته للآخرين، وكان فرصة للإعلان عن مفقود من الأموال، أو ميت أو موعد صوم أو حج أو جمع زكاة أو خلافه.

سكان أبها

يسكن أبها وما حولها منذ القديم **قبيلة «بني مغيد»** بضم الميم وفتح الغين وتسكين الياء وإهمال الدال، وهذه القبيلة واحدة من أربع قبائل تسكن سراة عسير هي: (١) **بنو مغيد**. (٢) **علكم**. (٣) **ربيعة ورفيدة**. (٤) **بنو مالك**. بالإضافة إلى عشر قبائل أخرى تسكن تهامة عسير وهي قبائل رجال المع.

ومع تقادم العهد وتوافد البشر على مدينة أبها أصبحت خليطاً من قبائل عسير وشهران وقحطان ورجال الحجر، ثم ازداد الوافدون حتى أصبحت أبها تضم فئات متباينة من جميع أجزاء الجزيرة العربية ومن الأتراك الذين فضلوا الإقامة فيها، ودمجهم بالعسيريين عرق المصاهرة واللغة والبيئة، والتزموا بعاداتهم الاجتماعية وتقاليدهم العامة...

الـزي

والزي من علامات الشعوب المميزة، وفي أبها يلبس الرجال الثياب ويغطون رؤوسهم بالغترة والعقال غالباً، ويرتدون «الأكوات» ويفضلون الألوان الغامقة في فصل الشتاء، والبيضاء في فصل الصيف، وكانوا في الأزمنة القديمة يلبسون الثياب ويدعون رؤوسهم مكشوفة ويسرحون شعورهم، ويتباهون بكثافتها وهو ما يسمى في «تهامة» «**بالجمم**» **أو** «**الجهوف**»، وكانوا يطلقون لحاهم فلا تجد بينهم حليقاً ويحلُّون عروضهم **بالجنابي** وهي ثلاثة أنواع: (الشامية.. القديمي.. المعبرة).. وتحلى بالفضة الخالصة، وكانوا يستعملون **الشملة** في الشتاء وهي من صوف الضأن عند إقامتهم، أما عند انتقالهم من مكان إلى آخر ليلاً أو نهاراً في أي مناسبة فإن **الجنبية** أو ما ينوب عنها «كالشفرة» التي يسمونها مضبية والعصا وأحياناً «**المسبت**» وهو بيت الرصاص.. هي زينة الرجل عندهم بالإضافة إلى أنواع من السلاح كالبندقية والمسدس.

وكانوا يستعملون النباتات العطرية ويضعونها في جيوبهم وعلى هاماتهم ويسمونها «**مشقراً**» كالريحان والوزاب والبعيثران والكاذي كنوع من أنواع الطيب ويتكرر خاصة عند حضورهم لصلاة الجمعة.

أما النساء فكن يرتدين قديماً لباساً مميزاً ساتراً وهو ثوب واسع يكون متفاوتاً في خياطته، فالثوب الفاخر هو المخيط الذي تكثر ألوانه وخطوطه ويسمى «**المزند**»، ويزين بخيوط «الحرير» والقصب أو السيم «وهي خيوط ذهبية أو فضية»، ويستعملن الحزام الفضي الناصع البياض والحلي الأخرى «**كاللبة**» على الجيد والعصابة على الرأس والمسك على المعصمين والخواتم في الأصابع والحجول في

القدمين والمعاضد في ما بين الكتف والمرفق من اليد .

أبها قاعدة مواصلات

وتعتبر أبها مركزاً هاماً للعديد من الطرق التي تربط بين عدد من المدن والقرى في جميع الاتجاهات ومن تلك الطرق :

(١) طريق يؤدي إلى الحجاز عن طريق بلاد باللحمر وباللسمر وبني شهر وبني عمرو وغامد وزهران والطائف عن طريق السراة ، وهناك طريق يؤدي إلى محايل فالقنفذة على الساحل في تهامة عن طريق **عقبة تسمى «شعار»** وهي رأس وادي تيه .

(٢) طريق يؤدي إلى الشرق متجهاً إلى خميس مشيط وبيشة وسراة عبيدة ، ثم إلى ظهران الجنوب ونجران وشرورة .

(٣) طريق يؤدي إلى الجنوب من أبها يوصل إلى درب بني شعبة ومنه إلى صبيا وبيش فأبي عريش فجيزان على الساحل ، وفي هذا الطريق عقبة تتصل بمدينة أبها مباشرة اسمها **«عقبة ضلع»** .

(٤) طريق يصل إلى تهامة رجال ألمع غرباً ماراً بالسودة ويوصل إلى الشعبين المركز الحكومي وقبائل ألمع عن طريق **عقبة «الصماء»** ، وهناك طرق أخرى كطريق المحالة ونهوان والقرعاء تمنية .

عقبة شعار

كانت **عقبة «شعار»** تمثل حاجزاً طبيعياً صعباً في الاتصال بين **سكان أبها وتوابعها ومنطقة تهامة** .. وكانت وسائل الاتصال من خلال هذه الطريق تعتمد على الجمال والحمير مع ما يصاحبها من مخاطر ، أو سيراً على الأقدام رغم قساوة الطريق وما يتخلل ذلك من متاعب ، أو اختيار طرق أخرى تستغرق أياماً عديدة .

لهذا بادرت حكومة **المملكة العربية السعودية** بإزالة هذا الحاجز ومد طريق مزفت يربط سكان الجبل وتهامة بواسطة السيارات الصغيرة ، ونقل بضائعهم بواسطة السيارات الكبيرة خلال عشرين دقيقة في راحة وأمان بعد أن كانت الرحلة تستغرق يوماً كاملاً بكل ما فيها من مخاطر ومجازفة .

وإذا عرفنا أن **ارتفاع عقبة «شعار» يبلغ ١٩٨٣ متراً** أدركنا قيمة وأهمية إنشاء **هذه الطريق التي يبلغ طولها ٥٧,٥٧٥ كلم** .. وهذه الطريق سوف يستفيد منها مجموعة القرى المعزولة في الماضي التي لا تقل عن ١٢ قرية ، وسوف تدخلها كل وسائل المدنية ، وستنتعش التجارة أكثر مما كانت عليه في الماضي .

وهذه الطريق تمتد إلى مدينة **«محايل»** في تهامة ومنها يمكن الاتصال **بخط الطائف ـ أبها** ، والخط المؤدي إلى **جدة** عن طريق الساحل .

وتشتمل طريق عقبة شعار الجديدة على ٢٢ جسراً بطول ٣٢١١,٥٨ متراً ، ويبلغ ارتفاع أعمدة بعض الجسور ٦٥ متراً . كما تشتمل على **١١ نفقاً** .. ويبلغ طول النفق رقم (٨) ٦٧١,٥٧ متراً .

وتشتمل الطريق أيضاً على **٣٢٨ عبارة خرسانية لتصريف المياه** ، إضافة إلى العبارات الزراعية التي يستفيد منها المزارعون .

كما تشتمل الطريق على **جدران استنادية يبلغ طولها ٣٩٣٣ متراً لحماية الطريق والسائرين عليها** . هذا إلى جانب حوائط واقية للحيلولة دون سقوط الصخور والحجارة من المناطق العالية بجانب الطريق ، **مع وضع جدران خرسانية واقية على امتداد الطريق يبلغ طولها ١٠٠٤٤ متراً** .

وليس مشروع عقبة «شعار» إلا أحد المشاريع الهامة التي تنفذها **وزارة المواصلات** في مختلف مناطق المملكة لاستكمال ربط جميع أجزاء المملكة بشبكة طرق برية حديثة تتوفر فيها كل وسائل السلامة ، والسرعة التي تتطلبها مرحلة النهضة المباركة الكبيرة التي تعيشها المملكة .

ومشروع طريق عقبة «شعار» كلف ٣٧٧,٠٦٣,٩٤٠,٦٦ ريالا سعودياً .. قامت بتنفيذه إحدى الشركات العالمية المتخصصة .

★ الزي العربي في مدينة أبها ، الخنجر ★



أبها الكبرى

من يعرف هذه المدينة الجميلة قديماً ويراها اليوم يجد اختلافاً كبيراً في أمور عدة أهمها :

السرعة العجيبة لعجلة الحضارة ؛ فالطرق المعبدة الممتدة في كل اتجاهات المدينة ، والعمارات الشاهقة ، والأسواق التجارية المنظمة ، والمجمعات الحكومية والمرافق العامة ، والمدارس العديدة للبنين والبنات ، والجامعات والمعاهد والمراكز المهنية .... إلخ .. كل ذلك إضافة إلى انتشار العمران في كل أرجاء المدينة وتعديه الحدود المرسومة حيث أصبح وشيكاً

أبها

★ وعول «نقوش تاريخية» تدل على وجود هذا النوع من الحيوانات قديماً في المنطقة ★



تكامل «**أبها الكبرى**» **التي تشمل أبها وخميس مشيط وأحد رفيدة** بمساحة مربعة طول ضلعها حوالي سبعين كيلاً تقريباً، وفي وادي أبها يقع أكبر معلم من معالمها وهو **سد أبها الكبير** الذي يقع قريباً من وسط المدينة ويزودها بالماء العذب بعد تكريره، وقريباً من السد يوجد **متحف الزوار** الذي يعتبر واجهة ثقافية تراثية مضيئة، وهو أحد مرافق **متنزه عسير الوطني** ومركزه الرئيسي أبها، ويغطي مساحة كبيرة تقدر بـ (٤٥٠٩٠٠) هكتار.

أم المتنزهات والآثار

ومع أن أبها تعتبر متنزهاً جميلاً تتوافر فيه معظم احتياجات المصطاف والمقيم من الفنادق والحدائق والمطاعم والبنوك والعيادات الصحية والأسواق التجارية... إلخ، إلا أنها فوق ذلك أم المتنزهات الرائعة في المنطقة، إذ تحيط بها الأماكن الجميلة من كل الجهات ــ من الغرب ــ **متنزه السودة** الذي يبعد عنها نحو (٢٣) كيلاً ــ ويبلغ ارتفاع هذا المتنزه حوالي ١٠ آلاف قدم ــ وفي السودة يتجلى إبداع الخالق العظيم متمثلاً في العلو الشاهق الذي ينبع منه الماء ويطل على منحدرات سحيقة عميقة في الجهة الغربية، إضافة إلى **المصاطب النباتية، والمدرجات الزراعية، والغابات الكثيفة** ومن الجنوب (**متنزه دلغان**) الذي يتميز بجمال صخوره وروعة تكوينها، إذ تبدو كأنها وضعت ببراعة هندسية خاصة، وهناك الماء والمساحات المنبسطة الخضراء. ومن الشرق (**متنزه المحالة**) الذي يمثل امتداداً لوادي أبها ــ الوادي الخصيب ــ ويتميز بالهدوء والدفء والماء والظلال، وفي الجبال الغربية والشمالية لمدينة أبها تتناثر **الشلالات** وتكثر الغابات، ويستطاب الاستجمام فيها.

أما الآثار التي تقع في مدينة أبها أو تحيط بها فهي كثيرة وغريبة منها:

مدينة جرش القديمة التي لها مكانة تاريخية خاصة.. وهي إلى الشرق من مدينة أبها.. وكذلك هناك **البيوت الأثرية كما في «العزيزة»** غرب أبها.. وهناك النقوش على الصخور.. والقلاع والكهوف والآبار المطمورة وغيرها...

المتنزه الوطني

يقوم مشروع **المتنزه الوطني** على عدة مراحل، ويغطي في مجمله المناطق التالية: **أبها ــ سودة ــ القرعاء ــ دلغان.** بمساحة تقدر بـ ٤٥٠,٠٠٠ هكتار (أربعمائة وخمسون ألف هكتار) حيث يمتد من «**الشقيق» على البحر الأحمر** إلى حدود منطقة عسير في **جبال السراة**، وقد بدأ العمل فيه منذ ثلاثة أعوام، وانتهت مرحلته الأولى حيث **بلغت تكلفتها ٦٠ مليون ريال سعودي.**

ومن المناطق التي يشملها المتنزه تعد من أجمل مناطق المملكة العربية السعودية **إذ يبلغ ارتفاع السودة مثلاً (١٠) آلاف قدم.**، وتتميز بمناخها الجميل وضبابها الكثيف.. والمتنزه مهيأ لاستقبال المواطنين والمصطافين.. حيث الأماكن الشاغرة الجميلة والفسيحة ومواقف السيارات وطرق المشاة والحمامات العامة وملاعب للأطفال والمياه.

وتجرى الآن دراسات لربط **الجرة والسودة** بجهاز «**تلفريك**» للنزول إلى تهامة.

العلاقات الدولية في الإسلام

بقلم: عامر الخطيب

عرفت البشرية خلال هذا القرن العشرين حربين عالميتين مدمرتين كان حصادهما عشرات الملايين من البشر معظمهم من الأبرياء ، لم تشفع دون قيامهما اتفاقات ومعاهدات دولية ، ومواثيق وعهود . كما مرت على البشرية قبل هذا القرن وخلاله أيضاً عهود استعمارية بغيضة كريهة استبيحت فيها كرامة الإنسان وآدميته ، وانتزعت شعوب من أرضها وطردت عنها ، كما أكرهت أمم وشعوب على إرادتها وما زالت بعض آثار هذا الاستعمار ماثلة حتى يومنا هذا ، شاهدة على ظلم الإنسان لبني الإنسان واستهتاره بكل القيم والشرائع .

من هنا ، يقف الإنسان المنصف المدرك معجباً مقراً بما قدم الإسلام للإنسانية والبشرية منذ أشرقت شمسه من خير ورحمة وأسلوب حياة حرة كريمة لا كان قبله ولن يكون بعده ، لأنه شريعة الله التي ارتضاها للناس على الأرض .

ولو كان الفضل في انتشار الإسلام لسيوف المسلمين ورماحهم ، لزال سلطانه من القلوب يوم زال سلطان دولته حين ضعف أهله وغلبوا على أمرهم .

إلا أن الإسلام هو دين السلام ، والجهاد فيه صورة من صور الاستعداد الدائم للدافع عن الحق ، وأن كتاب الله وسنّة نبيه واضحان في أن الدعوة إلى الله هي بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالإكراه ، وأن في مبادئ الإسلام من الخير للناس جميعاً ما يدركه كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

الدولة الإسلامية

لم يكن المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي وحتى ظهور الإسلام دولة بالمعنى الحديث . بل كان مجموعة من القبائل مزّقتها الخلافات والحروب . ولم يكن لها صفة الاستقرار ، حتى أن فكرة الأمة العربية لم تكن قد استبانت وظهرت إلى حيز الوجود في هذه الحقبة من التاريخ . ونجد في **موقعة (ذي قار)** مثالا على ذلك ، وحين انتصرت قبيلة من العرب على فرقة من جيش الفرس ، تغنّى الشعراء يومها بنصرة القبائل التي اشتركت في الحرب لا بانتصار العرب على الفرس . بل إن (العربية) لم تكن لتبعث في نفس الشاعر آنئذ العزة والأنفة ليتفاخر بها . وكيف يكون ذلك وعلى حدود الجزيرة العربية دول كدولتي الفرس والروم يعرفها العرب ويخبرونها .

ولم يكن بإمكان الإسلام – إثر ظهوره مباشرة – أن ينتزع ذلك التكوين النفسي الذي ربتّه الأجيال السالفة ، بل استلزم الأمر تربية جديدة على هدي هذه التعاليم الوافدة . وكان الجديد حقاً في تاريخ الجزيرة العربية ، والذي ظهر بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام ، والذي يعتبر انقلاباً سياسياً في حياة سكانها ، هو نشأة الدولة الإسلامية ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ويمكن تحديد بداية نشأتها عقب **هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم** إلى يثرب ، فتاريخها مقترن بالتاريخ الهجري ، وقد ظهر إثر ذلك عنصر



العلاقات الدولية في الإسلام

(السلطة) متركزاً في شخص الرسول الكريم باعتباره قائد جماعة المسلمين وأميرها. وأخذت بعد ذلك دولة الإسلام تتسع وتكبر حتى زالت دولة الفرس، ودولة الروم، واحتلت الدولة الإسلامية الجديدة مركز الصدارة في الشرق الأوسط، واتخذت عاصمة لها (**المدينة**) في عهد الرسول وصحابته ثم (**دمشق**) في عهد الدولة الأموية، ثم (**بغداد**) في عهد الدولة العباسية.

وبالرغم مما عرف عن الفقهاء المسلمين من عمق البحث واتساع الأفق، فقد تناولوا بالدراسة والبحث تنظم علاقة الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول، إلا أنهم لم يضمّنوا ذلك كتباً بذاتها تقابل كتب القانون الدولي العام في يومنا هذا. **فكتاب (الخراج) لأبي يوسف**، وكتاب (الجهاد) للطبري يتعرضان لمسائل تدخل في نطاق القانون الدولي، كما أن **كتاب (السير الكبير) لمحمد بن الحسن الشيباني** يكاد ينفرد بتخصصه في شرح القواعد التي تنظم العلاقات الدولية في الإسلام زمن الحرب، وقد جعله في ستين دفتراً وأرسله إلى **الرشيد**، وهو يتضمن كل أصول الحرب وأحكامها، وقد سبق به الشيباني جهابذة القانون الدولي الغربيين أمثال (**جروسيوس Grotius**) و (**فيتوريا Vittoria**) و (**سوريز Saurez**).

وقواعد القانون الدولي في الإسلام ليست قواعد وضعية، بل هي قواعد شرعية تشكل جزءً لايتجزأ من الشريعة السمحاء، مستقاة من النبع الثرّ، كتاب الله وسنّة رسول الله. يأتي بعدها المعاهدات والأوامر والوصايا، كذلك إجماع الفقهاء باعتبارها مصادر مكملة لها.

وبالمفهوم الحديث للقانون الدولي، يمكن لنا أن نفصّلها كما يلي:

★ **أولاً ـ السلطة: Autorité** ويقصد بها سلطة العقيدة (التي وردت بالكتاب والسنّة).

★ **ثانياً ـ المعاهدات والمواثيق: Traités** التي تبرم بين الدولة الإسلامية وغيرها.

★ **الفقه: Doctrine** ويشمل الفتاوى والشروح والتعليقات والآراء المستخرجة بالقياس والاجتهاد.

★ **العرف: Coutume** وهو من أكبر المصادر وأغزرها في القانون الدولي الوضعي.

إن طبيعة الدعوة الإسلامية تضفي طابعاً خاصاً على القانون الدولي. فالقانون الدولي في التعريف الحديث له هو «قواعد تنظم العلاقة بين مجموعة من الدول في الحرب وفي السلم، بين مجموعة من الدول المستقلة المكتملة السيادة، التي تترابط عرفاً، أو اتفاقاً، على قدم المساواة، وعلى أساس **التبادل المطلق** Régle de la Prociprocité، وهو يقوم على **مبدأ الإقليمية** Principe de la Territoralité فينبسط سلطان الدولة ـ بحسب الأصل ـ على أرضها، وما فوقها، وما تحتها، دون أن يمتد إلى ما وراء ذلك». وإن هذا المفهوم يختلف تماماً عن الشريعة الإسلامية. **فالدعوة الإسلامية بطبيعتها (دعوة عالمية)** تقوم على اعتبار شخصي إنساني أكثر من أي اعتبار إقليمي. ولا يتصور بالنسبة لها أن تكون الحدود الإقليمية عامل تفرقة بين الدول المسلمة. فالمسلم أياً كان مقامه يدين بالطاعة والولاء لخليفة المسلمين (الذي أجمع الفقهاء على ضرورة قيامه كعنصر جوهري في حياة الدولة الإسلامية لحفظ الشريعة، وتدبير مسائل الأمة) حتى ذهب بعض الغلاة في عهد **الدولة الفاطمية** إلى إعطائه صبغة «لاهوتية» ينكرها الإسلام، ويتبرأ منها (كما يظهر في ديوان **ابن هانئ الأندلسي**، ورسائل **إخوان الصفا**). بل إن الإسلام يوجب على أتباعه الدعوة إليه والتبشير به، من أجل أن يعم ربوع الأرض جميعاً، حتى يسود الإسلام، وتعلو كلمة الله، عند ذلك تنتفي الحاجة إلى تنظم العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، بل يكون الأمر عبارة عن تنظم العلاقات بين المسلمين فيما بينهم من جهة، والمسلمين وغير المسلمين «داخل الدولة الإسلامية» من جهة أخرى. وهذا ما جعل البعض يزعم:

١ ـ أن فكرة القانون الدولي في الإسلام تتسم بالوقتية أو المرحلية بحسبان أنه يهدف في النهاية أن يجتمع الناس جميعاً تحت لواء الحب والسلام، وتنقطع أسباب الخلاف فيما بينهم والتنازع حين يقيمون الدين ولا يتفرقون فيه.

٢ ـ كما يزعم هؤلاء أيضاً بالمقابل أن أحكام القانون الدولي الوضعي ثابتة غير موقوتة لما يفترض من قيام أكثر من دولة واحدة. والغريب بهؤلاء أن ينعتوا مبادئ القانون الدولي في الإسلام بصفة الوقتية وحدها، بينما نرى الدول تسعى اليوم في سبيل التقارب إلى درجة الحديث عن مشروع **حكومة عالمية**. فهل تغضّ هذه الآمال من قيم مبادئ القانون الدولي الوضعي وتحمل البعض على تسميتها بالوقتية؟ على أن الوقتية في أي قانون ليست عيباً. فالمشرّع يشرّع لحاجات الجماعة، وحاجات الجماعة في تطور مطّرد. ومن المضحك حقاً أن نرى داع يدعو للإبقاء على الجرائم والكف عن محاربتها، حتى يبقى للقانون دوامه وسلطانه، وحتى لا يصلح المجتمع ويرقى بالتهذيب والتعليم، ويفترض انقطاع حاجته إلى تعديل القوانين. ومن الطريف أن بعض دساتير **الثورة الفرنسية** قد نصت على أنها دائمة مؤبدة لا يجوز تعديلها، إلا أن هذا النص لم يمنع من أن تنهار هذه الدساتير بعد إعلانها بقليل.

إن أمل الإسلام أن ينشر لواءه على سائر الأرض، وسعيه إلى تحقيق هذا الأمل بالحكمة والموعظة الحسنة لا يغض أو يتعارض مع المبادئ الثابتة التي وضعها ووقّتها لتكون دستور العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين. وإذا كان الإسلام لا يعرف مبدأ الإقليمية، وكان قانونه الدولي قانوناً وقتياً، فقد أخذ بمبدأ التبادل، وطبّقه تطبيقاً كاملاً، معطياً بذلك أحسن المثل للدول الحديثة.

قال الله تعالى في كتابه الكريم **﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾** يقول **الشيخ محمد عبده** تفسيراً لهذه الآية الكريمة: «إن الله قد بيّن قاعدة عظيمة، معقولة. وهو أن الحرمات، أي ما يجب احترامه، والمحافظة عليه، يجب أن يجري فيه القصاص والمساواة». وقد استدل **الإمام**

الشافعي بالآية على وجوب قتل القاتل بمثل ما قتل به ، بأن يذبح إذا ذبح ، ويخنق إذا خنق ، ويغرق إذا أغرق ، وهكذا . وقال مثل ذلك في النصب والإتلاف . والقصد أن يكون الجزاء على قدر الاعتداء بلا حيف ، ولا ظلم . ويضيف **الدكتور عبد الفتاح حسن** إلى ذلك المماثلة في قتال الأعداء ، كقتل المجرمين بلا ضعف ولا تقصير ، فالقاتل بالمدافع والقذائف النارية أو الغازية السامة ، يجب أن يقاتل بها . ويقول الله تعالى بعد شرح القصاص والمماثلة ﴿ **واتقوا الله** ﴾ فلا تعتدوا على أحد . ولا تظلموا في القصاص بأن تزيدوا في الإيذاء . نصل من ذلك إلى السؤال التالي : **كيف تتولى هذه القواعد تنظيم العلاقة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ؟ وما هي سبل الإسلام لتجنب الحروب ، ونشر مبادئه في العلاقات الدولية ؟** الإسلام دين أمن وسلام . إنه يقوم على الود والتسامح ، ولا يجيز الحرب إلا في حالات خاصة محدودة ، بحيث تعتبر فيما عداها جريمة . وقد سبقت في ذلك المألوف في الدول الغربية بأحقاب طويلة .

إن **أوروبا** لم تعرف التفرقة بين **الحرب العادلة** (La Guerre Juste) وهي مباحة ومشروعة ، **والحرب غير العادلة** (La Guerre Injuste) وهي محرّمة وغير مشروعة إلا إبّان العصور الوسطى ، وتحت تأثير الدين المسيحي . إلا أن هذه الفكرة السامية التي أوحى بها الخلق الديني خلال قوته وسيطرته ، لم تلبث أن انهارت بتدهور العلاقات الدولية ، وقيامها على أسس أخرى غير مبادئ الحق والعدالة . وقد سادت حتى نهاية **الحرب العالمية الأولى** في عام (١٩١٨ م) ، فكرة كون الحرب حقاً من حقوق الدولة الطبيعية ، ومظهراً من مظاهر سيادتها . فالدولة حرة ، تعلن الحرب وقتما تشاء وعندما تملي عليها مصلحتها ذلك ، دون أن يحدّ حريتها في ذلك حدّ . اللهم إلا اتباع بعض الإجراءات الشكلية .

سلام الإسلام .. وسلام الأمم

وقد حاول **ميثاق عصبة الأمم** أن يتجنب نشوب الحرب (انظر المواد ١٠ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٥ من ميثاق عصبة الأمم) كما حاول ذلك **ميثاق باريس المعروف باسم ميثاق (بريان كلوج** (Briand Kellog) الموقع في ١٩٢٨/٨/٢٧ م . إلا أن التجربة العملية أثبتت فشل كل من ميثاق عصبة الأمم ، وميثاق باريس في منع الحرب فاندلعت **الحرب (الإيطالية ـ الحبشية)** ثم اندلعت **الحرب العالمية الثانية** . ظهر بعد ذلك **ميثاق الأمم المتحدة** ، كتجربة جديدة لإنقاذ الإنسانية والحضارة البشرية من دمار محقق ، والحماية الآمنين في ديارهم من المؤتمرات (ذات المستوى العالمي) والتي تقوم بها فئة ضئيلة بتقرير مصير ملايين البشر . وقد حرمت الأمم المتحدة استعمال القوة أو التهديد باستعمالها في العلاقات الدولية . وحرم الميثاق الحرب ولم يستثنها إلا في حالة الدفاع الشرعي (مادة ٥١) .

كل هذه المحاولات الدولية التي رأيناها في عصرنا هذا ، وشرّعها الإسلام منذ أربعة عشر قرناً ونيف ، وطبقها عملياً في علاقة الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول . هذا الإسلام المفترى عليه ، الذي كثيراً ما وصفه خصومه بالرجعية تارة ، وبالقسوة وبالتعصب تارة أخرى ، أولئك الذين أعمى الله قلوبهم وأبصارهم فاندفعوا وراء الهوى ، واستحكمت فيهم العواطف والنزوات ، وراحوا ينشرون سمومهم حيث يسهل لهم ذلك . مثال ذلك ما نشره (**مجيد قدوري**) في كتابه (**الحرب والسلم في القانون الإسلامي**) ، كذلك كتاب **(الإسلام وما يلزمه) لمؤلفه (و. نورمان)** ، وقد سخّر الله للدفاع عن الإسلام من غير العرب من تولّوا الردّ على هذه الأكاذيب والافتراءات . من ذلك ما نشره الأستاذ (**هاك A. Haque**) في كتيب صدر في (لاهور) بالهند عام ١٩٣٢ م ، عن (**مساهمة الإسلام في السلام العالمي**) يقول في ذلك : « إن الأمم تبذل الكثير من الجهود وتعقد المؤتمرات لمنع التسليح ومنع الحرب ، أو للتقليل من فرص إعلانها . ولكن جهودها باءت جميعاً بالفشل . ذلك لأن الدول ، إذ تتعهد ، لا تقيد نفسها بالمعاهدة إلا حين تنعدم عندها الوسيلة لنقضها . حتى إذا ما توفرت عندها القوة الكافية لذلك ، أعلنت أن المعاهدة التي أبرمتها ، وارتبطت ببنودها ، حبر على ورق . ويقدم لنا التاريخ الكثير من الأمثلة على ذلك . **ولو طبقت أحكام الإسلام فيما يتعلق بالحروب أو الجهاد تطبيقاً كاملاً ، لوجد العالم فيها جنته التي يبحث عنها بدلاً من الجحيم الذي هو مسوق إليه** ، ليطيع كل منا دعوة الله تعالى التي يقول فيها ﴿ **كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ ، والإسلام خارج العالم العربي والإسلامي أحوج ما يكون لأن ينقّى من الشوائب التي دست عليه . ويجب أن يظهر أمام الناس والعالم بثوبه الحقيقي ، فيرون جوهره الأصلي ، ويحكمون على الإسلام على أساس حقيقة الإسلام ، وليس على أساس ما يراد منهم أن يروا فيه . ما كان الإسلام يوماً ليقيم العلاقات الدولية على التقاتل والتحارب . ولم يكن المسلمون يوماً بالمتعصبين ، وكيف يسوغ ذلك في دين يأبى التعصب الممقوت ، الذي يقوم على كراهة غيره من الأديان . وهو يقرر أنه جاء مصدّقاً لما بين يديه من **التوراة والإنجيل** ﴿ **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ** ﴾ .

إن الدعوة الإسلامية لم تعتمد في نشرها أبداً على القوة . وهل يمكن أن تكون القوة أداة إيمان القلوب ، وتفتح البصائر ؟ أو أن يكون الإكراه ، أساس الإيمان القلبي والاعتقاد ؟ ﴿ **لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ** ﴾ . يقول **الفخر الرازي** تفسيراً لهذه الآية الكريمة : إنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للمعذرة ، قال بعد ذلك : إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل ، عذر للكافر ، في الإقامة على كفره ، إلا أن يقسر على الإيمان ، ويجبر عليه . وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا ، التي هي دار الابتلاء . إذ إن في القهر والإكراه على الدين ، بطلان معنى الابتلاء والامتحان . ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ . ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ . ﴿ **وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾ . ﴿ **ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ . ﴿ **وما أنت عليهم بجبار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ .

العلاقات الدولية في الإسلام

وقد يزعم بعض أعداء الإسلام بأن أساس العلاقة الدولية في الإسلام بين المسلمين والكفار، هو القتال والحرب حتى يسلموا، إلا أن يكون بالمسلمين ضعف وبمخالفيهم قوة. وما أسهل الرد عليهم من أن الكفر وحده ليس سبباً كافياً للقتال، ومن أنه لا يجوز قتال الرهبان، والنساء، وغيرهم ممن لا يد له في القتال؟. وقد جاء في **صحيح مسلم** عن بريدة، أن رسول الله كان يقول: «**اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الوليد، ولا أصحاب الصوامع**».

يقول **ابن تيمية** في مؤلفه (السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية): وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهب، والشيخ الكبير، والأعمى، والزمن، ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل، بقوله أو فعله. وإن يكن بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان، لكونهم مالا للمسلمين، والأول هو الصواب. لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله... وفي السنن عنه **صلى الله عليه وسلم**، أنه مرّ على امرأة مقتولة في بعض مغازيه، قد وقف عليها الناس، فقال: «ما كانت هذه لتقاتل. وقال لأحدهم: إلحق خالداً، فقل له، لا تقتلوا ذرية ولا عسيفاً». وفيها أيضاً عنه عليه السلام أنه كان يقول: «**لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة**».

وذلك أن الله تعالى، أباح من قتل النفوس ما يحتاج إليه في صلاح الخلق. كما قال تعالى ﴿**والفتنة أشد من القتل**﴾ أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد، ففي فتنة الكفار من الشر والفساد، ما هو أشد. فمن لم يمنع المسلمين من إقامة دين الله لم تكن مضرة كفره إلا على نفسه.

العلاقات التجارية

من هذا فإن العلاقة التي تربط الدولة الإسلامية، مع غيرها إنما تقوم في أصولها على الود والسلم، فهي القاعدة في العلاقات الدولية. حتى أن الفقه الإسلامي قام بتنظيم العلاقات التجارية والمبادلات بين دار السلم ودار الحرب. والإسلام يشجع على التجارة، كما يدعو المسلمين أن يسعوا في الأرض. ولقد شجع الإسلام دخول غير المسلمين دار الإسلام للاتجار فيها. وله الأمان أربعة شهور قابلة للتجديد إذا لم تنته تجارته خلالها، كما أن له أن يطلب البقاء في دار الإسلام عاماً على أن يدفع الجزية كذمي، وله عندئذ الانتقال في سائر ديار الإسلام بحرية كاملة، فيما عدا الأماكن المقدسة. وقد وضع الفقهاء قيداً هاماً على تبادل الخدمات بين دار الإسلام ودار الحرب. فلا يجوز تصدير المواد الحربية إلى دار الحرب (وقد اختلف الفقهاء في تحديد نطاقها) فإذا خرج التاجر الأجنبي على هذا التحريم فلا يبطل البيع وإنما يلتزم بإعادة بيع ما اشتراه من الممنوعات، قبل مغادرته دار الإسلام. ويرى أبو يوسف: أن يضع الإمام مسلحات عند حدود دار الإسلام، تقوم بتفتيش التجار الأجانب، وتمنع تهريب المواد الممنوعة. كما لا يجوز للتاجر الأجنبي في دار الإسلام أن يتعامل جهرة فيما تحرمه الشريعة الإسلامية كالخمر والخنزير. وقد أجاز (**الحنفية**) للمسلم من جهة أخرى دخول دار الحرب للتجارة. وخالفهم في ذلك (**المالكية**) خشية أن يتعرض المسلم للشرك. يقول **ابن حزم**:

«إن على الإمام ألا يجيز للمسلم دخول دار الحرب، إلا للجهاد، أو لحمل الرسائل إلى رؤساء الدولة. وكما هو الحال في تجارة الأجنبي في دار الإسلام، يمتنع على المسلم أن يتاجر فيما هو ممنوع، أو أن يلجأ في تجارته إلى الربا. كما يمتنع عليه أن يتاجر في الضار من النبات والحيوان. أو أن يحمل إلى دار الحرب ما يكون فيه على تقويتها من الناحية الحربية».

أما في العقوبات، فقد سوّى الإسلام بين المسلم والذمّي في أحكام (الديّات) و (الضمان) و (التعاذير). كما سوّى بين الزوجة المسلمة وغير المسلمة فيما لها على زوجها من حقوق. بل أوجب حسن المعاشرة بين المسلم وبين الذمّي. قال الله تعالى ﴿**اليوم أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾.

العلاقات الاجتماعية

ويسجّل هنا الإسلام سبقاً ما وجد قبله ولا ابتدعه العقل البشري من قواعد التفاهم الدبلوماسي في عالم اليوم. وإذا كان دعاة التعايش السلمي يقولون بتعايش المذاهب السياسية والاجتماعية المختلفة في عالمنا هذا في سلام وحسن جوار، وهم لا يقصدون من قولهم هذا إلا الشيء اليسير القليل، نجد الإسلام يدعو إلى أكثر من ذلك، فهو لم يدع إلى التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين فحسب، بل تجاوز ذلك إلى المودة والمصاهرة، وهل هناك أقوى من رابطة الدم؟ وذلك حينما أباح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب، وسوّغ له مواكلتهم، وأوصى أن تكون مجادلتهم بالتي هي أحسن، ومن المعروف أن المحاسنة هي رسول المحبة وطريق الألفة، والمصاهرة إنما تكون بعد التحابّ بين أهل الزوجين، والارتباط بينهما برباط الائتلاف (تفسير المنار جزء ٢، صفحة ١٩٥).

كما سجل الإسلام في المجال الاجتماعي صحائف من نور، فأوجد نوعاً من **الضمان الاجتماعي** يرقى على كثير من التشريعات المعاصرة في عالم اليوم.

جاء في كتاب **خالد بن الوليد** إلى أهل الحيرة: «وجعلت لهم (أي المسيحيين) أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياً فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام. فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسلام،

فليس على المسلمين النفقة على عيالهم».

كما جاء في كتاب (الخراج) لأبي يوسف: «ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذي يتصدق عليه ولا من أعمى، لا حرفة له ولا عمل، ولا من ذمّي تصدق عليه. ولا من مُقعد. والمقعد الزمن إذا كان لهما يسار، أخذ منهما، وكذلك الأعمى، وكذلك المترهبون والذين في الديارات، إذا كان لهم يسار أخذ منهم. وإن كانوا إنما هم مساكين يتصدق عليهم أهل اليسار منهم لم يؤخذ منهم».

فإذا كانت الدول المتقدمة في عالم اليوم تمنح الضمان الاجتماعي لأبنائها في تشريعات، فإن الدولة الإسلامية إنما منحت الضمان الاجتماعي حتى لغير المسلمين من العاجزين عن الكسب بآفة (كالعمى الزمن) أو بسبب جائحة مالية تصيب الرجل الذي يفتقر بعد غنى. وينظر الحاكم المسلم في أمر المحتاج، فإما أن يكتفي بإعفائه من (الجزية) وإما أن يجري أيضاً عليه رزقاً يكفيه وعياله من بيت مال المسلمين.

مما تقدم نجد بأن **السلام هو الأصل إذاً في علاقة المسلمين بغيرهم**. وهو من طبيعة هذا الدين الحنيف الذي ما قام على السيطرة والاستغلال والتوسع، بل حارب الاستغلال والعدوان، وشرّع التكافؤ والمساواة بين الناس. وجعل مقياس التفاضل بينهم التقوى، والعمل الصالح. بل إن التحية التي يلقيها المسلمون في لقائهم ووداعهم هي: «السلام عليكم» وهي الدليل على منزلة ومكانة السلام في الإسلام.

وما كان لأعداء الإسلام أن يتركوا الإسلام يحرر الشعوب من سلطانهم وهم صاغرون. وما كان للمسلمين أن ينسوا ما لاقوه من أئمة الكفر من عدوان، منذ بدأت رسالة الإسلام ودعوته إلى الله في الأرض.

من وهنا وجد الإسلام أن القوة ضرورة مطلوبة، فاعتمد لهذا سياسة واقعية حكيمة. وقام بتنظيم الحرب، وتحديد الحالات التي تتوجب فيها، والغاية التي يتوجب أن تقف عندها. وذلك تحديداً – على قدر المستطاع – لأهوالها ومخاطرها. ولم تنفرد بهذا الشريعة الإسلامية بل إن **المسيح (عليه السلام)** الذي يقول: «إذا صفعك شخص على خدك الأيمن، فأدر له الأيسر». يقول أيضاً: **«لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً. بل سيفاً»**. (إنجيل متى – إصحاح ١٠، آية ٣٤). كما يقول: **«فقال لهم: لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً»**. (إنجيل لوقا، إصحاح ٢٢، آية ٣٦).

القتال في الإسلام

والحالات التي أجازها الإسلام للقتال تتلخص فيما يلي:

١ – أجاز الإسلام القتال، إذا تنازعت فئتان مسلمتان: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾. يقول **القرطبي**: «إنه لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما، أما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً، أو لا. فإن كان الأول، فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين، ويثمر المكانة والموادعة. فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا، وأقاما على البغي، صير إلى مقاتلتهما. وإما إن كان الثاني، وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغي، إلى أن تكف وتتوب. فإن فعلت أصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل. فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما، وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة، بالحجة النيّرة، والبراهين القاطعة عن مراشد الحق. فإن ركبتا متن اللجاج، ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه، ونصحتا به، من اتباع الحق بعد وضوحه لهما، فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. **فلا يجوز إذن للمسلمين الوقوف مكتوفي الأيدي، أمام خلاف يطرأ بين جماعتين مسلمتين. بل يدعوهم الواجب إلى التدخل لإنهاء حالة النزاع، طوعاً أو كرهاً. وذلك حتى يعم السلام والوفاق بين المسلمين، ولا يتفرقوا فيشمت فيهم عدوهم، ويستشري بينهم الضعف والفساد».**

يقول **الطبري**: ولو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه، ولزوم المنازل لما أقيم حد ولا أبطل باطل. ولو وجد أهل النفاق والفجور، سبيلاً إلى استحلال كل ما هو محرم عليهم من أموال المسلمين وسبي نسائهم، وسفك دمائهم، بأن يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم. وذلك مخالف لقوله عليه السلام: «خذوا على أيدي سفهائكم».

٢ – في قتال غير المسلمين إذا أصاب المسلمون ظلم استثناء من علاقة المسالمة معهم. فتحل لهم الحرب رفعاً للظلم، تطبيقاً لقاعدة الدفاع الشرعي التي تحلها الأعراف الدولية جميعاً. فالإسلام لا يقبل للمسلم المذلة والهوان. **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾** وما دام القتال هنا دفعاً للظلم فلا يحل للمسلمين أن يكونوا هم البادئين بالعدوان. يقول **أبو حنيفة** (رحمه الله): الجهاد واجب على المسلمين، إلا أنهم في سعة من ذلك حتى يحتاج إليهم. وكان **الثوري** يقول: القتال مع المشركين ليس بفرض، إلا أن تكون البداية منهم، فحينئذ يجب قتالهم دفعاً بظاهر قوله تعالى **﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾**. وتطبيقاً لذلك، أحلّ القتال إذا ما أخرج المسلمون من ديارهم:

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾.

فشرّعت الآية الكريمة القتال، عندما يُبغى المسلمون بظلم، ويُكرهوا على الهجرة، والخروج من الديار والأوطان بغير حق.

٣ – القتال دفعاً للفتنة: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين. فإن انتهوا فإن الله غفور

العلاقات الدولية في الإسلام

رحيم . **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾** . وتحدد هذه الآية الكريمة الأسباب التي تحلل فيها الحرب للمسلمين وذلك يكون : عند الاعتداء على المسلمين ، وإخراجهم من ديارهم ، وانتهاك الحرمات ، ومحاولة فتنة المسلمين فيما يدينون . كما تبيّن أوجه الركون للسلم عند المسلمين . ويكون ذلك : برفع الظلم ، ورد الاعتداء ، والقضاء على الفتنة ، ولقد قال الله تعالى في كتابه العزيز **﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ﴾** .

ولقد **نظم الإسلام القتال تنظيماً أخلاقياً** فأوجب وقبل البدء به : الدعوة إلى الإسلام . عن **عطاء بن يسار** أن **النبي صلى الله عليه وسلم بعث علياً رضي الله عنه** مبعثاً ، فقال له : « امض ولا تلتفت ، قال يا رسول الله ، كيف أصنع بهم ؟ قال : إذا نزلت بساحتهم ، فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فإن قاتلوك ، فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً . فإن قتلوا منكم قتيلاً ، فلا تقاتلهم حتى تريهم إياه ، ثم تقول لهم : هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلا الله ؟ فإن قالوا نعم ، فقل لهم : هل لكم أن تصلوا ؟ فإن قالوا نعم ، فقل لهم : هل لكم أن تخرجوا من أموالكم الصدقة ؟ فإن قالوا نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك . والله لأن يهدي الله على يديك رجلاً ، خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

وعن **عبد الرحمن بن عائذ** قال : « **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم** إذا بعث بعثاً قال : تألفوا الناس ، وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت ، من مدر ولا وبر ، إلا أن تأتوني بهم مسلمين ، أحبُّ إليّ من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

كما أن **الإسلام يمنع الغدر** ويستوجب إعلان الحرب . قال تعالى **﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على السواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾** . وهذا المبدأ الأخلاقي الإنساني لم يستطع القانون الوضعي أن يقرر شبيهاً له إلا منذ عام ١٩٠٧ م ، بمقتضى **مؤتمر لاهاي** ، حين أوجب ألا تبدأ الأعمال الحربية إلا بعد إخطار سابق لا لبس فيه .

كما وضع الإسلام القواعد لتأمين المبعوثين والمفاوضين : جاء **ابن النواحة ، وابن آثال** ، رسولا **مسيلمة ، إلى النبي صلى الله عليه وسلم** ، فقال لهما : « أتشهدان أني رسول الله ؟ قالا : نشهد أن مسيلمة رسول الله . فقال رسول الله عليه السلام : آمنت بالله ورسوله . لو كنت قاتلاً رسولا لقتلتكما » .

كما **أوجب العناية بالمرضى والجرحى ، ومنع تعذيب العدو أو قتله غيلة ، وهي** أمور قد نظمتها منذ عام ١٨٦٤ م ، اتفاقية جنيف المعدلة بمعاهدة عام ١٩٠٦ م ، ثم باتفاقية ٢٧ تموز (يوليو) عام ١٩٢٩ م ، علماً بأن ما تقرره للمرضى والجرحى من حماية أقل بكثير مما قرره الإسلام .

كما يمنع الإسلام الحرق والإتلاف خلال الحرب : بعث **أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، يزيد بن أبي سفيان** على جيش ، فأتى براحلته ليركب فقال : « بل امش . فقادوا راحلته وهو يمشي ، وخلع نعليه وأمسكهما بأصبعيه ، رغبة أن تغبرّ قدماه في سبيل الله . ثم قال : إني موصيك بعشر فاحفظهن : إنك ستلق أقواماً زعموا أنهم قد فرغوا أنفسهم لله في الصوامع ، فذرهم وما فرغوا له أنفسهم . وستلق أقواماً قد حلقوا أوساط رؤوسهم فافلقوها بالسيف ، ولا تقتلن وليداً ، ولا امرأة ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا تعقرنّ شجراً بدا ثمره ، ولا تحرقنّ نخلاً ، ولا تقطعنّ كرماً ، ولا تذبحنّ بقرة ، ولا شاة ، ولا ما سوى ذلك من المواشي إلا لأكل » .

وقد نظم الإسلام المعاهدات ، وحرص على الوفاء بالوعد ، فقرر صفة الإلزامية بالمعاهدة ، وضرورة احترامها وتنفيذ بنودها كاملة . فهي نوع من العقد ملزم لطرفيه .

﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ .

والمعاهدات في الإسلام كانت على الغالب قصيرة . وكانت المعاهدات الأولى دينية وسياسية ثم ظهرت بعد ذلك **المعاهدات الاقتصادية** . وقد فرّق المسلمون بين المعاهدات الدائمة والمؤقتة . **فالدائمة إن كانت مع ذمي ، والمؤقتة إن كانت هدنة في حرب** . وقد اختلف الفقهاء في تحديد مدتها . فذهب **الحنفية والشافعية** إلى أن معاهدة السلم مع المسلمين لا يجوز أن تزيد مدتها على عشر سنين ، وذلك قياساً على **معاهدة (الحديبية)** ، وذهب البعض إلى أن معاهدة الحديبية لم تبق عملياً هذا القدر ، وذهبوا إلى أنه لا يجوز أن تزيد على ثلاث أو أربع سنوات . وذهب بعض **الحنابلة** إلى أنه يجوز للإمام أن يبرم مع غير المسلمين معاهدة تزيد عن عشر سنوات إذا اقتضت المصلحة ذلك . كما هو الحال عند ضعف المسلمين ، وعدم قدرتهم على مواصلة القتال وإنهائه مع العدو .

وخلاصة القول ، إن تقرير وقتية المعاهدة أو ديمومتها أمر موكول للإمام ، فيقرر فيه ما يراه أكثر ملاءمة لصالح المسلمين . وإذا رأى الإمام إضرار المعاهدة بمصالح المسلمين جاز له أن ينقضها ويستأنف القتال ، على أن يعلن ذلك جهاراً :

﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ . ولكي لا يفاجأ المسلمون ، حث الإسلام على التربية العسكرية وإعداد القوة اللازمة لإرهاب العدو ، فإنه لا يطمع الشرير في الاعتداء ، إلا استضعافه لمن يرغب في العدوان عليه . وقد أمر الإسلام بالاستعداد وتربية الشباب وتدريبه على فنون القتال .

وأخيراً ، **فقد اقتصر الإسلام على القدر الضروري جداً والمحدود في الاستعداد للحرب في مسيرته للسلام والسلم** ، فهل يريد مهاجموه أن يلغي الحرب ؟ ويسلم نفسه وأتباعه لمن يؤمنون بالحرب ويشعلون أوارها ؟ ونرى اليوم الكثيرين من دعاة السلام حتى الذين يقولون إن الجيوش إلى زوال ، يتسلحون بأحدث الأسلحة وينفقون الملايين من أجل ابتكار وسائل للدمار ،

تهدد الأرض ومن عليها . إن نظرة الإسلام [redacted] من جهة ودفاع عن العقيدة ومرافق الحضارة والعبادة **من جهة ودفاع عن العقيدة ومرافق الحضارة والعبادة** حين يجب الدفاع عنها : **﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾** . يقول **الشيخ شلتوت شيخ الجامع الأزهر** : يجدر بالناس أن يرجعوا إلى تشريع القرآن في معاملة من لا يدينون بالإسلام ، من أهل العهد والذمة . كما يجدر بهم أن يقرأوا سيرة الخلفاء الراشدين ، والأمراء العادلين مع الذين لا يدينون بالقرآن ، وسيعلمون عن حجة وبيّنة لا عن ظن وتخمين ، مقدار سماحة الإسلام ، في معاملة رعاياه من غير المسلمين ، ومحبته للسلم العام ، والتضامن الإنساني ، سيعلمون مبلغ السمو في تشريعه الإنساني العام ، الذي جذب قلوب الناس إليه ، عن طوع واختيار والذي عاش في كنفه غير المتدينين به ، قروناً طويلة لا يشكون ضيماً ولا يبخسون حقاً . ويقول **الدكتور منير العجلاني** في تفسير حديث رسول الله **(الجنة تحت ظلال السيوف)** : « إن الغربيين فهموها على أن الإسلام دين قوة ، وأنه يطلب بالسيف كل شيء ، حتى الجنة في السماء . أما الواقع فإن محمداً إنما جاء لينسخ آية القوة تذلّ الحق ، بآية الحق تعزه القوة ، فإن دعا إلى السيف فقد دعا إلى سيف كريم ، لا يخرجه من غمده العدوان ومطالب الطمع والكبر . ولكن يخرجه الدفاع ومطالب الحرية والكرامة فهو سيف الله ، تدق به أبواب الجنة ، وتنصر قوى الخير على قوى الشر » . فلم يكن قتال العرب تحت لواء محمد قتال غرائز متمردة ، ولكنه كان قتال نفوس نبيلة مهذبة ، من هذا كان للقتال عندهم أسباب تبرره وآداب تحوطه .

والجهاد فريضة من فرائض الإسلام قائمة إلى يوم الدين ، وعلى المسلمين أن يقوموا بها كي يؤدوا دورهم الذي أنيط بهم منذ أن استخلف الله الإنسان في الأرض ، ولا يتوقف الجهاد إلا أن يعم الإسلام الأرض ويسود السلام والأمن والطمأنينة ، أو تنتهي الحياة ، وهو أعلى مراتب الأعمال[1] . وكما يقول رسول الله : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » (رواه الترمذي من حديث معاذ) . ويقول : « ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار » (رواه البخاري) . ويقول : « عينان لا تمسها النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله » [redacted] **الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان »** (رواه مسلم) .

كما يقول **الإمام علي بن أبي طالب** : « الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه » . . ويقول : **(لويس لوفور)**[2] في كتابه الحقوق الدولية العامة : « لم يكن اعتبار الدول لمبدأ عدم التدخل مطلقاً لأنها خالفته تجاه تركيا التي مازالت تختلف عن بقية الدول المسيحية الخاضعة للقوانين العامة . وقد تكرر تدخل الدول الأوروبية بشؤونها وأصبحت قضايا البلقان والدانوب من القضايا المستمرة التي كانت تضرم النار بين حين وآخر في البلاد ، وهكذا عادت القضية الشرقية للظهور في خلال القرن العشرين » .

ويقول في موضع آخر حول **(القناصل في البلاد غير المسيحية)** : « لعب القناصل في الشرق حيناً من الدهر دوراً عظيماً بفضل دور الامتيازات الأجنبية التي كانوا يتمتعون بها . وهذه الامتيازات التي عرفت في تركيا نتيجة معاهدة عقدها **(فرانسوا الأول)** وامتدت إلى بقية البلاد الخارجة عن المسيحية **(الحبشة ، مصر ، مراكش ، الشرق الأقصى)** إلا أنها ألغيت في تركيا **بمعاهدة لوزان** . كان القنصل يقوم في منطقته بوظائف القضاة حتى أنه في تركيا كان يمارس صلاحيات القضاة الجزائريين ، كما له حق حماية الكاثوليك » . مما يدل على مدى احترام الدولة الإسلامية لحقوق رعاياها من غير المسلمين من جهة ، ومدى الامتيازات المعطاة لممثلي الدول المسيحية من جهة أخرى .

وأخيراً . . هل قدّر غير المسلمين هذه السماحة والمعاملة الكريمة التي لقوها ووجدوها من المسلمين في مختلف الأصقاع والأزمان . الجواب بالتأكيد بالنفي . إذ ما إن ضعفت الدولة الإسلامية وتقطعت أشتاتها حتى وجدنا الصليبيين يرتدون على ديار المسلمين ينهشون في جسدها ويستحلون حرماتها . والتاريخ يعرف كم كان حصاد المسلمين **في الأندلس** بعد زوال حكم المسلمين عنه ، **ومحاكم التفتيش** التي أقيمت هناك . وكم كان حصاد المسلمين **في القدس** وحدها يوم احتلها الصليبيون الذين لم يتركوا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً حتى سالت الدماء كالسيل في شوارع القدس الجريحة . والتاريخ يتحدث عن القساوسة ورجال الدين المسيحي واليهود الذين كانوا يقودون جحافل **(جنكيز خان)** و **(تيمورلنك)** و **(هولاكو)** إلى بلاد المسلمين ويغرونهم باستباحتها وهم الوثنيون ، حتى أظهر الله المسلمين عليهم وأسلم المغول وذابوا في ديار الإسلام .

والتاريخ بالتأكيد لن ينسى المذابح التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر ، ولا ما ارتكبه الصهاينة في فلسطين في قبية ونحالين ودير ياسين ، وأخيراً في لبنان في مخيمات صبرا وشاتيلا وغيرها مما يندى له جبين الإنسانية خجلاً وحياءً وكله باسم الدين ، والدين منهم براء ، وحاشى لله أن تكون هذه شريعته وأن يكون هؤلاء من عباده المؤمنين . إنها صورتان ، صورة لمعاملة الإسلام لغير المسلمين ، وصورة لمعاملة غير المسلمين من الكتابيين للمسلمين . وشتان بين الصورتين .

لقد صدق الدكتور (غوستاف لوبون) حين قال : ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب . وما كان يقصد العرب ، وإنما يقصد بالتأكيد الإسلام والمسلمين .

الهوامش

(١) مجلة « **الفيصل** » ، العدد (٦٢) ، من مقال للأستاذ محمود شاكر .

(٢) الأستاذ بمعهد الحقوق في باريس ، ترجمة سامي الميداني .

المراجع

(١) كتاب الله (القرآن الكريم) .

(٢) أحاديث رسول الله وسنّته .

(٣) كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ، للسيد أبي الحسن علي الحسني الندوي .

(٤) الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب ، لشيخ الأزهر المرحوم محمود شلتوت .

(٥) مقال للدكتور عبد الفتاح حسن عن (ميثاق الأمم والشعوب في الإسلام) .

(٦) مقال للدكتور منير العجلاني (الجنة تحت ظلال السيوف) .

(٧) كتاب الحقوق الدولية العامة للأستاذ (لويس لوفور) ، ترجمة الأستاذ سامي الميداني .

(٨) مقال (الجهاد) للأستاذ محمود شاكر ، عدد (٦٢) من مجلة « **الفيصل** » .

(٩) كتاب حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر .

(١٠) كتاب (الإسلام والعرب) ، تأليف ردم لاندو ، ترجمة منير البعلبكي .

كلمة طيبة

دروس من أحد

أحد من أيام الإسلام الكبرى ، وكان شيوخنا ، ونحن صغار يقولون لنا إنه كان يوم هـزيمة وعقـاب للمسلمين لأنهم خالفوا أمر رسولهم صلوات الله عليه ، وهؤلاء جميعاً فاتهم أن الله سبحانه وتعالى قد حدد عبرة أحد وبيَّن الدرس الذي أراد سبحانه أن يلقنه المسلمين يوم أحد في الآية ١٤١ من سورة آل عمران ﴿ وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ ، وقد حدد الله معنى التمحيص في آخر الآية ١٥٤ من نفس السورة ، وذلك حيث يقول سبحانه ﴿ قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتِلْنَا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لَبَرَزَ الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور ﴾ ، فالتمحيص هو الامتحان والاختبار ليبدو ما تخفي الصدور ، ليطلع كل مسلم على خطئه ونقصه فيتلافاه ، حتى يكون إيمان المسلمين أصفى وأقوى وأطهر ، ويكون إدراكهم للُباب الإسلام أعمق . وإذن فأحد لم تكن هزيمة وإنما كانت درساً واختباراً وامتحاناً وتصفية لقلوب المؤمنين . فالتمحيص يكون للمؤمنين حتى يكونوا أصدق إيماناً . أما التفرقة بين المؤمن وغير المؤمن فتكون بالتمييز . قال الله سبحانه في نفس سورة آل عمران ﴿ ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ ، ويتجلى هذا المعنى في الآيتين ٣٦ و٣٧ من سورة الأنفال ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون . ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ﴾ .

وسورة آل عمران فيها أكثر من ستين آية تدور كلها على دروس يوم أحد وما ينبغي أن يفيده المسلمون منها لمستقبل أمتهم ، وتكمل هذه الآيات نحو عشر آيات من الأنفال . وسنخصص لها كلها بعض كلماتنا هذه وبالله التوفيق .

أما هذه الكلمة فأحب أن أستلفت فيها نظر قارئي العزيز إلى دروس النظام التي يلقننا إياها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم أحد .

وغزوة أحد كانت يوم السبت السابع من شوال سنة ٣ هـ/ ٢٣ مارس (آذار) ٦٢٥ م . وهي التاسعة عشرة من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي ليست التالية لبدر كما يظن الكثيرون ، فإن بدراً التاسعة وبينها وبين أحد تسع مغاز ، والمغازي تشمل الغزوات والسرايا والبعوث جميعاً .

وقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً في ١٢ ربيع الأول سنة ١ هـ/ ١٦ يوليو (تموز) ٦٢٢ م . فبين الهجرة ويوم أحد ٢٢ شهراً قريباً على وجه التقريب . وخلال هذه الفترة القصيرة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه أو أرسل بعض أصحابه في ١٩ عملاً عسكرياً ، أي بمعدل أكثر من عمل عسكري في الشهر ، لأن أولى سراياه صلى الله عليه وسلم كانت في رمضان سنة ١ هـ/ مارس (آذار) ٦٢٣ م ، وهي سرية سيف البحر التي قادها حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

واجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في موالاة المغازي يدل على أنه كان يرمي إلى تحويل أمة الإسلام التي كان يبنيها في المدينة إلى أمة مجاهدة في سبيل الله . فلم يكن في أمة الإسلام أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتلون وغير مقاتلين ، فكل الأمة مقاتلة . كل الأمة مجاهدة ، فهي أمة جيش أو هي جيش أمة : جيش الإيمان وأمة الإسلام ، وهكذا كان ينبغي أن تكون أبداً ، وما أصابنا البلاء إلا أننا غفلنا عن غوالي الحكم التي تتضمنها سيرة رسول الله صلوات الله عليه .

وفي موقعة بدر خرج المسلمون للقتال جيشاً منظماً له قيادة حكيمة وسمت جليل ، وجيش بدر على صغره كان أول جيش نظامي عرفته جزيرة العرب في تاريخها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عادت غزوة أو سرية بعث أخرى ، وقد يخرج اثنتين في نفس الوقت ، وهو يتخير لكل سرية قائداً جديداً حتى يظهر القادة ويتدربوا ويحسنوا فن الحرب المنظمة ، وفي موقعة بدر وحدها ظهر من المسلمين نحو العشرة من ذوي الملكات العسكرية المتميزة .

نظام من غزوة أحد

وسأستلفت نظر القارئ في هذه الكلمة على أعمال التنظيم المحكم الدقيق الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كل عمل من أعمال التنظيم درس لنا وعظة وعبرة . وسأتابع هنا وصف الواقدي لأنه أوفى مؤرخي المغازي وأضيف إليه ما يتيسر لي من كلام موسى بن عقبة وابن سعد في طبقاته ، وابن إسحاق عن ابن هشام ، والطبري وابن كثير . ولن أقف عند المقدمات ومناقشات المسلمين حول القتال في المدينة ، أو الخروج إلى العدو ، بل سأبدأ من اليوم الذي قرر رسول الله فيه الخروج للقاء المشركين خارج المدينة وذلك بعد المشاورة وتبادل الرأي ، وكان رسول الله حريصاً أبداً على أن يشاور أصحابه في كل ما أهم الجماعة من شؤون الدنيا ، يقيناً منه صلى الله عليه وسلم بأن الشورى وتبادل الآراء واحترام المسلمين بعضهم لآراء بعض هي أسس قوة جماعة المسلمين .

١ ـ بدأت الشورى يوم الخميس عندما تيقن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن المشركين يقتربون من المدينة ، ويوم الجمعة انتهى الرأي إلى الخروج ، فصلى رسول الله الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والجهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، وخرج الناس حيث أعلمهم رسول الله بالشخوص إلى عدوهم ، ومعنى هذا في مصطلحنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى أمر القتال .

٢ ـ ثم صلى رسول الله العصر وقد حشد الناس ودخل معه أبو بكر وعمر .

٣ ـ وصُفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه .

[illegible] وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم ، واعتم وتقلد السيف . ومعنى ذلك أنه خرج في كامل عدته العسكرية .

٥ ـ ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الألوية ، فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حُضير ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب .

٦ ـ ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرسه فركبه وأخذ قناة (رمحاً) بيده والمسلمون متلبسون السلاح قد أظهروا الدروع (كان فيهم مائة دارع) ، فلما ركب رسول الله خرج سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ، كل منهما دارع والناس عن يمينه وعن شماله حتى سلك على « البدائع » ثم زقاق الحِسيَ حتى أتى أُطُمَيْ الشيخين وانتهى إلى رأس الثنية . وهنا أراد بعض اليهود من حلفاء عبد الله بن أبي أن ينضموا إلى المسلمين فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا يُستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك .

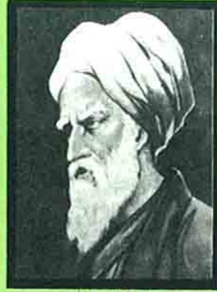
٧ ـ وعند أطمي الشيخين عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس .

٨ ـ وهنا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب ثم العشاء وأقام على الناس حرساً يحرسونهم بالليل يقودهم محمداً بن مسلم في ٥٠ رجلاً .

٩ ـ وأصبح الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين حتى انتهى إلى أحد فلبس درعاً أخرى ومغفراً وبيضة فوق المغفر ، فلما انتهى إلى أحد صف المسلمين وسواهم في مواجهة المشركين وصلى رسول الله الصبح . وهنا انصرف ابن أبي بمن معه فلم يحفل له رسول الله ، وجعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل جبل عينين عن يساره وأقام عليه عبد الله بن جبير مع الرماة وأمرهم ألا يغادروا أماكنهم مهما حدث . فانظروا والله إلى هذا النظام الدقيق الذي كان رسولكم صلوات الله عليه يسير عليه .

د. حسين مؤنس


★ الخوارزمي ★


★ الرازي ★


★ إسحاق نيوتن ★

دعـــوة إلـــى تصحيح تاريخ

ما زلت أذكر، ما انتابني من شعور بالزهو والفخار، عندما قرأت عبارة منقوشة بماء الذهب في سقف مكتبة الكونجرس الأمريكي، نصها كالآتي: الينبوع الأول للحضارات جميعاً إنما هو «مصر الفرعونية» وأما الينبوع الأول للحضارة في العلوم الطبيعية، إنما هو «العصر العربي الإسلامي».

ولكن من أسف أن تاريخ العلوم الطبيعية، وهي التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار كالطبيعة والرياضيات والكيمياء والأحياء والجيولوجيا والطب والصيدلة والبيطرة والهندسة وما إليها، هذا التاريخ الحديث يهمل مع الأسف الشديد من زرعوا بذور هذه الشجرة السامقة وجذورها الأصيلة الممتدة عبر التاريخ، تلك التي غدت تسبغ ظلالها الوارفة على العالم المتحضر من أقصاه إلى أقصاه.

تلك البذور التي أنبتها العرب في العصر الإسلامي منذ نحو أربعة عشر قرناً، أولئك الذين استطاعوا أن يبنوا دولة امتدت من حدود الصين شرقاً إلى حدود فرنسا غرباً في أقل من قرن من الزمان، إنما كان ذلك كذلك بالإسلام أولا، وبالعلم ثانياً. بالإسلام ديناً وعقيدة وقيماً، وخلقاً من أمانة وصدق ووفاء، وشهامة وكرم، وبالعلم من حساب وجبر ورياضيات ومن فيزياء وكيمياء وطب وصيدلة وهندسة وفلك، ومن وضع لأسس المنهج التجريبي والطريقة العلمية، فما أحرانا أن نعمل على تصحيح تاريخ العلم، ونذكر لكل ذي فضل فضله، فيعرف طلابنا من الأجيال الصاعدة دورهم في تأصيل العلم ونشره.

تجاهل .. ونسيان

فإذا ذكر **المنهج التجريبي**، ذكرت أسماء عدد من علماء النهضة الأوروبية، مع أن العلماء العرب والمسلمين هم أول من ابتدعوه، فقد تعلموه من القرآن الكريم حين يقول **﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾** (سورة الغاشية، الآيات ١٧ ـ ٢٠)، وليس المقصود بالنظر مجرد تقليب الحدقة، ولكن المقصود التفكير والتدبر والتأمل وإجراء ما يلزم من تجارب ودراسات للتحقق من هذه الحقائق.

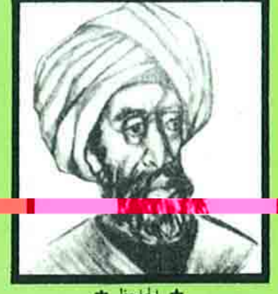
وإذا ذكرت **الطريقة العلمية**، تواردا اسم **السير «فرانسس باكون»**، وتُنوسي أو تُجوهل اسم العالم العربي **«ابن الهيثم»** الذي أدرك من دقائق الطريقة العلمية ما لم يدركه باكون، بل سما عليه سمواً، فيما يقول أستاذنا المرحوم **«مصطفى نظيف»**.

وإذا ذكرت **الجاذبية**، تردد اسم **«نيوتن»**، وكيف كان يجلس في الحديقة ورأى تفاحة تسقط على الأرض، فقال إنها جاذبية الأرض وتناسوا ما قاله **الخازن** من أن الأجسام تقع على الأرض بسبب قوة جاذبة، وإن هناك علاقة بين السرعة والمسافة والثقل.

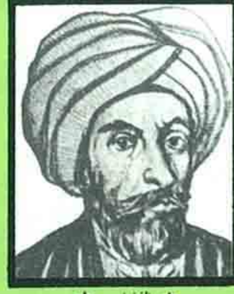
بل تحدث عدد من العلماء العرب عن **قانون الجذب العام**، هو الذي يربط الأفلاك بعضها ببعض، و **﴿كل في فلك يسبحون﴾** (سورة الأنبياء، الآية ٣٣).

وإذا ذكرت **الدورة الدموية**، قالوا إن مكتشفها هو **السير «وليم هارفي»** ونسوا أو تناسوا ما قاله **ابن النفيس** من أن الدم ينتقل من القلب إلى الرئة ليجدد الهواء، ولم يقل الأكسيجين، فلم يكن قد اكتشفت بعد، **لقد كشف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي بمئات السنين**.

وإذا ذكرت أمراض **الحصبة والجدري** ذكروا أطباء من الغرب ونسوا أو تناسوا ما قاله **أبو بكر الرازي** في هذا المجال من تشخيص وتفريق بين المرضين في أدوارهما الأولى، ونسوا ما قيل عن الرازي من أنه أبو الطب العربي، وقديماً قالوا إن الطب كان معدوماً فأوجده


★ الجاحظ ★


★ البيروني ★


★ الفارابي ★

...في العلم

بقلم: د. عبد الحليم منتصر

أبقراط من العصر الإغريقي ، وميتاً فأحياه **جالينوس** من العصر الإسكندري ، ومشتتاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فأكمله **ابن سينا** ، وتناسوا أن كتابي الحاوي في الطب للرازي ، والقانون لابن سينا ظلا يدرسان في جامعات أوروبا عدة قرون .

وكذلك قيل إنه إذا كان **أرسطو** هو المعلم الأول ، فإن **الفارابي** هو المعلم الثاني ، **وابن سينا** هو المعلم الثالث .

وإذا ذكرت **« سرعة الضوء »** أو الصوت ، ذكروا علماء الغرب ، وتناسوا **ابن الهيثم** الذي أبطل **نظرية الشعاع** التي نادى بها **بطليموس** من علماء الإسكندرية ، وهي التي تقول إن شعاعاً يخرج من العين ، ويسقط على المبصر ثم يرتد إلى البصر فترى الصورة ، فقال ابن الهيثم في بساطة إن من المستحيل أن يخرج هذا الشعاع من العين ويقطع هذه الآلاف من الأميال ليسقط على نجم في السماء ، ثم يرتد إلى البصر فترى الصورة ، وإنما يحدث الإبصار مباشرة بسقوط الضوء من المبصر إلى البصر فترى الصورة .

وأجرى ابن الهيثم تجربة حسب بها سرعة الضوء ، وكان ابن سينا يقول بالسرعة الآنية للضوء ، أي إن الضوء ينتقل في الآن بلا زمان ولكن ابن الهيثم أبطلها وحسب سرعة الضوء التي نعرفها الآن .

وإذا ذكر الحساب والنظام العشري والصفر والكسور ، تنوسي **الخوارزمي** الذي جلب لنا الأرقام الهندية ١ ، ٢ ، ٣ . . . والأرقام العربية 1, 2, 3 والنظام العشري الذي استبدل بالنظام الستيني وبحساب الجُمَّل مما يسَّر العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة بدلا من الحساب بالحروف أو ما يسمى بحساب الجُمَّل ، حين كانت حروف الهجاء تستعمل بدلا من الأرقام .

وإذا ذكرت **الصيدلة** وعلومها نسوا **ابن البيطار وداود الأنطاكي** وغيرهما ممن كان لهم الفضل في تأسيس هذه العلوم ووصف المئات والألوف من النباتات الطبيعية وطرق تحضير الوصفة الدوائية منها ومن أي أجزاء النبات ومقدار الجرعة وموعد تناولها .

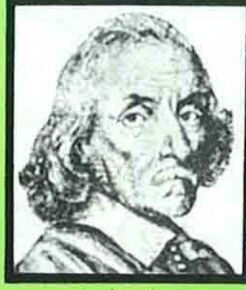
ولعلنا لا ننسى في مجال **الكيمياء « جابر بن حيان »** الذي حضَّر نحو سبعين مادة كيميائية وعرف خصائصها وتفاعلاتها من أحماض وكبريتات وكلوريدات ، وما إليها ، وهو **أول من عرف أن النحاس يكسب اللهب لوناً أخضر** ، وكان يقول عليك بالتجربة يا بني ، فإن لكل صنعة أساليبها ، واتبع التعليمات جيداً ، وهو أول من أوصى بإعادة التجربة ثلاث مرات حتى تتأكد من صحتها .

ولعلنا لا ننسى كذلك **الرازي يكتشف خيوط الجراحة** من معي الحيوان ، **وتجربة مرهم الزئبق** مع القرود قبل الإنسان ، وتحضيره لبعض الأحماض ، وتحضيره للكحول من تخمير المواد الكربوهيدراتية .

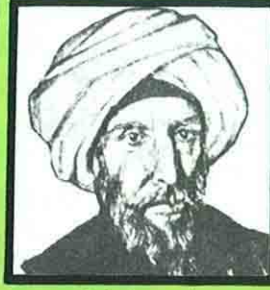
وإذا ذكر **الضغط الجوي** ، قالوا **شارل وبويل** ومن إليهما ، وتنوسي ما قالته العرب من أن وزن الجسم في الهواء يقل عن وزنه الحقيقي ، وإن للهواء قوة رافعة كالسوائل حسب قاعدة **أرشميدس** ، وإن وزن الجسم قرب سطح الأرض يختلف عن وزنه على ارتفاع معين ، حسب ارتفاع عمود الهواء فوقه .

وإذا ذكرت **علوم النبات والزراعة** نُسي الأقدمون العرب من أمثال **أبي حنيفة الدينوري وابن العوام وابن وحشية وابن سينا** ممن أبدعوا في هذه العلوم ، وأذكر أني نسيت أن أذكر أبا حنيفة الدينوري في إحدى جلسات المجمع ، فاعترض بعنف أستاذنا المرحوم **« رضا الشبيبي »** فاعتذرت أني لم أكن قرأت كتاباً في النبات إلا معنعناً ، ثم أتيح لي بعد ذلك أن أقرأه وقد حققه أحد المستشرقين (**المستشرق « لوين »**) .

وإذا ذكرت **علوم الحيوان** من شكل وتشريح مقارن ، وسلوكه ، تنوسي **الجاحظ في كتابه « الحيوان »** ، **والدميري في كتابه « حياة الحيوان الكبرى »** ، ويعتبر الباحثون المحدثون الجاحظ أستاذاً في علم الشكل وفي علم الحيوان التجريبي والتشريح المقارن حيث كان يبقر بطون الحيوان ويقارن بين أجهزتها المختلفة ، كما يعتبر أستاذاً في علم سلوك الحيوان .



★ ولیم هارفي ★



★ ابن خلدون ★

دعوة إلى تصحيح تاريخ العلم

وإذا ذكر **علم البيئة** وأثرها في حياة الكائنات الحية ذكر « **لامارك** »، وتنوسي أو تجوهل آثار **ابن خلدون** وغيره ممن أبدعوا في هذا المجال .

وليس معنى ذلك أننا ننسى أو ننكر أفضال علماء النهضة الأوروبية وعلماء العصر الحديث ، ولكن يجب أن يعترف الجميع أن هذه الشجرة السامقة الباسقة تمتد جذورها إلى العصر العربي الإسلامي ، فقد أفاد العرب من علماء العصر الإغريقي والعصر الإسكندري وبلغت الترجمة ذروتها في عصر **المأمون** ، فتقاطر المترجمون من كل رجا من أرجاء الأرض على بغداد ينقلون إلى العربية علوم الأقدمين من كل اللغات من إغريقية وسريانية ويونانية وقبطية وفارسية وهندية ، فقد كان المأمون يدفع وزن ما يترجم ذهباً ، وكذلك تمثل العرب أعمال من تقدمهم من أعلام ثم بنوا صرحاً شامخاً استمر عدة قرون .

أوليات العرب والمسلمين

ولعلنا لا ننسى في هذا المقام أن **العلماء العرب والمسلمين هم أول من قال إن الشمس مركز الكون ، وليست الأرض كما قال بذلك بطليموس من علماء العصر الإسكندري** ، فقد قال بذلك « **البيروني** » ثم « **ابن الشاطر الدمشقي** » وكان مؤذناً لجامع دمشق ، ولكنه كان يهوى صناعة النماذج والأدوات أثبت به أن الشمس هي مركز الكون وأن دوران الأرض حول نفسها وحولها هو ما يسبب تتابع الليل والنهار ثم الفصول المختلفة .

وكذلك كان العرب أول من أشار وقاسوا محيطها منهم **موسى بن شاكر وبنوه** قاسوا زاوية الميل درجة واحدة كل ٦٦٢/٣ ميلاً — وربطوا بين القمر وعملية المد والجذر وكذلك كان **جابر بن حيان** أول من قال بقانون الأوزان المتكافئة وأسماه « علم الميزان » ، وكذلك **كان موسى بن شاكر أول من ألف في الميكانيكا وأسماه « علم الحيل »** ، وكذلك سبق ابن سينا إلى القول بالجنس في النبات قبل **لينيس** بمئات السنين ، كما سبق إلى التشخيص بالعصارة في النبات ، وفي ذلك يقول تعالى مشتبهاً وغير متشابه ، كما سبق إلى القول بالمسانهة في الأشجار ، أي أن الشجرة تحمل عاماً ولا تحمل عاماً آخر ، أو تحمل عاماً حملاً ثقيلاً ثم حملاً خفيفاً .

وكان الرازي أول من قال **بالتجربة الضابطة** ، وهي أن يجرى العلاج على نصف المرضى ويترك النصف الآخر ، كما قال **بالتشخيص التفريقي** وأثر الوراثة في الأمراض وتوارثها . وقد صحح ابن النفيس لجالينوس قوله : بوجود ثقب في القلب بين البطينين ، كما صحح **البغدادي** لجالينوس قوله إن الفك الأسفل يتكون من عظمتين ، مما يدل على أن العلماء والأطباء العرب مارسوا التشريح فعلاً .

وكان ابن سينا أول من قال إن الرجل وليست المرأة هي المسؤولة عن الذكورة في الجنين ولا يمكن أن يجحد فضل **ابن ماجد** بحار العرب الأول ولا **الإدريسي** أو **المسعودي** في رحلاتهم البحرية والجغرافية وصنع **الأسطرلاب المعدني والإبرة المغنطيسية والمزاول** وما إليها ممن ساعدتهم على كشوف رائعة في أعالي البحار والهند وإفريقيا .

لقد ساعد على هذه النهضة العلمية العارمة أربعة عوامل : أولها حرية الرأي العلمي ، **وثانيها** رعاية الدولة للعلم والعلماء والإنفاق السخي في هذا المجال ، **وثالثها** ترفع العلماء عن التكسب بالعلم ، **ورابعها** الاستعداد العقلي والذكاء مع الصبر والاصطبار .

كما انتقلت هذه العلوم إلى أوروبا عبر أربعة معابر : **أولها** الأندلس حيث استمر فيها الحكم العربي زهاء ثمانية قرون ، **ثانيها** عن طريق صقلية حيث استمر العرب هناك ثلاثة قرون ، **ثالثها** الحروب الصليبية التي استمرت نحو قرنين ، **رابعها** عن طريق الفتح العثماني لشرقي أوروبا ولعله أن لا يطول بنا الزمن لنعود إلى قيادة الإنسانية كما فعل أسلافنا أول مرة والله ولي التوفيق .

الترابط بين
العلم والمعرفة

● تتميز طرق العلم لدى الإنسان بأنها تربط بين الحقيقة المجربة وبين التفكير الواعي بوسيلة لا يمكن الخلط فيها .

● تحاول الروح المعادية للعلم دوماً صرف الناس عن دراسة الواقع ودفعهم إلى نسج نظريات وهمية خيالية .

● الإنسان الذي يثقف نفسه الثقافة العلمية ينطبع في نفسه المزاج العلمي .

بقلم : سمير عبده

لم يصبح العلم عنصراً هاماً في تحديد شكل الحياة اليومية للناس عامة إلا في أثناء المائة والخمسين سنة الأخيرة . لقد كان لمائة سنة من العلم تأثير ضخم عجز عن إحداث مثله خمسة آلاف سنة من ثقافة ما قبل العلم . ولعل من الارتجال أن نظن أن الأثر الضخم للعلم قد استنفد طاقته ، بل لعل من الخطأ أن نظن أنه بلغ ذروته . فأغلب الظن أن العلم سيستمر قروناً ليحدث تغييرات تزيد سرعتها على الأيام ، وإذا شئنا أن نتدبر أثر العلم في الحياة البشرية ، فعلينا أن نبحث أموراً ثلاثة ، ينفصل بعضها عن بعض بدرجة قد تزيد وقد تقل . أولها : طبيعة المعرفة العلمية ونطاقها ، وثانيها : قوة الاستخدام العملي المشتقة من النهج العلمي ، وثالثها : ما لا بد أن ينشأ عن الصور الجديدة للتنظيم الذي يتطلبه النهج العلمي من تغيرات في الحياة الاجتماعية ، والأنظمة التقليدية .

العلم يعني معرفة الحقيقة

يتعاطى العلم المعرفة الحقيقية ، فالطموح نحو معرفة الحقيقة والبحث عنها يشكلان خصوصية العلم ويسمحان بتفريقه عن بقية مجالات الوعي ، ويسمح لنا محتوى العلم أن نتنبأ أيضاً بالتغيرات المستقبلية في الطبيعة والمجتمع ، لأن العلم يكشف قوانين واتجاهات التطور فيها ، وقد اكتسب العلم وضعاً جديداً في الوعي الاجتماعي ، فصار يمثل الآن ذروة تطور سائر أنواع الوعي الاجتماعي ، مردوده ونتيجته ، وغدا واحداً من المجالات الكبرى التي ينتظم فيها الوعي الاجتماعي ككل ، بالتطابق مع الوظائف التي يحققها .

ورائد العلم هو توسيع أوجه الشبه التي نتلمسها من بين الحقائق لنزيد من سعة النظام في العالم سعياً وراء تحقيق وحدة العالم ، ذلك أن هدف العلم هو تحقيق الكمال ، وهدف كل بحث علمي هو تجميع خيوط العالم في نسيج منظم .

وطالما أن العلم معرفة فلا بد أن يعتبر ذا قيمة ، لكنه إذ يكون تكنيكاً فإن قضية ما إذا كان سيحمد أو سيذم تعتمد على الفائدة التي تجنى من التكنيك . إنه في ذاته محايد ، لا هو خير ولا هو شر ، وإن أية وجهة نظر قاطعة يمكن أن نتخذها حول ما يرجح هذه الكفة أو تلك يجب أن تأتي من مصدر آخر غير العلم .

إن العلم أداة خلاقة ، أداة للبناء وهو ليس بالملوم إن حرَّف الناس أنفسهم مقاصده واستغلوا طاقاته في الهدم والإفناء . إن العيب ليس في العلم ولكن في ذات أنفسنا ، العيب مرده إلى التناقض في شخصيتنا ، في تربيتنا ، في سلوكنا . إننا ننحي باللائمة على العلم ونحمله كل ما نقع فيه من أخطاء لأننا لا نريد أن نعترف بأخطائنا . . إن الخطأ الأكبر الذي أدى إلى ما نتردى فيه من مخاطر هو عزلنا العلم عن الحياة الاجتماعية .

لقد صنع العلم للبشرية الكثير ، وأنقذها من الكثير من الويلات ، ومهما تكن جوانبه التي استغلت لإحداث الدمار وإفناء مئات الألوف من البشر ، فإن ما أحدثه من خير يفوق بكثير ما ترتب على سوء استغلاله من ضرر . وإن

نظرة موضوعية إلى جوانبه المضيئة تكشف عما أداه للبشرية جمعاء من جليل الخدمات ، وإذا كان لشيء أن يوصف بأنه بنّاء وخلّاق في الوقت نفسه ، فالعلم وحده هو الذي يستحق هذين الوصفين جميعاً .

إن ما نسعى لتحقيقه ــ سواء في ميدان العلم أو في حياتنا اليومية ــ إنما هو نظام لكشف المجهول ، والمبادئ التي تهدينا في كشفنا ليست آخر الأمر بأكثر من خطوات حسابية . ليست الحياة نوعاً من الامتحان نحاسب على خطواتنا فيها ، بل المهم هو الحصول على الجواب الصحيح ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن نؤسس نظاماً للكشف لا على أي مبدأ ، اللهم إلا محاولة استنباط الجواب الصحيح ، وهذا هو بالضبط ما تقوم به كل النباتات والحيوانات . يتجنب الوطواط العقبات التي تصادفه بإطلاق صراخ لا نسمعه ثم يستقبل صدى ذلك الصراخ . إن أي نظام استنبطه هذا الحيوان لتحويل صدى الصوت هذا إلى توقع إنما حصل عليه عن طريق التطور الذي اهتدى إليه بالتجربة والمحاولة . يعمل جهاز الرادار كل ذلك بطريقة عملية ، ولو أن الخطوات الحسابية في عمل الرادار لا تفوق تلك التي لدى الوطواط ولا تقل عنها . فمثلاً استكشف الوطواط بعملية التطور قديماً أن أفضل الأطوال في موجات الإرسال هي موجات السنتيمتر التي يستخدمها أيضاً جهاز الرادار . إن عملية تلقف الكرة تعتبر نوعاً من التوقع ، وكذلك الطفل الذي يطلق بطائرته الورق في الجو ، أو القط الذي ينتظر عند مدخل جحر الفأر ، كل هذه الأفعال تحتاج نوعاً من التوقع ، وتذكرنا هذه الأمثلة بأن من مهمة عملية التوقع ، وكذلك مهمة العلم ، أن يجعلنا نقوم بعمل الشيء الصحيح في الوقت المناسب تقريباً .

هناك عاملان يجب توافرهما لكي نعمل بطريقة علمية ، أو لكي نتصرف بطريقة إنسانية ، هما الواقع والفكرة . لم يوجد العلم فقط للبحث عن الحقائق أو ليكتفي بالتفكير المتزن ، وتتميز طرق العلم لدى الإنسان بأنها تربط بين الحقيقة المجربة وبين التفكير الواعي بوسيلة لا يمكن الخلط فيها . ففي العلم ــ كما في

الترابط بين

العلم والمعرفة

حياتنا ــ استمرار لاستكشاف الحقائق ثم التفكير فيما يمكن أن يفيدنا هذا الكشف ثم العودة إلى الحقائق مرة أخرى لعمل التجارب وكشف الجديد ، خطوة وراء خطوة ، من التجربة إلى النظرية وهكذا إلى ما لا نهاية .

العلم يطور تفكيرنا للمستقبل

لقد حرك كل مظاهر الحياة وظللنا جامدين على قيمنا لم نحركها لنساير المجتمع الجديد . إن العلم غالباً ما يتهم بأنه حطم قيمنا التي تعارفنا عليها أجيالاً ثم لم يضع شيئاً ليحل محلها ، والعلم براء من هذا فهو لم يزد عن أن كشف سعة الهوة بين قيمنا تلك وبين عالمنا الجديد . ونحن بدورنا لم نمكن للعلم من أن يدخل إلى عقولنا ويحتل مكاناً فيها ، فكيف بنا والحالة هذه نسائله لماذا لم يخلق قيماً جديدة ، أنى له أن يخلقها وهو لم يجد بعد مكاناً في عقولنا .

من المشكوك فيه الآن أن تثير فينا وتيرات التطور للعلم في المستقبل قلقاً . فالقسم المخصص لتطوير العلم من الموارد الاجتماعية ما يزال صغيراً جداً بالأرقام المطلقة وبالقياس إلى تلك النفقات التي تصرف على التسلح مثلاً وعلى الإعلانات والأغراض غير الإنتاجية الأخرى . ونحن نعتقد أيضاً أنه لا يجوز مطلقاً الخوف من الوتيرات العالية لتطور العلم ، تلك الوتيرات التي تخوف منها (**فاينبرغ**) ، ما دام العلم بالذات في التحليل الأخير يتيح تأمين الحاجات الحيوية للمجتمع الإنساني .

إن الروح المعادية للعلم هي التي تحاول دوماً صرف الناس عن دراسة الواقع ودفعهم إلى نسج نظريات وهمية خيالية نابعة من أذهانهم وحدها ، وهي الروح التي يجب على كل واحد منا (سواء أكان يشتغل بالبحث العلمي أو يفكر في كيفية استعمال صوته في الانتخابات) أن ينبذها من ذهنه ، ذلك لأن إتقان فن التفكير والتمكن منه ليسا إلا البداية في إنجاز مهمة فهم الواقع ، وبدون الحصول على الحقائق الواقعية الصحيحة يسوقنا فن التفكير هذا إلى الخطأ والضلال .

نحن نهم بالعلم حينما تكون عملية التوقع عملية واعية وليست هذه حق في الإنسان النوع الوحيد من عمليات التوقع . فهناك إلهامات صحيحة عند بعض الناس لم تحلل قطعاً في خطوات عقلية ، وبعضها قد لا يحلل أبداً . ربما يقال ــ كما يدعون في بعض الأحيان ــ إن معظم الناس يحسن إلى حد ما عملية تخمين نوع ورق اللعب المقلوب ، بينما يكون بعضهم أكثر نجاحاً في ذلك من آلة تعطي إجابتها بناء على مجرد المصادفة ، وقد لا يكون في ذلك كله مدعاة للعجب ، لأنه مهما يكن فليس العقل البشري مجرد آلة يعطي تخميناته بطريق المصادفة كجدول به أرقام اعتباطية . حقاً لقد انتخبتنا الطبيعة خلال عملية تطور سريعة نسبياً ، لأننا نملك هبة التوقع بنسبة أكبر مما لدى الحيوانات الأخرى . وما الذكاء العقلي إلا إحدى هذه الهبات ، وهو أصلاً شيء عجيب ولا تفسير له . وحينما يتجه الذكاء العقلي نحو المستقبل ويخرج باستنتاجات من التجارب الماضية إلى غد مجهول ، فإن نجاحه لهو في حد ذاته سر كبير .

إن الخريطة التي نعدها ــ كما لو كانت خريطة جيولوجية ــ تبيّن الطبقات التي عليها بنيت مهارتنا الفنية ، فإن مهارتيْ العقل واليد تمضيان معاً ، وكما أظهر صانعو الآلات وبناة المكنات في القرن الثامن عشر تكون دقة فهمنا للطبيعة من حولنا في دقة أجزاء الآلة التي بها نستكشف الطبيعة ونسيطر عليها ، وكذلك كما أظهر التقدم الكامل في نظريات الكم من معادلات **ماكس بلانك** الأولى عام ١٨٩٩ م ، حتى وصلنا إلى مرحلة تخزين القنابل الذرية ، فإن نجاحنا العلمي أسس على مهارة وجرأة العقل في التمعن أثناء تعقيدات التجارب بدون أي اعتبار لنظرتنا الفلسفية .

في حالتنا الحاضرة من المدنية الغربية ، نميل أكثر فأكثر لاستخدام العقل وحده دون إعطاء

أي وقت أو فرصة لإلقاء نظرة شاملة أو التأمل أو الانسحاب ، وكل ما يعتبر اليوم علماً يؤدي لغرض معيّن ، وتسنده منح تجعل المشروع يسير في خط سيره المرسوم . والنتائج على جانب من الأهمية ، وخاصة تلك التي تتضمن تطبيقات عملية ، وتتراكم أكداس من المعلومات لم تهضم قط. **وقد كتب الشاعر الإنجليزي ماسفيلد : إن المعرفة هي الذهن الذي يصد شهية الناس** ، وأنا على ثقة من أن ذلك صحيح إلى حد كبير ، **إن إضاعة الوقت قد أصبحت خطيئة** .

قد يكون هذا الكلام مناسباً للغرب ، ولكن شأن الشرق يختلف تماماً عن هذا المفهوم ، فهنا الحياة تضيع بضياع الوقت . . وروح العلم تكاد تكون نوعاً من العبادة ، لأنها تتضمن محاولة العقل للتغلغل في عجائب الكون من الذرات إلى النجوم ، ومن الحياة إلى الفكر ، وهذا هو لبه . ولكن لن يكون ارتياح النفس تاماً إلا إذا كانت ممارسة العلم مصحوبة ببعض الإدراك للجمال ، وحب كامن للطبيعة في شمولها ، ومتعة عند الوصول إلى كشف جديد ، وفي ظني أن الإنسان يجني أكبر فائدة بسبب هذا الشعور بتحقيق هذه الرغبة الذاتية . وبصفة عامة لا تأتي أعظم إلهامات العلم إلا إذا لم يكن البحث عنها مصحوباً بأي غرض سابق ، وعندما تكون النفس مستغرقة في التأمل ، وبدون هذه الروح قد يكون من الممكن استخدام طرق العلم وأساليبه ، خاصة للوصول إلى نتائج ذات أهمية عملية ، ولكنها لن تؤدي إلى الكشف عن أسرار الكون .

العلم ينمي ملكاتنا العقلية

إن الإنسان الذي يثقف نفسه بالثقافة العلمية ينطبع في نفسه المزاج العلمي . فهو يعتمد على القياس والتجربة ، وهو لا يستسلم حتى لمنطق الذهن المجرد لأنه لا يقنع بالتفكير فقط ، بل يزيد عليه التجربة باليد . فهو يفكر بذهنه ويده ، وهو لهذا السبب لا يرفض تصديق القصص عن العفاريت ومناجاة الأرواح وقراءة الكف وطالع الحظ وما إلى ذلك فقط ، بل هو لا يعرف كيف ينصت مستمعاً فقط إلى هذه القصص والأساطير لأن مزاجه العلمي قد بعث فيه اشمئزازاً حسناً من هذا السخف . والإنسان الذي يجهل أحد العلوم لا يصح أن يعالج دراسة ما لأنه يعالجها عندئذ بروح الجاهل الذي يخشى خطره لأنه يعتمد على استنتاجات لا تؤيدها التجربة .

مثال ذلك أقدم الروايات في الخليقة عند الشعوب المختلفة كانت مشحونة بالخرافات مملوءة من كل عجيب وغريب من التصورات الخاصة بالشعوب إذ كانوا في مهد الطفولة . فرواية سكان جزائر البحر الجنوبي في الخليقة على ما نقله لنا المرسل تورفر أبسط من ذلك ، لأنهم يعتقدون أن الأرض كانت أولا مغطاة كلها بالماء ثم انسحب الماء شيئاً فشيئاً ، وبعض السمك الذي كان في الماء حيث اليابسة اليوم تحول إلى حجارة .

هذه الروايات المشحونة بالخرافات تجعلنا نتساءل **ما السر في قدرة الإنسان الخارجية ؟ كيف استطاع أن يسيطر على البيئة وأن يجعلها تخدم أغراضه بهذه الدرجة العظيمة ، ومن المخلوقات ، كالحشرات والطيور ما يمارس أعمالا يمكن أن تقرن من الناحية الفنية والعملية إلى خير ما كان ينتجه الإنسان إلى ما قبل العصر الحديث** . على أن حيواناً آخر لم يطبع الأرض بأعماله كما فعل الإنسان . ويبدو أن الفرق الأساسي إنما يكمن في التخصص ، فمها تكن مهارات الأحياء الدنيا ، فإنها محدودة ، فكل نحلة تفقس تحمل معها قدراً من المعرفة يكفي لأن تصنع الشمع ، وتشكله على هيئة خلايا سداسية الشكل متفقة تماماً ، وأن تجمع الرحيق الذي يملأ الخلايا ، لكن مهارة النحلة تنتهي عند هذا الحد ، فهي لا تستطيع أن تعالج الخشب أو الألياف أو الطين أو تبتكر تصميماً آخر للخلايا . ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن ننكر الشعور بمقدرة هذا الكائن على صنع هذه الأشياء وغيرها .

إن أعظم الظواهر فائدة قد تكون أمنعها على الملاحظة ، أرأيت مثلاً كيف زادت معلوماتنا عن المادة بفضل اكتشاف **أشعة إكس** والنشاط الإشعاعي ، ورأيت كيف أن كلا هذين الاكتشافين ما كان ليحدث لولا فن التجربة في تمام إتقانه ؟ لقد جاء اكتشاف النشاط الإشعاعي عرضاً أثناء تحسين التصوير الفوتوغرافي . فقد كان لدى **بكرل** أقراصاً فوتوغرافية شديدة الحساسية ، وكان ينوي استعمالها ، ولكن لرداءة الجو ، وضعها جانباً في دولاب مظلم تصادف أن به بعض الأورانيوم ، فلما أخرجت ثانية وجد أنها قد صورت الأورانيوم برغم الظلام التام . وكان هذا الحادث العرضي هو ما أدى إلى اكتشاف ما للأورانيوم من نشاط إشعاعي . وهذه الصورة العرضية تقدم لنا مثلاً آخر على الحقيقة الدالة .

والقوانين العلمية تقوم في معظمها على الاستقراء ، ولو نظرنا إلى الاستقراء من حيث هو عملية منطقية ، لوجدناه عرضة للشك ، وعاجزاً عن إعطاء نتائج يقينية ، فالاستدلال الاستقرائي يجري تقريباً على النحو التالي : إذا كان فرض من الفروض صحيحاً ، فإن هذه الحقيقة وتلك ستكون إذن مشاهده . أما وهذه الحقائق مشاهدة ، فالفرض إذن صحيح على الأرجح ، ومثل هذه الاستدلالات تختلف درجاتها من الصحة باختلاف الظروف ، ولو أمكننا إثبات عدم وجود فرض آخر يصدق على الحقائق المشاهدة ، لأمكننا الوصول إلى شيء يقيني ، ولكن هذا الإثبات يكاد يكون غير مستطاع ، فلو أنك لم تر مطلقاً قطة بلا ذنب ، فإن أبسط فرض تنشئه في هذا الصدد هو (لكل القطاط أذناب) ، ولكنك لا تكاد ترى قطاً منكساً ، وهو ضرب من القطاط ليس له أذناب ، حتى نضطر إلى افتراض فرض أكثر تعقيداً . والمرء الذي يقول إنه ما دامت كل القطاط التي رآها لها أذناب ، إذن فلكل القطاط أذناب ، إنما يستخدم ما يسمى (بالاستقراء على أساس التعداد البسيط) وهو نوع من الاستدلال بالغ الخطر . ويرتكز الاستقراء في مراتبه التي تفضل هذه المرتبة على أن فرضاً يؤدي إلى نتائج تثبت صحتها ، لكنها كانت تبدو بعيدة أقصى البعد عن الاحتمال لو أنها لم تلاحظ .

مما يميز التقدم العلمي القلة المتزايدة في

الترابط بين العلم والمعرفة

عدد ما يتبيّن أنه حقيقة كائنة ، والكثرة المتزايدة فيما يتبيّن أنه استنتاج ، والاستنتاج يجري بطبيعة الحال بطريقة غير شعورية بالمرة ، إلا عند من مرنوا على الشك الفلسفي . ولكن ينبغي الا يعتبر أن الاستنتاج غير الشعوري صحيح بالضرورة . فالأطفال يحسبون أن طفلاً آخر على الجانب الآخر للمرآة ، ومع أنهم لم يبلغوا هذا الاستنتاج عن طريق المنطق ، فإنه مع ذلك استنتاج خاطئ .

وكثير من استنتاجاتنا غير شعورية ، وما هي في الواقع غير أفعال منعكسة شرطية اكتسبت في الطفولة الأولى ، لا تعرض للفحص المنطقي حتى يتبيّن أن الشك يكتنفها من كل جانب .

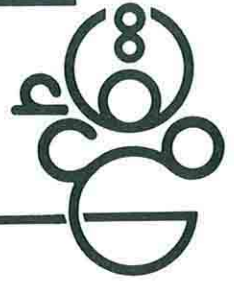
ومن عجب أن الشكوك في القيمة الميتافيزيقية للمعرفة العلمية لم يكن لها أي أثر في فائدتها لأساليب الإنتاج ، **فالطريقة العلمية وثيقة الصلة بفضيلة اجتماعية هي نزاهة القصد .**

لقد كان لظهور **العقول الإلكترونية** مرحلة جديدة في حياة الإنسان العقلية ، وخطوة جبارة في طريق التقدم العلمي ، فضلاً عن أنه فتح آفاقاً هائلة أمام المعرفة البشرية في مختلف ميادينها ، ذلك أن العصر الحاضر هو ، باعتراف الكثيرين ، **عصر الانفجار المعرفي أو انفجار المعلومات** . فكمية المعلومات في أي ميدان من ميادين البحث ، مهما كان مقدار تخصصه ، تتسع إلى حد يستحيل على العقل البشري ، مهما كان مدى قوة ذاكرته ، أن يستوعبه . وفي البلاد المتقدمة علمياً يتعيّن على الباحث ، قبل أن يشرع في عمل علمي جديد ، أن يكون ملماً بأحدث ما تم التوصل إليه في ميدانه حتى يفيد من جهود الآخرين ، ويبدأ من حيث انتهوا ، وحتى لا يكرر عملاً سبق لغيره القيام به في مكان ما .

أمّي!

شعر : رياض المعلوف

أحببتُ أمّيَ بعد ربّي ... أحببتها من كلِّ قلبي
يدها الكريمة كم أقبّلها ... وأغمرها بهدبي
أمّي .. وأية لفظة ... عن كل معنى الحب تنبي
قادتْ خطايَ فسرتُ لا أخشى ولم أعثُرْ بدربي
كم علمتني الدرسَ حتى صرت أقرأ كل كتبي
وأنا السعيد بحضنها ... ما بين دغدغةٍ ... ولعبِ
خافت عليَّ فطوقتني باليدين بكل حبِّ
خافت عليَّ من النسيم إذا النسيم يمسُّ ثوبي
وإذا مرضتُ أخالها ... مرضت معي جنباً لجنبِ
سَهِرَتْ عليَّ لياليا ... بِحَنَانِهَا وَغَفَتْ بقربي
لم أنس أمّيَ لا وذلك ليس من طبعي ودأبي
إن تسألوني أين أمّيَ قلت أمّيَ طيَّ قلبي





أحمد السباعي

الدولة التقديرية



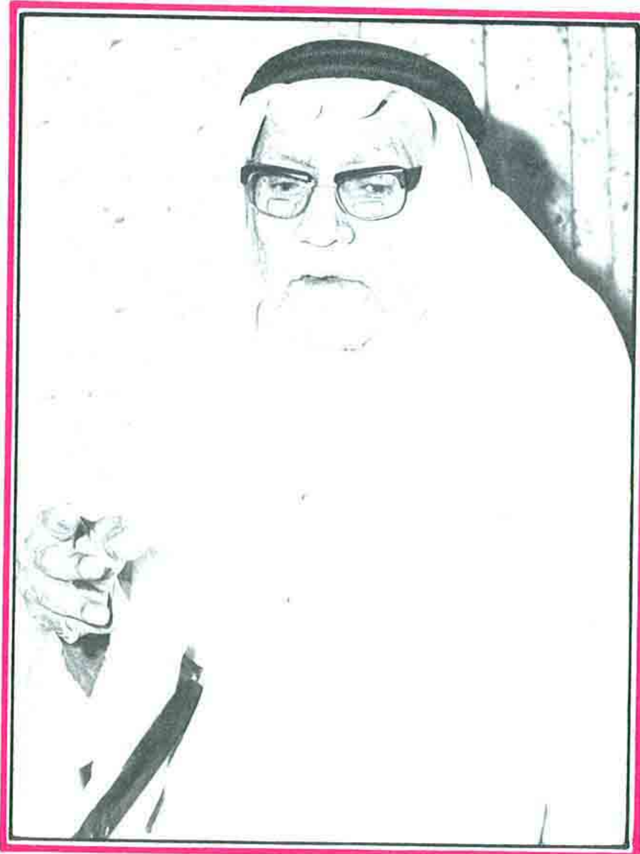
★ جلالة الفهد .. يسلم السباعي جائزته ★

لقد كانت تلك الفترة مرحلة تأسيس وبناء لمملكة أصبحت اليوم في مصاف الدول العصرية بمعطياتها ونهضتها في جميع المجالات .

ويأتي تكريم الدولة لرجال الفكر من خلال إنشاء **«جائزة الدولة التقديرية»** انطلاقاً من تقديرها الحضاري لدور الفكر والعلم والأدب في النهضة والبناء والتطور .



★ السباعي في شبابه بالزي الحجازي التقليدي ★



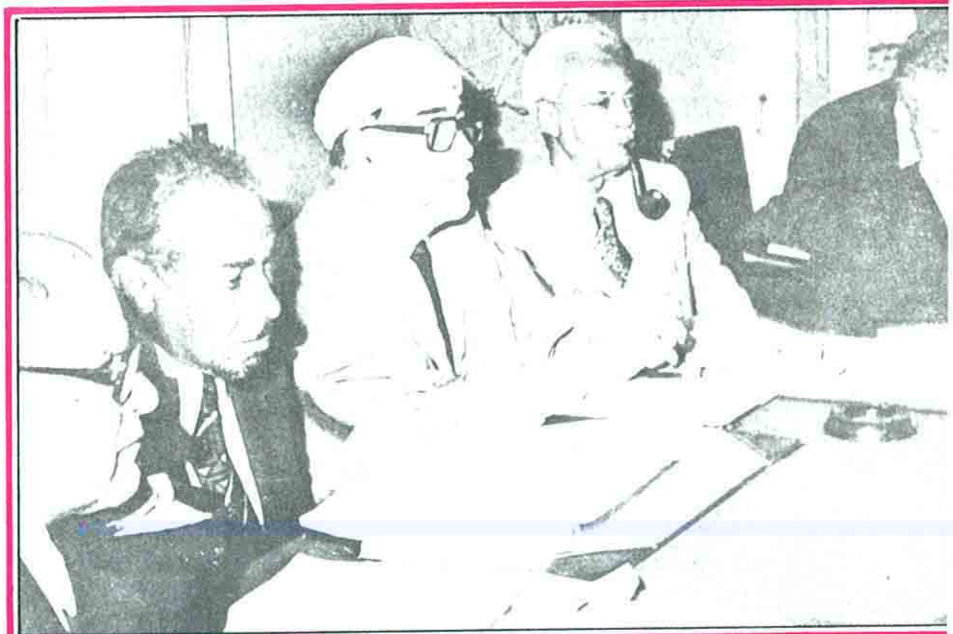
البدايات .. والنشأة

●● البدايات في حياة الناس خاصة النابهين من الأدباء والمفكرين، لها أبعادها في مسيرة حياتهم .. والنشأة الأولى لها تأثيرها في توجيه المسيرة سلباً أو إيجاباً .. كيف كانت بدايات ونشأة الأستاذ السباعي؟

● السؤال طويل .. والطريق أطول والشيخوخة أفعل !!

عبارة قالها وهو يضغط على جبهته .. ثم حرك طاقيته كمن يبحث عن بداية لحديث البداية .. وبعد صمت وإطراقة رفع وجهه .. ثم اتكأ بجسمه المثقل بأعباء ثمانين عاماً من الكفاح والسهر





★ إلى اليسار الأستاذان حمد الجاسر وعبد الله بن خميس في أحد اجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ★

والمعاناة . . وهز رأسه كمن عثر ليس على البداية ، ولكن على نقطة في طريق البداية . . وقال بصوته الوقور :

توفي والدي محمد السباعي ــ رحمه الله ــ حين كنت في العام الرابع عشر ، أو الخامس عشر من عمري تقريباً . . وكنت آنذاك طالباً في المدرسة . وفي تلك الأيام عانينا من أزمة شديدة نتيجة **الحرب العالمية الأولى** فاضطر والدي قبل أن يتوفى إلى بيع كثير من أثاث المنزل ، لم يترك لنا إلا القليل . . وبعد وفاته اضطررت إلى ترك الدراسة والبحث عن عمل خصوصاً أنني وجدت نفسي عائلاً لأمي وأختي وأخي محمود ، رحمهم الله جميعاً .

عملت أول الأمر في « **الحلقة** » أبيع وأشتري في الخضار والفواكه ، ثم تركتها وفتحت دكاناً صغيراً أبيع فيه السكر والشاي . . ومن قبل أن أفتح الدكان قمت بعدة أعمال متواضعة جداً . . من ذلك أنني قمت بشراء بعض الكراسي الشريط القديمة من الحراج . . أصلحها وأطليها بالدهان ثم أجدد شريطها . كذلك كنت أشتري الخيزران من عند « **الدهلوي** » لأضعه على كراسي صغيرة ثم أبيعها (أنا وابن خالتي **عبد السلام بناني** رحمه الله) ، ولكن كل هذه الأعمال لم تدر علينا ربحاً يذكر . . حتى الدكان لم أفلح فيه .

ثم جاءني صديق وعرض عليّ أن أعمل أستاذاً في « **مدرسة تحفيظ القرآن** » . . فقد كنت أحفظ القرآن ، ولكن الأدب قد أنساني كثيراً مما حفظت .

ذهبت مع صديقي إلى مدير المدرسة الذي اصطحبني إلى **مدير المعارف آنذاك « الشيخ عبد الله زواوي »** فرحّب بي الشيخ ، وفرح كثيراً لأنني أحفظ القرآن ووافق على تعييني أستاذاً في تحفيظ القرآن . وظللت أقوم بعملي نحواً من ١٢ سنة تنقلت خلالها من مدرسة إلى أخرى حيث أضيف إلى عملي **تدريس القراءة ، والنحو والإملاء والحساب** . بعد ذلك بدأت هوسة الأدب تلح عليّ ، وتشغل تفكيري .

كنت وقتها قد تخطيت العشرين . . ربما ٢٢ أو ٢٣ عاماً . في تلك الأثناء عُيِّنت مديراً (لمدرسة الفائزين) وكان زميلي في المدرسة الأستاذ « **حسن دلال** » رحمه الله . . فأصدرت « **مجلة خطية** » أثناء عملي مديراً لمدرسة الفائزين ، وقدمتها للشيخ **محمد سرور الصبان** رحمه الله الذي كان وزيراً للمالية قبل وفاته ، وكان الشيخ الصبان في ذلك الوقت من أشهر الأدباء الطالعين . وطلبت إليه أن أنشر تلك المجلة في كتاب . . كان الرجل خلوقاً وكريماً . . لم يشأ أن يصدمني فيقول لي إن المجلة غير ناضجة ، بل أعلن استجابته . . فأعطيته ، كما أذكر ، مبلغ خمسة جنيهات ثمناً لطبعها . . على أن يكمل باقي التكلفة من عنده وبعد البيع نتحاسب .

كان اسم المجلة « **حبر على ورق** » وقد اختار هذا الاسم الشيخ الصبان نفسه . . بقيت المجلة فترة طويلة ، معه ، وحينما سألته قال لي إنه لم يتسن له طباعتها . . وحين طلبتها منه أعادها إليّ ومعها الخمسة جنيهات .

أدركت حينذاك أنه ما أعاد المجلة إليّ إلا لأنها غير صالحة للطبع والنشر . ولقد ذكرت هذا في **محاضرة ألقيتها بنادي الواحة بمكة المكرمة** التي كان يحضرها الشيخ الصبان نفسه .

صلته بالصحافة

●● إذن ، فقد تركت التجارة والأعمال الحرة واتجهت إلى التدريس ؟



★ محمد سرور الصبان ★



★ حسين عرب ★

● لا . . لم أترك العمل الحر . . فقد تعلمت مهنة «التطريز» وأنا في المدرسة وكان أخي محمود قد شب عن الطوق فعلمته معي هذه المهنة ، وفتحنا ورشة تطريز في البيت ومعنا عبد السلام بناني . . لكن هذا لم ينسني هوسة الأدب . . فقد أخذت تتمكن مني . وقد كتبت في ذلك الوقت «خبايص» أدبية كثيرة .

نقلت بعد ذلك إلى مدرسة «حارة الباب» وكان مديرها **الشيخ عبد الله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام الحالي** حيث عينت مساعداً له . وتهيأ لي أثناء ذلك أن أقرأ المجلات والكتب النفسية ، ومن خلالها تراءى لي كم كانت مدارسنا بعيدة عن التربية الصحيحة ، فَعَنَّ لي أن أكتب موضوعات في التربية والتعلم تحت عنوان «مدارسنا» ، وكانت تنشر في **جريدة «صوت الحجاز»** .

وقبل ذلك التاريخ كنت قد كتبت فعلاً إلى صوت الحجاز وكان رئيس تحريرها **الشيخ عبد الوهاب آشي** ، وهو أول رئيس تحرير لتلك الصحيفة . وحتى ذلك الوقت كنت مشغولا بالتدريس ولم يبدأ اتصالي بالأدباء أمثال : **محمد سرور الصبان ، وعبد الوهاب آشي وجميل مقادمي ، وعمر عرب ، وحسين نظيف** ، وهذا الأخير كان سمكرياً ، إلا أنه كان من هواة الأدب . . وكانت له خلوة بجوار المسجد الحرام يجتمع فيها عدد من الأدباء على رأسهم الشيخ محمد سرور الصبان .

المهم . . ألقى عبد الوهاب آشي المقال الذي أرسلته إليه ضمن الأوراق المهملة . بعد ذلك اختلف الآشي مع صاحب الجريدة **الشيخ محمد صالح نصيف** ـ وهذه الجريدة بالمناسبة ـ كان اسمها **«بريد الحجاز» وكانت تصدر في جدة في آخر عهد الأشراف** . . ثم ما لبث أن أصدرها صاحبها من مكة بعد أن استتبت الأمور **في العهد السعودي** . . فترك الآشي العمل ثم استعان النصيف بالأستاذ الشاعر **محمد حسن فقي** رئيساً للتحرير . وكان الفقي من «**بشكة**» النظيف التي كانت تجتمع في الخلوة .

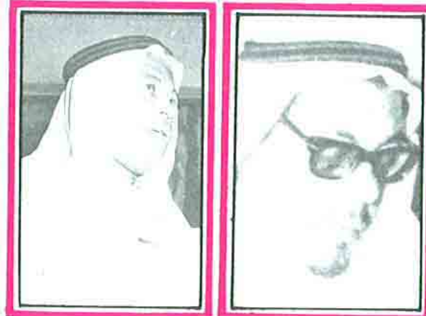
هنا . . لا أستبعد أن الأستاذ الفقي وجد مقالتي التي بين المهملات فأخرجها ونشرها في جريدة صوت الحجاز . وفي الحقيقة لقد قرأت مقالتي عدة مرات وكنت مزهواً بها .

●● من تذكر غير هؤلاء في «بشكة» النظيف ؟

● أذكر الأستاذ **محمد سعيد العامودي** ، وقد كان ثالث رئيس تحرير لصوت الحجاز بعد الفقي . وفي عهد العامودي كنت أنشر سلسلة مقالات اجتماعية نفسية تحت عنوان «مدارسنا» التي أشرت إليها قبل قليل . . كنت أقرأ كتب علم النفس وقواعدها . . فأطبقها على مدارسنا . . أكتب المعنى وأغيِّر القافية .

●● كيف تم اختيارك رئيسا لتحرير جريدة «صوت الحجاز» ؟

● بعد أن ترك الأستاذ العامودي صوت الحجاز ، أخذ صالح نصيف يبحث عن محرر فأشار عليه المرحوم الأستاذ الشاعر **فؤاد شاكر** بأن هناك شخصاً لديه ميول أدبية وهو شبه مجهول واسمه أحمد السباعي . وكان الأستاذ فؤاد شاكر آنذاك يعيش أغلب وقته في مصر . حيث يصدر


* عبد القدوس الأنصاري * * عبد الله عريف *

صحيفة اسمها (**الحرم**) وتأتي في موسم الحج ، وقد كنت أنشر في هذه الصحيفة سلسلة مقالات بعنوان «**الحسين**» بتوقيع «**س**» . وأشار الأستاذ شاكر على محمد نصيف بأنه نظراً لأنني شبه مغمور فلا داعي لوضع اسمي في الصحيفة . . بل أقوم بالتحرير مؤقتاً حتى يتم العثور على رئيس للتحرير .

كنت لا أزال وقتها مدرّساً في المدرسة ، فعملت محرراً في المساء فترة من الزمن ، ثم بدأ في الجو ما يعكر صفو العلاقة بين الشيخ محمد نصيف ومديرية الخارجية آنذاك بسبب اضطرار الخارجية (وكان مديرها **فؤاد حمزة** ، ويعمل معه الشيخ **يوسف ياسين**) للتقليل من حجم المعونة التي تمنح للشيخ نصيف لإصدار الجريدة بسبب ضعف موارد الدولة آنذاك . . مما اضطر الشيخ يوسف إلى طلب سحب امتياز إصدار صوت الحجاز المعطى للشيخ نصيف ، لما كان من **مديرية الخارجية** إلا أن طلبت إلى الشيخ محمد سرور مدير المالية آنذاك أن **يؤسس شركة للطبع والنشر** ويصدر عنها جريدة «صوت الحجاز» بعد أن ينقل إليه امتيازها . . وتأسست الشركة من ثلاثتهم مع شخص رابع أو خامس وأظنه عبد الوهاب آشي .

حينما انتقل الامتياز تم الاتفاق على أن أترك العمل . . إلا أنه كانت لي بعض الحقوق المادية لدى الشيخ صالح نصيف اختلفنا عليها ، فلجأت إلى السيد **صالح شطا** احد أعيان مكة مثله مثل الشيخ صالح نصيف . . وطلبت إليه الرأي ، فوجدت الصبان في مجلس السيد شطا ، وحين سمع الصبان بالأمر طلب إليَّ أن أتسامح معه ، وأن أعمل مع الشركة كمدير لإدارة الجريدة وسوف يبحث عن رئيس تحرير .

وفي اليوم الثاني اتصل المرحوم **حمزة شحاتة** ، (وكان سكرتيراً للشيخ الصبان) بالمرحوم **محمد سعيد عبد المقصود** (صديق العمر) وطلب إليه أن يتصل بي لمقابلته .

والأستاذ محمد سعيد عبد المقصود كان يلازمني كثيراً ، وكنا نركب الدراجات ونحن نتفسح في العصريات ، كما كنا نتناقش في الأدب وفي اللغة ،



ورغم أنه بدأ متوسط العلم والأدب .. إلا أنه ما لبث أن اطلع وقرأ بشكل واسع حتى غدا رئيس الأدباء تقريباً في ذلك الوقت .

وقد أخبرني حمزة شحاتة أن الصبان يريد أن يسند رئاسة تحرير صوت الحجاز إلى **الآشي والفقي والعواد** على أن أقوم أنا بمساعدتهم ، إلى جانب مسؤوليتي في الإدارة ، وأنه خصَّص لي مرتباً هو خمسون ريالا في الشهر ، على أن أترك التدريس ، ويتقاضى كل من الثلاثة ثلاثين ريالا ، لكن لم تنشر أسماؤهم في الصحيفة .. وإنما ذكر في الصفحة الأولى : يحررها **«نخبة من الشبان»** ، وظل كل منهم يشرف على عدد واحد بالتناوب وأنا أساعدهم في الأخبار المحلية ، وبعض المقالات .

وكانت علاقتي بعبد المقصود علاقة قديمة بدأت في **«المدرسة الراقية»** ، كنا في فصل واحد ، ثم باعدت الأيام بيننا حين ترك كل منا الدراسة قبل أن يكملها . إلا أنه بعد عدة سنوات افتتح في **«أجياد»** معهداً سمي **«المعهد الإسلامي»** كان الغرض منه إعطاء دروس ليلية لمن يحتاج إلى ثقافة أعلى .

[illegible] وعبد المقصود في صف واحد ، وعلى مقعد واحد فتذاكرنا الأيام الخالية ، ثم خرجنا سوياً من المعهد ، وذهبنا إلى المقهى وشربنا الشاي ، ثم تواعدنا على أن نجتمع عصر كل يوم .. فجاء في عصر اليوم الثاني وخرجنا للنزهة حتى ما بعد المغرب ، وظللنا على هذا المنوال مدة طويلة .

ثم فرَّقت الأيام بيننا .. فقد عين كاتباً لدى السيد **رشدي ملحس رئيس تحرير صحيفة «أم القرى» ومدير مطبعتها بمكة المكرمة** ، بينما عيِّنت أنا أستاذاً في المدرسة ، فما عادت الأيام تجمع بيننا إلا في النادر ثم عملت في صوت الحجاز محرراً مع الشيخ محمد صالح نصيف ، وبعد أن انتقلت ملكية الصحيفة ـ كما ذكرت آنفاً ـ إلى **شركة الطبع والنشر** برئاسة محمد سرور الصبان وتم تعييني مديراً للجريدة ، إلى جانب عملي محرراً مساعداً للنخبة التي كانت



★ عبد الله بلخير ★ ★ محمد حسن فقي ★

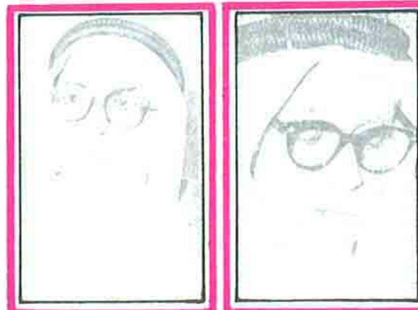
مسؤولة عن التحرير (**محمد حسن عواد ـ عبد الوهاب آشي ـ محمد حسن فقي**) ثم جاء بعدهم المرحوم **أحمد قنديل** رئيساً للتحرير ، ثم أسندت إليَّ بعده رئاسة التحرير إلى جانب إدارة الجريدة .. وعن طريق الصحافة عادت العلاقة بيني وبين محمد سعيد عبد المقصود من جديد .

وحي الصحراء

●● هل كان للأستاذ محمد سعيد عبد المقصود ميول أدبية أو صحفية حين تعرفت عليه ؟

● أول ما تعرفت عليه لا أذكر أنه كان له ميل أدبي .. بل ولا حتى ميل للقراءة الأدبية ، وأعطيته مرة كتاباً أدبياً **لجبران خليل جبران** لقراءته فاستساغ الكتاب وقرأه بإمعان ، وبدا كما

★ محمد حسن عواد ★ ★ أحمد قنديل ★



يبدو لي ، يعشق هذا اللون من القراءة ، ثم أعطيته كتاباً آخر ، ثم آخر .. وهكذا ..

وأذكر أنه تدرج في القراءة حتى أصبح في يوم من الأيام كاتباً في جريدة «أم القرى» ، الجريدة الرسمية الأسبوعية التي كان عليها أن لا تتخطى الرسميات ، رغم أنه لم يكمل دراسته . بل إنه عندما سافر السيد رشدي ملحس رئيس تحرير «أم القرى» إلى الرياض للالتحاق بالسيد يوسف ياسين **في المكتب السياسي** ، أوكل أمر تحرير الجريدة إلى محمد سعيد عبد المقصود ، على أن يشرف عليه السيد فؤاد حمزة بمديرية الخارجية ، لأن الإشراف العام على الجريدة كان من قبل **«قلم المطبوعات» التابع لمديرية الخارجية آنذاك** .

بدأ الرجل بعد هذا يفتح المجال في جريدة «أم القرى» لغير المواد الرسمية من مقالات أدبية ، وشرع يكتب باسم مستعار وهو : **«غربال»** .. يكتب موضوعات اجتماعية ، وأكثر ما كان يكتب عن نفسه وتربيته ، وكيف نشأ .. ثم تدرج حتى أصبح في يوم من الأيام أنشط الأدباء ، وكنا نجتمع في إدارة ، وهو الذي [illegible]ح إصدار كتاب أدبي باسم أدباء الحجاز تحت عنوان **«وحي الصحراء»** ، وكنا نجتمع من أجل هذا في بيته ، وهو الذي كتب إلى جميع الأدباء في المملكة ، وتلقى منهم المقالات العديدة ، ومقالتان أو أكثر مني ، فشكلت لجنة من أربعة أشخاص للنظر فيما يصلح من تلك المقالات .

●● هل تذكر من هم أعضاء اللجنة ؟

● أذكر أن الأعضاء : هو ، وأنا وعبد السلام داغستاني (لا .. ليس داغستاني) .

●● طبعاً ، لا تقصد المرحوم عبد السلام الساسي ؟

● لا .. **عبد السلام الساسي** كان أحد الأدباء الذين كنا نسميهم الناشئة .. مثله مثل **حسين عرب ، عبد الله عريف ، وحسين خزندار** ، من أجل ذلك غضب بعض الناشئة ومنهم الساسي لأنهم لم يضموا إلى كتاب « وحي الصحراء » فأصدروا كتاباً مستقلاً باسمهم .. ربما كان اسم الكتاب « الناشئة » أو اسماً كهذا .

●● يبدو أنك نسيت العضوين الآخرين في لجنة النظر في المقالات التي ظهرت في كتاب « وحي الصحراء » .. إذن ما هو دور معالي الأستاذ الشاعر عبد الله بلخير في هذا الكتاب ، ونذكر أن له دوراً ، وأن هناك علاقة صداقة متينة تربطه بالأستاذ عبد المقصود من جهة ، وتربطه بك من جهة أخرى ؟

● كان الأستاذ **عبد الله بلخير** صديقاً حميماً للأستاذ محمد سعيد عبد المقصود ، وحين أكملت اللجنة اختيار المقالات مما وصل إليها من للأدباء [illegible] أن يرتبها وينظمها فاستعان بالأستاذ بلخير الذي كان لا يزال طالباً في « **مدرسة الفلاح** » ، وكان شاعراً .. له شعر ممتاز ، وكان شديد الصلة بالأخ عبد المقصود ، فاستعان الأخير به ، ورتبا كتاب « وحي الصحراء » معاً ، ثم أرسل عبد المقصود الكتاب ليطبع في **القاهرة** على نفقته الخاصة .. بعد أن عرض علينا مشاركته في نفقة الطبع ، أو يطبعه ويبيعه لحسابه .. فأجبناه بأن يقوم بطباعته وبيعه لحسابه .. ويؤسفني أنه كانت لديّ نسخة منه ، لا أدري من استعارها مني ، ولم يعدها إليّ حتى اليوم .

المعرض .. أول كتاب سعودي

●● بمناسبة كتاب « وحي الصحراء » .. هل تذكر اسم أول كتاب أدبي صدر بالمملكة .. هل هو كتاب الأستاذ عبد الله عبد الجبار « التيارات الأدبية في الحجاز » .. أم كتاب الشيخ الصبان « أدب الحجاز » .. أم هو كتاب « خواطر مصرحة » للأستاذ محمد حسن عواد ؟

● هناك على ما أذكر كتاب أقدم من هذه الكتب .. هو **كتاب « المعرض »** في ذلك الوقت لم يظهر ميلي للأدب .. بل كنت أستاذاً في المدرسة . لقد وجّه الشيخ الصبان عدداً من الأسئلة إلى الأدباء قبلي وجمعها في كتاب أسماه « المعرض » .


★ عمر عرب ★


★ عبد الوهاب آشي ★

●● من كان أول رئيس تحرير بعد « نخبة من الشبان » ؟

● بعد أن استعفى محمد حسن فقي ، وعبد الوهاب آشي ، رشح حمزة شحاتة أحمد قنديل لرئاسة التحرير الذي ظل نحو سنتين ، ثم ترك العمل ، وبعد ذلك طلب الشيخ الصبان أن أقوم برئاسة تحرير الصحيفة إلى جانب إدارة الجريدة وإدارة المطبعة ، ومقابل ذلك رفع مرتبي إلى تسعين ريالا ، واختار لي سكرتيراً هو المرحوم عبد السلام الساسي ، وبعد أن ترك العمل اخترت الأستاذ حسين عرب وزير الحج فيما بعد سكرتيراً للإدارة ، وكان أيامها قد تخرج من **المعهد العلمي** ، كما اخترت سكرتيراً للتحرير **الأستاذ حسين خزندار ، والأستاذ معتوق حسنين** رئيساً للحسابات .

بقيت نحو ثلاث أو أربع سنوات .. لا أذكر تماماً ثم قامت **الحرب العالمية الثانية** ، فتعذر شراء الورق فتوقفت « صوت الحجاز » ، وكذلك مجلة « المنهل » لصاحبها **الأستاذ عبد القدوس الأنصاري** رحمه الله ما عدا « أم القرى » ، استمرت في الصدور . لكني ظللت مديراً للمطبعة ، ثم استأجرت المطبعة ، وقمت بتشغيلها على حسابي مقابل أجر شهري لأصحاب المطبعة ، وهي الشركة العربية .. وأصبحت قضية الخسارة والربح مسألة تخصني شخصياً .

عند هذه النقطة أدركنا أننا أثقلنا على [illegible] أرهقنا جدية الحوار .. لكن لشعورنا أن في ذاكرته الكثير من تاريخ تلك المرحلة صحافة وأدباً واجتماعاً وتاريخاً فقد كنا نتصيد جلساته مع أصدقائه وزائريه فسجلنا المعلومات التالية ، أملاً في إبراز جوانب أخرى من رحلته الماجدة التي لا نستطيع أن نأتي عليها في صفحات محدودة .



أصل السباعي

● يقول الأستاذ أحمد السباعي إن **أصل السباعيين** يرجع إلى «**مراكش**» في المغرب وهم إحدى القبائل التي تسكن الخيام، ثم انتشر أفرادها في عدد من أقطار شمال إفريقيا مثل: **تونس، المغرب، موريتانيا، والجزائر**.. وكذلك في **مصر وبعض المدن السورية**.. ويُروى أنهم ينتمون إلى الأشراف ومن ذرية **الإمام علي بن أبي طالب**.. لكن الشيخ «**عمر بن حمدان**» أخبر الأستاذ السباعي إن أحد علماء الأنساب واسمه «**الشيخ الكتاني**» درس تاريخ السباعيين فوجد أنهم ليسوا هاشميين.. لكنهم قرشيون.. **لهذا أطلق السباعي اسم «قريش» على أول جريدة أصدرها بنفسه**، حيث تابعت الصدور أسبوعية لمدة عامين أو أكثر، ثم توقفت مع إنشاء نظام المؤسسات الصحفية.

قصة تاريخ مكة

● عن قصة **كتابه «تاريخ مكة»** يقول السباعي إنه اتفق مع صديقين له على كتابة تاريخ مكة قبل عشرين عاماً.. لكنه اضطر إلى كتابته بنفسه نتيجة للظروف الاجتماعية التي لم تمكنه من الاجتماع بصديقيه.

وأسباب تأليفه لكتاب تاريخ مكة هو شعوره أن هذا التاريخ في حاجة إلى كتابته بأسلوب ومنهج معاصرين يقربه من الجيل الحالي.. على أن يضاف إليه ما كتب عن هذه المدينة المقدسة بلغات مختلفة موجودة في المكتبات العالمية.. فاطلع على المصادر العربية، ثم سافر إلى **تركيا** لكنه لم يستفد من هذه الرحلة لأنه لا يجيد اللغة التركية.. كما سافر إلى **اليمن** حينما علم بوجود كتاب عن مكة ألف منذ (٣٠٠ سنة) تقريباً.. لكنه لم ينجح في الاطلاع عليه.. وهو يرى أن تاريخ مكة ما زال في حاجة إلى مزيد من الاهتمام خاصة ما كتب عنه بلغات غير عربية من مؤرخين شرقيين وغربيين.. ويطالب بتشكيل لجنة لهذا الموضوع.



★ حمزة شحاتة ★ ★ محمد سعيد العامودي ★

كتاب «فلسفة الجن»

● وعن كتابه «**فلسفة الجن**» يروي الأستاذ السباعي قصة طريفة.. لقد كان يود مناقشة بعض القضايا المعروفة في عصره لكن خشيته من غضبة الرأي العام ادعى أن **شيخ الجن** زاره في منزله، وأخبره أنه نزل ضيفاً على أحد الأشخاص الذين كتب على لسانه انطباعاته عن المجتمع والناس.. ثم ذهب إلى **الربع الخالي** ونشرها في **مجلة اسمها «المرصاد» يتولى إصدارها وتحريرها جماعة من الجن**.. هذه الجماعة ادعى السباعي أنها أهدته مجموعة الأعداد المنشور بها الانطباعات.. فقام بترجمة بعض هذه الانطباعات.. وكانت نوعاً من الخيال أو الرمز إن شئت، استطاع السباعي من خلالها أن يقول ما لم يستطع قوله.. ثم أوقف نشر بعض الحلقات من قبل عضو في الرقابة بقلم المطبوعات التابع لوزارة الخارجية يومذاك على أساس أنها نوع من الخيال.. والخيال نوع من الكذب والسباعي لا يعرف لغة الجن، وهو لا يحب نشر الكذب على الناس.. وقد جمعت الحلقات المنشورة، وطبعت في كتاب بعنوان «فلسفة الجن».

أول مطبعة في الحجاز

● **وعن أول مطبعة أهلية أنشئت في الحجاز يذكر السباعي أن الشيخ «ماجد كردي» هو أول من أسسها وكان ذلك في العشرينات الهجرية أو قبلها بقليل** (بالرجوع إلى بعض المراجع وجدنا أن هذه المطبعة أنشئت عام ١٣٢٧ هـ، الموافق ١٩٠٩ م، وكان اسمها «المطبعة الماجدية» نسبة إلى صاحبها).

أعماله

● أول كتاب ألفه السباعي كان قصة «فكرة»... ثم توالت أعماله فيما بعد فكانت: «أيامي» (١٣٩٠ هـ)، «فلسفة الجن»، «المرشد إلى الحج والزيارة» (دليل عام ١٣٦٢ هـ)، «مطوفون وحجاج» (١٣٧٣ هـ)، «سلم القراءة العربية» (ستة أجزاء)، «تاريخ مكة» مجلدان، (١٣٧٢ هـ)، «أبو زامل» (ط ٢ عام ١٣٧٤ هـ)، «صحيفة السوابق»، «يوميات مجنون»، «دعونا نمشي» (مقالات اجتماعية)، «خالتي كدرجان» (قصص ١٣٧٨ هـ، (طالع في مكان آخر من هذا العدد إحدى قصص هذه المجموعة بعنوان: أبو ريحان السقا))، «قال.. وقلت»، سباعيات (جزءان)، «أوراق مطوية» (١٩٨٢ م)، «الأمثال الشعبية في مدن الحجاز» (١٩٨١ م).

إنشاء أول مسرح

● أراد السباعي أن ينشئ مسرحاً إسلامياً اجتماعياً فحصل على موافقة **جلالة الملك سعود رحمه الله**.. وعلى إثرها أنشأ مدرسة لتخريج وتدريب الممثلين، ثم أحضر مخرجاً وبعض المدرسين من مصر.. وكانت بداية عروضه مسرحية عن «**فتح مكة**»، وأخرى عن «**مسيلمة الكذاب**».. وعندما أعلن عن الافتتاح قبل أسبوع تقريباً صدر أمر بتوقيف المسرح، لأن بعضهم ظن أنه سوف يكون عبارة عن «كباريه».

من الفكر

نظرة الفكر الحديث إلى الموارد البشرية

يلعب مدى توفر الموارد المادية ، دوراً رئيسياً ، في تاريخ الشعوب ، للعمل على إشباع حاجات الأفراد المتزايدة يوماً بعد الآخر .. وتعزو معظم الصراعات القائمة بين الأمم ، وكذلك داخل الأمة الواحدة ، إلى الندرة النسبية للموارد المادية لمواجهة الاحتياجات المضطردة من ناحية .. وإلى ظاهرة التضخم الاقتصادي التي تعتبر بمثابة مرادفاً لانخفاض القوة الشرائية لوحدة النقد من ناحية أخرى .. ومن هذا المنطلق نجد أن النظرة المادية أصبحت تمثل الهدف الأول والأساس ، عند وضع الخطط وبرامج العمل ، وذلك بطريقة أدت بالفكر الإداري الحديث إلى محاولة ترجمة المجهودات البشرية إلى قيمة مادية في صورة رقمية لتساير فلسفة العصر ، وليصبح للموارد البشرية قيمة ، تعرف بقيمة « الأصول الإنسانية » ، كما هو الوضع بالنسبة « للأصول المادية » .



الإداري المعاصر

نرى كما يرى الكثيرون من أمثالنا ، أن اهتمام البلاد الغربية بالعنصر الإنساني ، لم يأت من أجل الإنسان كإنسان ، ولكن بقصد الاستفادة من طاقاته إلى أقصى حد ، للمساهمة في تحسين الإنتاجية المادية ، التي تنتهي باستفادة أصحاب الشأن منها ، بصرف النظر عن إعادة التوزيع العادل ، والأخذ بيد غير القادرين على الإنتاج .

تبدأ الآن خيوط التفكير المادي ، التي يتبناها المجتمع الغربي ، في الزحف إلى بلادنا العربية ، لتشكل صبغة متطرفة ، تترك آثارها على السلوكيات البشرية بصورة قد تذوب معها العوامل الحضارية ، وصور الإخاء ، والمشاركة الوجدانية ، حيث نرى الفرد اليوم قد تساوره فكرة الفرار من أخيه أو أمه وأبيه ، وراء دافع مادي بحت .

يعاصر الإنسان مرحلة هامة من مراحل الفكر الإداري والمالي الغربي ، الذي أدى بالمفكرين والمهنيين إلى محاولة وضع محددات مادية بصورة رقمية كتعبير لما يسمونه « بالأصول الإنسانية » وهو ما يعرف بمحاسبة الموارد البشرية .

إن مجرد إطلاق لفظ « الأصول » على العناصر البشرية كما يدعي أهل الفكر الغربي ، ليثير التساؤل والدهشة من قبل الكثيرين وخاصة من أهل المجتمع الشرقي .

فالمعروف في الأصول الثابتة طبقاً للتفسير المحاسبي ، أنها تقتنى ، وتمتلك بما يعطي لصاحب المنظمة حق الاستفادة منها في مزاولة الأنشطة الرئيسية للمنظمة ، على مدار فترة محددة ، وله في ذلك حق تقرير مصيرها ، والتصرف فيها بكافة الوسائل ، دون معارضة من الأصل ، أو تعارض فيما يتعلق بكيفية

بقلم : د. سعيد عامر

المعالجة المحاسبية بالطرق المتفق عليها . . والعكس صحيح بالنسبة للعناصر البشرية ، التي لها حق تقرير مصيرها بنفسها ، بما في ذلك حرية العمل أو تركه ، إلى جانب باقي الحريات الأخرى ، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾ ، ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** ﴾ (سورة الإنسان ، الآيتان ٢ ــ ٣) ، ﴿ **ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين . وهديناه النجدين** ﴾ (سورة البلد ، الآيات ٨ ــ ١٠) .

لقد أقر الله سبحانه وتعالى حرية الإنسان ، التي التزم بها المجتمع الدولي نظرياً ، حيث جاء **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ م** ، ليقرر في المادة الثامنة عشرة منه ، حق الإنسان في حرية التفكير ، والضمير . . . إلخ . ومن ثم نجد أن الإطار النظري لفكرة معالجة الموارد البشرية بصورة تقترب من الصورة التي تعالج بها الموارد المادية سيجد تعارضاً مع المبادئ القويمة ، إلى جانب مشكلات التطبيق العملي .

فلسفة محاسبة الموارد البشرية

إذا كانت مهمة المحاسبة المالية تقوم على تسجيل المعاملات اليومية من مصروفات وإيرادات وتسويات بالدفاتر النظامية بغية التوصل إلى حقيقة المركز المالي للمنظمة خلال فترة زمنية محددة طبقاً للمبادئ والأسس المحاسبية المتعارف عليها ، وإذا كان هناك اتفاق مهني على أن تكون هذه الفترة الزمنية سنة

بشرط أن تكون مستقلة عن السنوات السابقة أو اللاحقة وهو ما يعرف **بمبدأ الاستقلال السنوي** فإن ضمان سلامة تطبيق هذا المبدأ الأخير فيما يتعلق ببعض المصروفات المرتبطة بالموارد البشرية يعتبر بمثابة الفلسفة التي تقوم عليها فكرة محاسبة الموارد البشرية ، هذا بالإضافة إلى الدور العام الذي يمكن أن تلعبه محاسبة الموارد البشرية من حيث مساعدة الإدارة في مزاولة الأنشطة الإدارية المختلفة ، من تخطيط ورقابة ، واتخاذ القرارات من خلال الإمداد بالمعلومات المرتبطة بالموارد البشرية ، وإن كانت المحاسبة الإدارية تقوم حالياً بأداء هذا الدور دون التعرض لمشكلات التطبيق .

إن مبدأ الاستقلال السنوي يستلزم تحديد فترة الاستفادة من المصروفات وتخصيص نصيب نفس الفترة من الإيرادات . من أجل التعرف على نتيجة أعمال الفترة المحاسبة ، دون انتظار إلى نهاية المشروع لمعرفة النتيجة .

لذلك حثت مبادئ وأصول المحاسبة المالية على تقسيم المصروفات إلى مصروفات إيرادية تستفيد بها فترة مالية واحدة ، ومصروفات رأسمالية تستفيد منها أكثر من فترة مالية حسب طبيعة وقيمة المصروف . ومن أجل هذا أيضاً نشأت فكرة الاستحقاق والمقدم فيما يتعلق بالمصروفات ، لضمان عدالة التحميل . وبالتالي جاءت مجموعة القوائم المالية ليعكس بعضها نتيجة أعمال المنظمة خلال الفترة ، وجاء البعض الآخر ليصور المركز المالي في تاريخ معيّن عن طريق إظهار موجودات المنظمة من مجموعات أصول مختلفة وحقوق الغير على المنظمة ، بما في ذلك من تسويات لطبيعة المصروفات الرأسمالية



من الفكر الاداري المعاصر

وتطبيق مبدأ الاستحقاق والمقدم والمجمع الاستهلاكي للأصول الثابتة .

ومن هذا المنطلق يعتقد المنادون بفكرة محاسبة الموارد البشرية أن هناك الكثير من المصروفات المرتبطة بالموارد البشرية تم معالجتها على أنها مصروفات إيرادية وتوجه مباشرة إلى حسابات النتيجة وتظهر في قائمة الأرباح والخسائر عن نفس الفترة ، رغم أن صبغتها وطبيعتها كما يذكر أصحاب هذا الفكر ، توحي بأنها مصروفات رأسمالية تتعلق بالأصول الإنسانية على حد تعبيرهم . وبالتالي تم الاستفادة منها عن طريق تحميل الفترة المالية بما يخصها وترحيل المتبقي إلى السنوات التالية . على أن يكون مكان إظهار هذا الرصيد المتبقي هو قائمة المركز المالي للمنظمة . مع التعبير عن الأصول الإنسانية التي ترتبط بها هذه المصروفات بصورة رقمية سواء بيانية أو نظامية في آخر الفترة عند إعداد المركز المالي عن طريق رسملة المصروفات المرتبطة بالموارد البشرية والتي يتم توزيعها على الفترات الإنتاجية المتبقية من عمر الموارد البشرية في خدمة المنظمة واعتبار المستبعد منها أثناء الفترة المحاسبية ، نتيجة للعجز أو الوفاة أو عدم الملاءمة للتطور المطلوب ، بمثابة خسارة تحمل على حسابات النتيجة .

دوافع التفكير في الموارد البشرية

« رغم أن سكان الكوكب الأرضي يجب أن يجمعهم عصر واحد نظراً لانتمائهم لنفس الكوكب إلا أن مجموعة كبيرة من سكان هذا العصر يعيشون في أزمنة أخرى ، إن الواقع يؤكد لنا أن هذا العالم المشحون بالتناقضات والصراعات يعيش في أزمنة متداخلة شأنه في هذا شأن تفكيره وروافد ثقافاته » .

وإن المتتبع للدراسات الحديثة في المجالات المختلفة ، والمطلع على الروافد الثقافية ، والمعاصر لسلوكيات المجتمع الغربي يمكنه القول إن إنسان هذا العصر يتفنن فعلاً في تسخير إمكانات التقنية والثقافة والإبداع من أجل التوصل إلى أهدافه ، وقد ساهم الطابع العام للمجتمع الأميريكي في التفكير في كافة الوسائل التي تشير إلى قوة — ولو مؤقتة — في مركز المنظمة لجلب المستثمرين .

لقد بدأ التفكير في محاسبة الموارد البشرية مع أواخر الستينات بالمجتمع الأميريكي . وقد جذبت هذه الفكرة انتباه الباحثين ، وظهر تأييدهم ومعارضتهم منذ أوائل السبعينات حتى الآن . وإذا عرفنا الدوافع التي تحرك سلوكيات المهنيين ورجال الأعمال بالمجتمع الأميريكي عرفنا ما وراء فكرة محاسبة الموارد البشرية .

تتسم العقلية الأميريكية بالديناميكية البحتة في معالجة الأمور المختلفة من حيث سرعة البت والمرونة في اتخاذ القرارات . ومن سمات الإدارة الرشيدة القدرة على التوقع الذي يلازم سلوكيات المهنيين . ورجال الأعمال بالمجتمع الأميريكي ، يقضون ليلهم ونهارهم من واقع فلسفة مادية بحتة في البحث عن البدائل المختلفة والمخارج التي يمكن الاعتماد عليها في زيادة القيمة كدعامة رئيسية لبناء الاقتصاديات ، وتوجيه السياسات ، ويحاولون بكل طاقاتهم تشجيع أي فكرة تخدم هدفهم المادي .

إن من نتائج تطبيق فكرة محاسبة الموارد البشرية هو زيادة قيمة المنظمة المادية خلال الفترة الواحدة كنتيجة منطقية لترجمة المجهودات البشرية بصورة رقمية ، وذلك عن طريق توزيع تكلفة الموارد البشرية على أكثر من فترة محاسبية برسملة المتبقي من العمر الإنتاجي للموارد البشرية ، وإظهار الأصول الإنسانية بقائمة المركز المالي ، وبالتالي يمكن إغراء المستثمرين وخاصة من البلاد النامية ، ويوجد بهذا المجتمع الغربي من وسائل التقنية وأساليب العمل المتطورة ما يساعد على القيام بهذه المهمة .

إن الحقيقة التي نحاول إظهارها في هذا المقال ، هي أن الإنسان اليوم في نظر أخيه الإنسان لم يعد هدفاً مثالياً ، وإنما أصبح هدفاً من أهداف زيادة القيمة المادية والدليل على ذلك أنه يوجد الملايين من البشر شردهم الجوع وتفتك بهم الأمراض دون أن يحاول العالم التفكير فيهم باعتبارهم بشراً « وذلك لعدم قدرتهم في المساهمة على زيادة القيمة المادية . ومن هنا يأتي التناقض الخطير في الحضارة الغربية بين الفكر الإنساني والعمق الفلسفي » .

ويمكن من وجهة نظرنا تلخيص النتائج التي تترتب على تطبيق فكرة محاسبة الموارد البشرية كما جاء بفلسفتها ، وذلك بالنسبة للفترة الواحدة على الوجه الآتي :

(١) عدم تحميل حسابات النتيجة بكافة المصروفات المرتبطة بالموارد البشرية التي حدثت خلال الفترة المالية مما يترتب عليه زيادة الأرباح أو بمعنى أدق تضخم الأرباح بما يعكس معه صورة سعيدة لنتائج عمل المنظمة .

(٢) زيادة حقوق المنظمة عن طريق استحداث أصول جديدة هي « الأصول الإنسانية » مما يترتب عليه تضخم المركز المالي للمنظمة ، ويوحي بزيادة ثقلها في السوق مقارنة

بالمنظمات المماثلة .

(٣) تشجيع عمليات القروض طويلة الأجل بضمان الأصول التي تضخمت بزيادة أصول الإنسان .

(٤) إظهار إيجابيات في جميع نسب التحليل المالي الذي يمثل المقام فيها صافي الأرباح أو أصول المنظمة .

(٥) التأثير في سلوكيات الأفراد بما يدفع بالمستثمرين إلى استثمار أموالهم في مثل هذه المنظمات التي تعكس حساباتها الختامية موقفاً سلبياً بالنسبة للفترة الواحدة .

(٦) إن النظرة السطحية لكثير من المستثمرين وخاصة من البلاد النامية ، وذلك من مطلق نظرة مؤقتة لحسابات النتيجة ومركز المنظمات المالي للفترة الواحدة ، دون النظر إلى الأجل الطويل والتوقع بما سيكون عليه الوضع لسنوات عديدة قادمة ، ودون دراسة تاريخية عن استراتيجية أصحاب هذه المنظمات سيساعد على تحقيق الأهداف المرجوة من وراء تطبيق هذه الفكرة .

بالنظر إلى النتائج الموضحة أعلاه وتحليل آثارها يتضح أنها تتفق مع واقع الفلسفة المادية البحتة ، والبحث عن أي سبل من أجل زيادة القيمة ، من خلال المحاسبة البشرية . خاصة إذا عرفنا أن المجتمع الأمريكي لـه من وسائل الدعاية والإعلان والأساليب المتخصصة التي ما يمكنه التأثير على سلوكيات المستثمرين .

لقد عاصرنا الكثير من الشركات بالمجتمع الأميريكي التي ظهرت لفترة وجيزة ، وحققت الأرباح الكافية ثم أعلنت بعد ذلك إفلاسها ، وتخلصت من معظم التزاماتها ، وساعدها في ذلك ثغرات **القانون التجاري الأميريكي** .

فكثيراً ما نجد من الشركات التي يخطط المؤسسون لإشهار إفلاسها أثناء التخطيط لتكوينها ، للاستفادة من ثغرات القانون التجاري ، رغم اعتمادهم على ميزانية دعاية وإعلان كثيفة لتحقيق أكبر عائد في أسرع وقت والهروب بعد ذلك من سوق المنافسة الكبيرة .

وتأكيداً لما نذكره يمكن الرجوع إلى سكرتارية الولايات المختلفة بالولايات المتحدة الأميريكية للتعرف على عدد الشركات التي يتم تكوينها قانوناً بصفة رسمية . إنها أرقام مدهشة ، ويهدف عدد كبير منها إلى تأدية مهمة معينة ثم الفرار وإن كان هذا مخالفاً لأحد الفروض المحاسبية وهو أن الأصل من قيام المنظمة هو الاستمرار إلا أن الواقع بهذا المجتمع المفتوح يشير إلى خلاف ذلك . فكثير من الشركات التي تظهر تقوم بخداع الجمهور عن طريق اعتمادها لميزانية إعلانات كبيرة وبالتالي يجب التنبيه إلى الهدف الخفي من وراء هذه الفكرة وهو محاولة تضخيم الأرباح بصورة مؤقتة لخدمة هدف عارض ، وإتاحة الفرصة لاستغلال المستثمرين والجمهور .

أسس محاسبة الموارد البشرية

يعتقد أنصار محاسبة الموارد البشرية أن كثيراً من التكاليف المرتبطة بالعناصر البشرية تم الاستفادة منها على مدار أكثر من فترة مالية من هذه التكاليف مع رسملة المتبقي منها حسب العمر الإنتاجي المتبقي للموارد البشرية في خدمة المنظمة ، وتحميل حسابات النتيجة بالمستبعد منها مع إظهار التكاليف الرأسمالية بالمركز المالي تحت اسم « أصول إنسانية » . **وقد كان للمحيط الاجتماعي بالمجتمع الأميريكي والدوافع التي تحرك سلوكيات العناصر البشرية والنمط السلوكي للعقلية الإدارية أسباب رئيسية في ظهور فكرة محاسبة الموارد البشرية** . ويختلف الكتاب في تحديدهم لمفهوم محاسبة الموارد البشرية بسبب اختلاف خلفيات كل منهم ، وإن كان الجميع يتفق في أنها عملية تقدير قيّمة للعنصر البشري . **وقد حددت جمعية المحاسبة الأميريكية ثلاثة أهداف لمحاسبة الموارد البشرية هي : القياس ، والتطبيق والنتائج الإنسانية . ومن أهم الفروض التي قامت عليها محاسبة الموارد البشرية ، في نظر المفكرين هي كما يلي :**

(١) العنصر البشري يعتبر مورداً من موارد المنظمة .

(٢) يمكن إطلاق مفهوم « الأصول » على العنصر البشري .

(٣) إن استخدام الأصول الإنسانية يتضمن تكلفة اقتصادية تتحملها المنظمة .

(٤) إن قيمة الأصول الإنسانية تتأثر بالنمط القيادي للإدارة .

كلمة أخيرة

بعد أن تطرقنا في هذه المقالة إلى ماهية ، وأسس ، وفلسفة ، والدوافع التي أدت إلى ظهور فكرة محاسبة الموارد البشرية ، فإننا نعتبر أنفسنا من معارضي الفكرة ، ولنا من الأسباب ما يمكن طرحه للمناقشة أو تناوله في مقال آخر ، ويبقى السؤال مفتوحاً أمام الباحثين لكي يسهموا بدورهم في المناقشة ، إن أرادوا .

تصويب لغوي

لبعض الاستعمالات الشائعة

لا زلنا نتحدث عن استعمال كتّاب اليوم ومثقفيهم لبعض الأفعال وتصرفاتها متعدية إلى متعلقاتها بحرف معين أو تعديتها بنفسها، دون ملاحظة لما كان يجري على لسان الفصحاء من العرب.

وهنا نصوّب بعض هذه الاستعمالات.

★ **من ذلك قولهم: اكترث العامل بكلام رئيسه.**

أي عده أمراً مهماً عمل له حساباً وبالى به.

وقولهم: هذا العامل لا يكترث بأمر رئيسه. أي لا يبالي به.

والفعل (اكترث) ـ هنا ـ قد عُدّي بالباء، واستعمل في حالتي الإثبات والنفي.

والاستعمال الصحيح لهذا الفعل أن يتعدى باللام ويختص التعبير الصحيح ـ كذلك ـ بحالة النفي فقط دون الإثبات.

يقال: ما أكترث لهذا الأمر، أي ما أبالي به. ولم يروا استعماله في حالة الإثبات عن العرب أصحاب اللغة.

★ **من ذلك قولهم: التقى محمد بصديقه في الكلية.**

فيعدون الفعل (التقى) بالباء على حين أن العربية الفصحى تستعمل هذا الفعل (التقى) وجميع الأفعال التي تشتق من مادة هذا الفعل (لقي) متعدية بنفسها إلى المفعول فيقال: ـ كما في المعاجم اللغوية ـ لقيه وتلقّاه والتقاهُ ولاقاه ملاقاة ولقاء أي رآه.

فصواب العبارة أن يقال: التقى محمد صديقه في الكلية.

★ من ذلك قولهم: **اكتب لمحة عن حياة المتنبي.**

والاستعمال الصحيح يكون بالحرف (إلى) لا بالحرف (عن)، ففي المعاجم اللغوية: لمح إليه ـ كمنع ـ اختلس النظر، ومثله: ألمح، واللمحة هي النظرة العجلى، **فالتعبير الصحيح هو: اكتب لمحة إلى حياة المتنبي.**

★ **من ذلك قولهم: امتثل الطالب لتوجيه الأستاذ.**

فيعدون الفعل (امتثل) إلى المفعول بحرف (اللام) والاستعمال العربي الفصيح أن يتعدى إليه بنفسه فيقال ـ كما في المعاجم اللغوية ـ: امتثل الأمر وتمثّله حذا حذوه وسلك طريقته، وامتثل طريقته: تبعها فلم يعدها.

فالاستعمال اللغوي الصحيح هنا أن يقال: امتثل الطالب توجيه الأستاذ.

★ **من ذلك قولهم: أنا أستنكف هذا العمل وكل رجل أبيّ يستنكفه.**

فيعدون الفعل (استنكف أو يستنكف) إلى المفعول بنفسه، والاستعمال الصحيح ـ في العربية ـ أن يعدى بالحرف (من). ففي المعاجم اللغوية: استنكف: استكبر ويستنكف منه: يأنف منه ويمتنع ويتنزه.

★ **ومن ذلك قولهم: وهب محمد صديقه مائة ريال.**

فيعدون الفعل (وهب) إلى المفعول الأول بنفسه، والاستعمال الصحيح أن يتعدى إليه باللام، ففي المعاجم اللغوية:

وهب له الشيء، ووهب لك الشيء يهبُه وهباً ووهَباً ولا تقل: وهَبَكَهُ وقد حكى أبو غرو ذلك عن أعرابي.

وفي القرآن الكريم ورد الفعل (وهب) متعدياً إلى المفعول الأول باللام تسع عشرة مرة وليس بينها مرة واحدة تعدى إليه بنفسه فيها.

ومن ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ قوله تعالى ﴿ **فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين** ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً. يرثني** ﴾[2]، وقوله جل ثناؤه ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾[3].

والاقتداء بالقرآن الكريم مطلوب من المتحدثين بالعربية.

★ **ومن ذلك قولهم: يُدرِّسُ علي لأول مرة، وأعجبت به لأول وهلة.**

وإدخال اللام على (أول مرة) و (أول وهلة) غير وارد في العربية الفصحى، فالمعروف فيهما عدم إدخال اللام عليهما، ففي المعاجم اللغوية: **لقيته أول مرة وأول وهلة** دون ذكر اللام وهذا هو العربي الفصيح.

★ **ومن ذلك قولهم، لقّبوا هذا المجاهد بطل الأبطال.**

فيعدون الفعل (لقّب) إلى المفعولين بنفسه والواقع أن هذا الفعل يتعدى بالباء، يقال: لقّبه به تلقيباً فتلقّب كما في المعاجم اللغوية **فالاستعمال الصحيح في العبارة السابقة أن يقال: لقبوا هذا المجاهد ببطل الأبطال.**

الهوامش

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١.
(٢) سورة مريم، الآيتان ٥، ٦.
(٣) سورة الشورى، الآية ٤٩.



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة « الفيصل » أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: الأدب في خدمة الحياة والعقيدة.

● المؤلف: عبد الله حمد العويشق.

● الناشر: الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية، (٢٧١ صفحة) قطع كبير، رجب ١٣٩٠هـ/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠م.

منذ اثنتي عشرة سنة ظهر هذا الكتاب مطبوعاً، وفي الظن أن بعض الدارسين وقفوا عنده وقوموه، غير أن الرجوع إليه هذه الأيام أمر تقتضيه ظروف المرحلة. فإن الأدباء الشباب حادوا عن الجادة لاضطراب موقفهم الفني، ومن ناحية أخرى ازداد عدد النقاد الذين رفعوا لواء الالتزام بمعان ودلالات تذهب بهم مذاهب شتى، حتى لقد أوقعوا هؤلاء الشباب في مزالق، مخرجين إياهم من دائرة التعبير السليم الصادق - وهو دائماً ينبثق عن موقف واع - إلى التحامق حيناً، والتباهي حيناً آخر، والتهالك في متاهات السيريالية في أغلب الأحيان.

وأكثر ما يبعث على الأسى أن نسمع من أدباء هذا الجيل - وهم مفتونون لكل جديد يمكن أن نسميه بدعة - أنهم الأكثر فهماً لروح العصر، والأقدر تصويراً لمشكلاته، والأصلح أو الأكفأ في مجال النهوض بالمجتمع.

وزاد الطين بلّة أن نصب بعضهم نفسه باسم العقيدة ولياً، وترك الجوهر والأسّ إلى ترديد ما لا يمكن أن يقبله موقف مسؤول أو إرادة حرة.. عارضاً لقضايا فرعية حكم فيها من بعيد وأصبحت جزءً فاعلاً من عقلية الأديب وروحه!

الكتاب إذن - أو على أية حال - قديم، ولكن قضيته لا تزال مطروحة ويزداد حولها اللغط.. ولهذا نقدمه، وليس في نيتنا أن نحاسب صاحبه على ما اعتوره من قصور بعض منه في الرأي، وبعض في المنهج - وهو خمسة أبواب تتفرع إلى أربعة عشر فصلاً سوى التمهيد - وبعضها في الاجتراء على المصطلح من قبيل الرواية Romance ص (٧٧) مع أن الرواية هي novel بالإنجليزية و roman بالفرنسية، وأما الرومانس فهو القصص الخيالي - المغامرات - الذي مهد لظهور الرومانسية. ومن هذا نفسه القصصية novelette ص (٧٥) وصوابها الرواية القصيرة على أساس أن اللاحقة ette عند الفرنسيين و et عند الإنجليز هي الدالة على الصغر على نحو ما نقول vanet أي وانيت بمعنى الكاميون أو اللوري الصغير، والكبير منه هو van.

وعرضنا للمصطلح، وقد كان صاحب البحث عبد الله حمد العويشق حريصاً على أن يقرنه بلفظه الأعجمي - إنجليزياً كان أو فرنسياً - يوحي لنا على الفور بأننا إزاء كاتب طلعة يجيد اللغات، ويفرق بين مذاهب الأدب وفنونه في مجالي الشعر والنثر، وفي منطلقات حسان بن ثابت ومالارميه، وكعب بن زهير وبودلير. وينتقل بسهولة كالعصفور الذي لا يعبأ بشيء من ملهاة الأخلاق comedy of mannels - بمعنى كوميديا السلوك - ومسرحية الأشباح لإبسن إلى مقامات البديع ومسرحيات باكثير!

خليط عجيب، وعلى مساحة زمانية تشغل تواريخ حضارية للمصريين والهنود والإغريق والعبريين وغيرهم. ومن خلال تلك التواريخ تتضارب أسماء كونفوشيوس - وقد رسمه لحسن الحظ بالحروف الرومانية فقط - ومحمد بن عبد الوهاب ولوكريشس



وإقبال وأرسطو وابن الجوزي . . .

والحق أننا ندهش لهذا الجهد الخارق ، إلا أننا نحس أن الكاتب الطلعة ليس إلا مسجلاً دقيقاً أو فلنقل ليس إلا موفقاً أو ملفقاً أو كما يقول الأعاجم ـ وهو مغرم باصطلاحاتهم ـ إكلكتيكي من طراز لافت!

وفي ظني أن الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ـ وهو أستاذه ومقدم كتابه ـ سدّد خطوه شيئاً . غير أنه لم يستطع ن يكبح جماحه فتركه على هواه يكتب في معنى الحياة وطبيعة الأدب وحدود الالتزام ومدلول الصدق الفني ، واختلاف الاتجاهات الأدبية للحياة والعقيدة والمحاكاة ، ونظرية الفن للفن ، وأقسام الشعر ، وطبيعة الشعر الغنائي ، ثم النثر والنثر القصصي بخاصة ـ ولم ينس الحديث الإذاعي ولا المحاضرة!! ـ بجانب موضوع خدمة الأدب للحياة والعقيدة في الأمم القديمة (كذا) وفي الحضارة الإسلامية مستعيناً ببعض آراء البحاثة محمد قطب صاحب «منهج الفن الإسلامي» . واستطرد إلى بعض نقاط عقدية في الفصل الرابع من الباب الخامس ليقف عند الحركات الإصلاحية ، وهكذا إلى أن يعن له أن يترجم ترجمات خاطفة ـ وغير ضرورية ـ لبعض الأعلام!

حدث هذا منذ نحو اثني عشر عاماً ، وأظن أن عبد الله العويشق كان مدفوعاً بثورة الشباب ، وأصبح الآن فيما أتصور أكثر رزانة وأكثر صبراً على التعامل مع البحث تعاملاً رأسياً يتجه إلى الأرض ، وليس أفقياً يتسع إلى ما لا نهاية .

إذن ، ماذا عنى المؤلف بعنوان كتابه «الأدب في خدمة الحياة والعقيدة» ؟

من الناحية الشكلية أقحمت «العقيدة» على العنوان ، لأن الحياة تجبها لفظاً . وفي مجتمعنا حيث المسؤولية إسلامية ـ وللإسهام منهجه وروحه ـ لا تستقيم الحياة إلا بصحة العقيدة . وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً لا يقبل المسلم حياة إلا وعقيدة الإسلام أسّها ، هكذا تعلمنا ولا نحتاج إلى نص للشهادة على ذلك .

ومن وجهة النظر الإسلامية يرتبط سلوك الإنسان بأخلاقيات تلزمه الجادة والقصد والإخلاص والصدق . والأديب أولى الناس بهذا الالتزام ، لأنه مفكر ، أو فلنقل لأنه عضو عامل في المجتمع ، ويرى نفسه مسوقاً إلى مناقشة قضايا العصر من حيث هي جزء من اعتقاده .

وإذن فإن الأديب في المجتمع الإسلامي ملتزم بالضرورة وبالفعل وبالقوة ، وبكل ما اخترعه الفلاسفة من أوصاف لفعل الإنسان . وعندما يكون شاعراً تطل روح العقيدة من خلال أبياته ، دون أن يكون في حاجة إلى أن يتبع أسلوب حسان بن ثابت . لأن ذلك الشاعر القديم المخضرم ، إنما كان يخدم مجتمعه بطريقة مباشرة ـ إعلامية ـ اقتضتها ظروف الدعوة الإسلامية آنذاك . ويتفرع عن ذلك كبديهة أن شاعر اليوم في مجتمعنا ـ وهو لا ينحو نحو حسان بكل تأكيد ـ لا يمكن خلعه منا ، لأنه مسلم بسلوكه الحضاري ثم بتعبيراته التي تمثلت روح الإسلام .

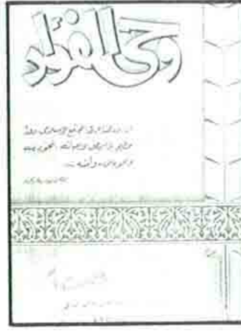
وقولوا مثل ذلك عن القصاص ، وعن كتاب المسرح . وقولوه أيضاً عن أبي تمام والبحتري على الرغم من أنهما لم يصدرا عن مباشرة تشبه مباشرة البوصيري في بردته ـ وقد جاوز هذا عصر حسان ـ ولا تشبه أيضاً إحدى زهديات ذي النون المصري أو محمود الورّاق .

ترى ماذا نريد أن يفهم عنا القارئ؟

نريد أن يفهم عنا أن الأدب في المجتمع المسلم ـ طالما كان هذا المجتمع سليماً مكتمل النمو ـ يخدم الحياة كما يخدمها العلم التجريبي داخل المعمل ، وكما خدمها العلم اللدني في كتاب الله لتوجيهها إلى الغرض السامي النبيل .

إن للأدب بأنواعه وبمذاهبه وظيفة ، لأنه ثبت نهائياً أنه لم يكن قط في أي مرحلة من مراحل التطور للمتعة pleasner ـ ونأسف لاستخدام الاصطلاح الأعجمي ـ بل منذ قعده أرسطو وهو المعلم الأول في المنطق والفلسفة والفن ، يجعله مسخراً لخدمة الإنسان والحياة ، وقرر أن المنفعة لا تلغي جماليته قط.

وعندنا نحن المسلمين ، ومنذ قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشعر يمكن أن





★ فؤاد شاكر ★

يكون سلاحاً من أسلحة المعركة ، جاهد لجذب الشعراء إلى صفه من ناحية ، ورسم لهم من ناحية أخرى - وهو المشرع المهتدي بكتاب الله - خطة العمل ، فإذا الشعراء مجندون لخدمة الدعوة الإسلامية والإنسان المسلم .

وما أصاب الأدب في ضوء المذاهب والفلسفات المتعاقبة - وحتى لدى أصحاب الفن للفن وهم البرناسيون - تطوح الالتزام يميناً ويساراً ، إلا أنه لم يلغ أو يهمل قط . وظلت التعبيرات الأدبية في كل أنواعها وأنماطها تحمل آثار الالتزام ، لا بالمعنى السياسي الذي قرره الماركسيون مؤخراً ، ولا كذلك بالمعنى الذي يراه الوجوديون ، وإنما بالمعنى الإسلامي الذي يجعله جزءً من مكوّنات الأديب وعنواناً لشخصيته .

ألم يكن في وسع عبد الله العويشق أن يقول ذلك بسهولة ؟

بلى ، كان .. إلا أن حماسة شبابه وضآلة تجربته يومذاك - أي منذ اثنتي عشرة سنة تقريباً - أبتا عليه إلا أن يكون في كتابه حاطب ليل ، وهو برغم كل شيء مشكور .



● الكتاب : وحي الفؤاد (ديوان شعر) .

● المؤلف : فؤاد شاكر - الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م .

هذا ديوان صاحبه من شعراء النهضة في المملكة العربية السعودية ، ومن الأعلام التي برزت في ميادين الصحافة . عرف بتخرجه في مدرسة كوكب الشرق القاهرية ، بعد أن تخرج على يدي أستاذه السيد حسن الغاياتي بمصر . ولما عاد إلى وطنه تفرغ لرئاسة تحرير « صوت الحجاز » فرئاسة تحرير « أم القرى » لمدة خمسة عشر عاماً ، رجع بعدها إلى « صوت الحجاز » كما عمل رئيساً لتحرير « البلاد السعودية » .

فلو أضفنا إلى ذلك تعيينه رئيساً للتشريفات الملكية وإصداره ثمانية عشر مؤلفاً مع إسهاماته في عدة من المؤتمرات الأدبية والسياسية ، نرانا أمام شخصية لها وزنها في مجال الثقافة ، واقتحامها ميادين الشعر بكفاءة يشهد عليها « وحي الفؤاد » - وقد سبقها إليه الروّاد من أمثال محمد بن عثيمين ومحمد آل عمير ومحمد بن بليهد - دليل على أصالتها ، لأن الشعر كان ولا يزال عند العرب دعامة حضارتهم على شتى العصور .

وفي الظن أن فؤاد شاكر كان يريد أن يناطح أحمد شوقي في سعة أفقه وتنوّع عباراته حسبما تتنوّع موضوعاته - وإن يكن أقل منه كفاءة وتوفيقاً - فجاء ديوانه الذي بين أيدينا سجلاً لتاريخ فني لا يمكن إهماله ونحن نكتب عن المجتمع العربي في المملكة العربية السعودية .

وعلى الرغم من أننا نجد فيه آثار الصنعة ، وكدّ الجهد - وليس الشعر على أية حال صنعة فكر - فإننا لا نستطيع إلا أن نضعه في مقدمة شعراء النهضة في السعودية ، ومع الشعراء الآخرين الذين لمعوا في مصر التي أحبها وتأثر فكرها وفي غير مصر حيث الشعر الرصين المواكب للأحداث والمناسبات .

وقد يذكرنا فؤاد شاكر إذا حررناه من شوقي بعلي الجارم أحياناً ، ومحمد الأسمر في كثير من الأحيان . وللأخير ديوان ضخم لعله يزيد على « وحي الفؤاد » مائة صفحة أو نحو ذلك ، ويتضمن عشرات من قصائد المدح والمناسبات التي يستحب فيها - تقليداً موروثاً - الافتخار بالعظماء والأعلام .

ونحن في « وحي الفؤاد » نرانا أمام حشد هائل من الأعمال التي تشيد بمآثر الأسرة السعودية ، كما نرى تلك القصائد التي تقف عند الطبيعة والحج وقضايا المجتمع والرثاء وعلاقات الشاعر بنوابغ العصر من أمثال شوقي ، غير أن ما وفق

فيه حقاً هو ما صدر عنه في ابتلاء وطنه وقوميته ، يقول :

فيا أيها الشعب الذي أنت سامع
تأوه أفلاذ به تتسعر
أيرضيك أن تمسي وشطرك طاعم
قرير وشطر آخر يتضوّر

وفي أثناء وجوده بالقاهرة أنشد في أحد الحفول بكلية الآداب :

يا شعب مصر وأنتم سادة نجب
أكرم بهم في العلى من سادة نجب
ما مصر إلا بلاد العرب قاطبة
وما الحجاز سوى أم لها وأب

وهذا إحساس حاد بعروبيته ، فلما وقعت كارثة فلسطين ـ وكانت بدايتها ضياع حيفا أو تسليمها للصهاينة عام ١٩٤٨ م ـ أنشد ناظراً إلى أبي تمام من بعيد :

واضيعتاه وواها أيها العرب
فيم الجمود وهذا الكون يصطخب
ماذا أفدتم من الإخلاد ويحكمُ
[illegible]
خلّوا الحديث لحدّ السيف إن له
فصل الخطاب وفيه المنطق الذرب

ولم ينس ـ كعادة الشعراء ولم يكونوا عرفوا عمق الكارثة ـ أن يهدّد ويبشر ، فيقول مخاطباً آل صهيون الذين اغتصبوا أو أهدروا مبادئ الحق :

أشعلتموها عليكم نار موجدة
بكل ثاكلة الأفلاذ تضطرب
فأبشروا باللظى المشبوب عاقبة
فما لكم غيره والله منقلب

وحتى حين رثى عمر المختار في مطالع الثلاثينات ، ارتفع ببكائه إلى مستوى المأساة ـ وقد أعطاها بعداً قومياً ـ فانشد بعد أن ذكر مصر والحجاز والشام « فكلنا مهج بالخطب تضطرم » :

هيهات ما عمر المختار في جدث
تحت التراب ولكن في الورى علم

وفي التعريف بوحي الفؤاد ـ وقد اشترك في تقديمه أعلام من كل مكان في الوطن العربي ـ إشارات إلى الشعر وعناصره كاللغة والخيال والإلهامات الشعرية كما يقول السيد حسن كتبي ، ولو تأنّى أصحابها لرأوا أن صاحب الديوان يكفيهم مؤونة الدرس والتحليل . لأن الشعر عنده ـ فيما يقرر في منظومته « الشعر في حقيقته » ـ تجربة تصوغها لغة تقليدية لها أساليبها التي لا يعرفها سوى أمثال المتنبي الذي :

أهاب بروض الشعر فانصاع صاغراً
ويشدو بألحان القوافي مرددا
[illegible]
مكانة هذا الشعر عزاً وسؤددا
ويا رب لفظ مشرق من بيانه
تألق بين الأنجم الغرّ فرقدا
ويا رب معنى ساطع في سطوره
تشامخ بين الجوهر الفرد مفردا

وطالما كان ذلك كذلك ـ ولا شك أنه كذلك عنده ـ فلا بد أن يرفض كالعقّاد ذلك الشعر الجديد ، ويقول في تهكّم وهو يلمح إلى الشعرى اليمانية في مقابلة بينها والشعر نرفضها بمنطق وبإحساس فنان :

يقولون إن الشعر حرّ ولم نكن
لنعلم في الشعرى إماء وأعبدا

ومع ذلك فقد كان فؤاد شاكر ـ في ديوانه وحي الفؤاد ـ شاعراً مجيداً من شعراء النهضة ، يحسن التعبير عما يدور بخلده ، ويلتصق بمجتمعه التصاقاً يكشف عن إدراكه بمعظم مشكلاته ، ويدل بصياغاته المحكمة على أنه ـ في حدود المحافظة غير المتزمتة ـ صاحب مبدأ ورسالة ، حتى وإن غالبته الخطابية فاكتفى بأن ينشد :

لحا الله قوماً ناصبونا عداءنا
وكل امرئ منهم غويّ وفاجر
لهم من صفات اللؤم كل دنيئة
فكل امرئ منهم زنيم وساحر





مؤلف الدرويش والموت

الأديب اليوغوسلافي محمد سليموفيتش

ورحل الأديب اليوغسلافي الكبير محمد سليموفيتش صاحب الرواية الشهيرة «الدرويش والموت»، وكنت أظن أن عالمنا العربي والإسلامي سيرثي هذا الكاتب اليوغسلافي الذي آثر الكتابة عن عالم المسلمين في يوغسلافيا: وذلك بنشر المقالات والأبحاث عنه وترجمة بعض من مؤلفاته، كما يحدث بالنسبة لكتّاب الغرب، ونشرها في مجلاتنا التي تغطي جميع أنحاء وطننا العربي الكبير. إلا أنه مع الأسف الشديد لم يحدث شيء من هذا القبيل دون وجود سبب واضح لذلك، اللهم إن كان السبب هو عدم معرفة الأديب ولغته. ومن هنا وجدت لزاماً عليّ، وأنا المتخصص في هذه اللغة وأدبها، أن أسد هذا النقص.

بقلم: د. جمال الدين سيد محمد

سيرة حياة

ولد في عام ١٩١٠م، عن عائلة مسلمة في مدينة «توذلا» **بمنطقة البوسنة والهرسك** التي يكثر بها عدد المسلمين اليوغسلاف، ومما يذكر أن عددهم قد بلغ الآن حوالي أربعة ملايين مسلم يوغسلافي.

وفي حوالي الرابعة من عمره التحق سليموفيتش بـ«الكتّاب» وكان مدرسه هو **الحاج صالح أفندي** الذي ترك انطباعاً طيباً للغاية في نفسه[1]، فقد كان يترك لهم مطلق الحرية في الحضور والانصراف وهو أمر يستحوذ على إعجاب صغار التلاميذ، ثم أنه لم يكن يغضب منهم على الإطلاق، ولا يقطب جبينه في وجوههم، وكان يتركهم يثيرون الضجيج ويتقافزون بينما هو يضحك لهم بكل صبر مستمتعاً بسرورهم، لكنه رغم ذلك لم يحظ منهم بالاحترام.

وفي المقابل كان مدرس الدين الإسلامي في «الكتّاب» قاسياً عليهم مما زاد من صعوبة تعلم محمد سليموفيتش للحروف العربية التي كانت بالفعل عسيرة عليه أشد الإعسار، الأمر الذي جعله فيما بعد لا يحب اللغة العربية وحروفها، غير أنه حينما وقعت في يده بمحض الصدفة ترجمة للقرآن الكريم تعجّب أشد التعجب، وتساءل عن الأسباب التي دعت مدرس الدين إلى أن يخفي عنهم مثل هذا النص الرائع![2].

واستمع سليموفيتش في طفولته إلى نوعين من الحكايات. النوع الأول هو حكايات جدته وأمه في شبابها. ومن الطريف التنويه بأن أمه كانت مسلمة شديدة التمسك بدينها وتلتزم بصلواتها لكنها للأسف كانت في بيتها وحيدة في هذا المضمار فلم يكن زوجها، والد محمد، يجاريها في ذلك ومن هنا كان محمد يشعر بأن أمه تعيش في وحدة عجيبة.

وأنهى محمد دراسته **بكلية الآداب بجامعة بلغراد**. ثم اشترك في حرب التحرير الشعبية اليوغسلافية، وكانت السنوات الأربع التي قضاها في هذه الحرب بمثابة إعداد أدبي مكثف لنشاطه الأدبي بعد الاستقلال. ومنذ عام ١٩٤٦م، وهو يعيش ويعمل في **«سرايفو»** مدرساً بالمدرسة العليا للتربية، ثم مدرساً بكلية الفلسفة حيث درس مذهب الواقعية في الأدب اليوغسلافي.

مكانته الأدبية

وبالتدريج أخذ محمد سليموفيتش يحتل مكانته الأدبية في منطقة البوسنة والهرسك خاصة منذ صدور **مجلة «براذدا» الأدبية** في عام ١٩٤٨م، وشرع ينشر أقاصيصه الأولى التي تعالج موضوعات حرب التحرير والثورة.



مؤلف الدرويش والموت

وبالرغم من أن الأسلوب الواقعي كان هو الأسلوب السائد في الفترة من عام ١٩٤٥م، وحتى عام ١٩٥٠م، فقد تميّزت أقاصيصه باهتمامه الشديد بالتعبير الفني وبالحالة النفسية وبهيكل القصة وبجمال أسلوبها. وكان واضحاً آنذاك أن هذا الأديب قد اختار السبيل الذي سبقه إليه أول حائز يوغسلافي على جائزة نوبل للأدب في عام ١٩٦٢م، وهو الأديب «**إيفو أندريتش**» الذي كان مغرماً أيضاً بمنطقة البوسنة والهرسك[٣].

وبعد استقلال يوغسلافيا، ساهم محمد سليموفيتش في نشاط لجنة تحديد جرائم الاحتلال، ثم تم تعيينه عضواً باللجنة التي كان ينبغي أن تتأكد وتحقق في الاتهامات المنسوبة لبعض الفنانين. وقرر أعضاء هذه اللجنة بما فيهم سليموفيتش أن هؤلاء الفنانين أبرياء. وإثر ذلك تمت إقالة اثنين من أعضاء اللجنة من عملهما، وطُلب من سليموفيتش أن يرحل. وهكذا ظل منذ عام ١٩٥٣م، بلا عمل ولمدة أربع سنوات متتالية دون أن يعرف أسباباً محددة للاستغناء عنه، ودون أن يقول أو يفسر له أحد شيئاً، ولم يستطع محمد أن يتحدث مع أي إنسان بشأن هذا الموضوع. وقد وصف الأديب سليموفيتش هذا الموقف في **رواية «القلعة»** حيث لا يستطيع المرء أن ينطق ببنت شفة والناس يمرون من أمامه كنسمة هواء[٤].

وحاول البحث عن عمل في أي مكان دون جدوى، ولم ينجح في الحصول على أي عمل بالرغم من أنه كان يطلب العمل في كل مكان وحتى في الأرياف وذلك لأنه رب أسرة وزوجته لا تعمل. وكان على استعداد لقبول أية وظيفة من أجل هذه الأسرة حتى لو كان عملاً بدنياً.

وبعد لأي قبله مدير المسرح القومي في سرايفو للعمل بالمكافأة معداً درامياً بالمسرح، فأحس محمد لأول مرة معنى الأمان بحصول المرء على مبلغ من المال، حتى لو كان ضئيلاً، في أول كل شهر.

ولكنه ظل محدود الدخل يعمل ويمارس كل شيء وأي شيء، وكان يحس بالمهانة لكنه لم يسمح لنفسه بل ولم يستطع أن يسمح لها بالتركيز على محافظته على كبريائه. وأخذ يعد سيناريوهات الأفلام وهو عمل جديد عليه لا يعرف عنه شيئاً، ويعترف هو شخصياً برداءة هذه السيناريوهات، وأنه لم يتقن على الإطلاق هذا العمل. غير أنه حصل **بمهرجان «بولا» اليوغسلافي** على جائزة عن سيناريو فيلم «الأرض الغريبة» الذي أعده بناء على فكرة إحدى أقاصيصه.

وتحسنت أحواله وتوالت عليه الوظائف فعمل مديراً فنياً لشركة «بوسنة فيلم» السينمائية ثم رئيساً لدار النشر «سفيتلوست» بسرايفو ثم انتقل إلى بلغراد وتوفي بها كأديب محترف في عام ١٩٨٢م. ومنذ عام ١٩٥٨م، وهو يكرس نفسه للعمل الأدبي وقد بلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً لكنه كان يعمل بإصرار شديد، وفي هذه الأثناء درس اللغة وإمكانات التعبير مما ساعده على حسن صياغة أقاصيصه ومؤلفاته، وسيطرته على الأساليب المختلفة للتعبير.

أعماله الأدبية

ومن مؤلفاته المشهورة: الرجل المستاء (١٩٤٧م)، الكتيبة الأولى (١٩٥٠م)، السكون (١٩٦١م)، الأرض الغريبة (١٩٦٢م)، الضباب وضوء القمر (١٩٦٥م)، الدرويش والموت (١٩٦٦م)، الفتاة ذات الشعر الأحمر (١٩٧٠م)، القلعة (١٩٧٠م)، الجزيرة (١٩٧٦م)، وروايته التي لم يكملها «الدائرة».

ويركز النقّاد في تحليلاتهم المتباينة على التفرقة على نحو ما بين مؤلفات سليموفيتش قبل صدور **روايته «الدرويش والموت»** وبين مؤلفاته بعدها، وذلك لأن هذه الرواية كانت أشبه بالانفجار الذي اجتاح جميع الأوساط الثقافية اليوغسلافية وخارجها، واستقبلها النقّاد والقراء بحماس بالغ منقطع النظير، وأعربوا عن حب استطلاعهم المتزايد تجاه الكشف عن مكنون هذه الرواية وحل رموزها واكتشاف شخصياتها الحقيقية. لذا لم يكن من الغريب أن يتوالى حصول هذه الرواية على أرفع الجوائز الأدبية اليوغسلافية نظراً تميّزها بين قريناتها من الروايات بما تتمتع به من أسلوب رصين وتحليلات نفسية دقيقة.

الدرويش والموت

ويتحتم علينا هنا أن نوجز ـ بقدر ما يسمح المجال ـ رواية «**الدرويش والموت**» حتى يتمكن القارئ من متابعة هذه المسيرة معنا، وذلك رغم إدراكنا أنه لا يمكن التصدي في هذه العجالة بتلخيص الرواية، ولكن عزاءنا أننا بهذا الموجز قد نلفت نظر القارئ إلى هذه الرواية ونترك له فرصة مطالعته المتأنية لها مستقبلاً[٥].

راوي هذه الرواية وبطلها الرئيسي في نفس الوقت هو أحمد نور الدين الذي يبلغ من العمر أربعين ربيعاً وهي فترة عصيبة

من عمر الإنسان ، فهو فيها صغير السن بالنسبة لرغباته ، متقدم في العمر بالنسبة لتحقيق هذه الرغبات ، وكل إنسان ينشد في هذه الحقبة التغلب على قلقه بأن يصبح قوياً بفضل ممارسته للحياة[٦] . ولم يكن أحمد نور الدين مختالا بسبب مهنته التي كان يعتبرها وظيفة دينية شريفة للغاية ، وبموجبها كان يرى لزاماً عليه أن يحمي نفسه وغيره من الذنوب والآثام . لذا فليس بإمكانه أن يتخلى عن أداء هذه المهمة .

ومن خلال حديث أحمد نور الدين مع نفسه نعلم أن أسرته كانت تحيا حياتها الخاصة ولم تعد تربطه بها سوى صلات الدم وذكريات ولت وطفولة ظل يعمل على محو آثارها طيلة حياته موهماً نفسه أنها قد زالت وانمحت . وكان يحب أسرته حباً يفتقد إلى الصلات والروابط ويخلو من النفع . لذا فقد كان حباً فاتراً ، وكانت النتيجة الحتمية لذلك أنه لم يلق مساعدة من أفراد أسرته في مجال خدمته للدين .

ونعلم أيضاً أنه درويش منذ عشرين عاماً ولم يتعلم في صغره في المدرسة إلا ذلك الذي أرادوا أن يتعلمه ، فقد علموه أن يطيع وأن يتحمل الصعاب وأن يعيش من أجل الدين . وكان هناك كثيرون أحسن منه إلا أنه كان يفضلهم جميعاً في تمسكه بدينه . وكان يعرف دوماً ماذا يجب عليه فعله **وكانت طريقة الدراويش تملي عليه طريقة سيره ومسلكه** ، وكان يعلم أن تعاليم الإسلام تشمل جميع المجالات ويتصرف وفقاً لها .

ويتعرض أخوه **هارون** لمصيبة تؤدي إلى الزج به في سجن القلعة ثم إعدامه ، الأمر الذي يحدث تحولا حاسماً في حياة أحمد نور الدين ويثير الحيرة في جنبات نفسه ، فهو لا يستطيع أن يطلق على ما حدث أنه عدل أو أنه ظلم . ومن هنا تبدأ رحلة عذابه ، إذ إنه لا يحب الظلم ولا يطيق تحمله ويراه علامة على ضعف الحيلة وسوء التدبير ، بل إنه يعدّه إحدى السبل التي تدفع الناس إلى ارتكاب الشرور والجرائم . وعندما أذاق رجال السلطة أخاه سوط العذاب أحس بهذا السوط وهو يلهبه ويدميه . إنه يعرف أخاه معرفة جيّدة ويعلم أنه ليس لديه استعداد لفعل الشر ، غير أنه لا يريد أن يدافع عنه أو أن يؤيد السلطات في مسلكها القاسي تجاه أخيه . وفي اعتقاده أن الجميع مسؤولون عن إلقاء هذا العبء الفادح على كاهله وأنهم بذلك يجبرونه على توضيح وتحديد موقفه .

ومن الجلي أن زاوية مراقبة أحمد نور الدين للأمور متحركة لا تستقر على حال وهي نظرة شاملة للأمور ، وهي في الوقت نفسه زاوية شخصية وبالتالي فهو ليس مراقباً موضوعياً محايداً . ووضع أحمد نور الدين هو وضع الإنسان الذي تعرض وجوده وكيانه للخطر ، لذا فإن أهمية القيم تتغير أمام عينيه ، ودائرة اهتمامه تنحصر بالضرورة في المشاكل الحياتية للإنسان . . المشاكل ذات الأهمية العامة ، أي مشاكل الوجود الإنساني كله[٧] . ومن هنا كانت هذه الزاوية فوق الزمان والمكان وكل التحديدات في تصويرها للكفاح الأبدي المستمر بين الخير والشر ، بين الحقيقة والكذب ، بين السلبية والإيجابية ، بين كل ما هو أبدي وكل ما هو عابر .

وبالصدفة المحضة يعلم أحمد نور الدين من صديقه حسن بأسباب القبض على أخيه وإعدامه ، وتتمثل هذه الأسباب في أن هارون اكتشف لدى القاضي الذي يعمل لديه كاتباً ، أوراقاً تبيّن أن السلطات كانت تعاقب بقسوة الأشخاص الذين لا يكتسبون إعجابها ، بل إن السلطات مضت إلى أبعد من ذلك . فقد كانت قبل القبض عليهم تعد المحاضر والتحقيقات اللازمة واعترافاتهم الوهمية بالجرائم المطلوب إثباتها . وما إن عرف هارون بأمر هذه المستندات حتى خشيت السلطات افتضاح سرها وذيوعه وسرعان ما تخلصت من هارون بنفس الأسلوب أي بتلفيق بعض التهم له ثم إعدامه .

وكان من الطبيعي أن يهتز كيان أحمد نور الدين وتتغيّر شخصيته تغيراً كبيراً نتيجة لمعرفته بهذه الحقائق ، ذلك لأنه رأى قوة وصورة الشر الذي يقدر على كل شيء ، ويحوم فوق الحياة بغرض اقتناصها .

وهكذا كان المصير المفجع لأخيه هارون سبباً قوياً لتبدل شخصية أحمد نور الدين ولسيطرة الخوف عليه ، وللتفكير في سخافة الحياة ، وفي الفزع الذي يستولي على الإنسان ، وهذا هو ما دفعه إلى الانطواء على نفسه والهرب منها ، وسيطر الخوف والفزع على قراراته . وأحس بأن الزمن أقوى منه ، وأنه محتم على الإنسان ، سواء أراد أم لم يرد ، أن يفقد كل شيء . وكل شيء في هذا الزمن وهذه الحياة يوحي للمرء بأنه يملك ذاته ، وبأنه حر بينما هو في الحقيقة يعيش طول حياته أسيراً لقوى الظلام التي تثير في نفسه الإحساس بالذل والاستياء ، ويعتصر الألم نفسه بسبب مرارة الحقيقة . إذ لا بد للإنسان من أن يتخلى عن كل ما يحبه ويهواه لأن الخسارة والإحباط لا مفر منها ، ولا بد أن يتخلى المرء عن الحب حتى لا يفقده ولا يحطمه الآخرون ، ولا بد كذلك من التخلي



مؤلف
الدرويش والموت

عن أية ارتباطات بسبب احتمالات الحزن والحسرة .

وطالب أحمد نور الدين بالسلطة والنفوذ لكي ينتقم بسبب موت أخيه ، فأصبح قاضياً . ولما حصل على السلطة سرعان ما اصطبغ بلونها ووقع في فخاخها التي لا يخرج منها . ووقع بيده على حكم بإعدام صديقه الوحيد ورفيق حياته **حسن** ، وما إن أحس القاضي أحمد بمدى انحداره حتى شعر بسخافة وجوده وتقزز من مسلكه ، ومن الحياة والعالم حوله .

وينجح حسن في الهروب من سجنه ويعلم القاضي أحمد بهذا الهروب ويصمت عنه فيأتي عليه هو الآخر الدور في ملاقاة الموت . ويأتي النزع الأخير وتتحول اللحظات الأخيرة للحياة إلى حشرجة وإلى صرخة بلا معنى ، وتوقف ذهنه عن التفكير وأخذت الغريزة الموجودة بداخله تعرب عن تشبثها بالحياة وحبها لها . وهذا يعني أن ثورته الداخلية قد انهارت .

ويمكن القول إن هذه الرواية هي رواية الفكر والتفكير بلا طموحات فلسفية كبيرة ، وهي رواية المعضلات الأخلاقية ، وهي تعد امتحاناً عسيراً للنقاد وللجمهور من حيث تفسير مغزاها الحقيقي ، وتفسير معانيها المركبة العديدة . وقد أطلق بعض النقاد عليها أنها رواية إسلامية بسبب بيئتها الإسلامية الخالصة ، وبسبب جوّها وأفكارها الشرقية ، وبسبب العديد من المعاني القرآنية الواضحة التي يشتمل عليها حوار أحمد نور الدين مع نفسه .

ومن ناحية أخرى فهذه الرواية مفعمة بالرموز الفلسفية والنفسية التي تشير إلى أسى الإنسان وعذابه المصيري في غزو الحياة والسيطرة عليها ، لذا فإنها تشتمل على تحليل عميق لطاحونة السلطة والنفوذ التي يكون الإنسان في بعض الأحيان هو ضحيتها وفي أحيان أخرى يشترك في تشغيلها .

ويقدم محمد سليموفيتش في هذه الرواية تحليلاً نفسياً وتلخيصاً للتطور التاريخي للإنسان اليوغسلافي تحت سيطرة الأنظمة السياسية والاقتصادية . والأديب عن طريق ملاحظاته العقلانية يمتلك قدرة مرهفة على السخرية والتهكم من الشر والحمق . إنه في هذه الرواية لا يسرد حكاية من الحكايات بل إنه ينقّب في باطن الأرض بحثاً عن أكثر الحقائق اختفاءً ويبرز أن الطريق إليها مليء ، على الدوام ، بالأشواك .

ولا يمكن لأديب أن يقدم لنا صورة واقعية ومتناقضة في ترابطها للأحوال النفسية والأدبية للأجيال وللإنسان ، إلا إذا كانت لديه قدرة على التعمق الذهني في شرعية العلاقات بين المجتمع والإنسان وبالعكس . والحقيقة أن الابتعاد من المشاكل المركبة للإنسان في الأدب يقود إلى السبل الممهدة وإلى النماذج الكلاسيكية المألوفة ، غير أن الأديب سليموفيتش مضى في الطريق المغاير ، أي في الطريق الحقيقي للفنان . . في الطريق الذي يجابه فيه أكثر الأمور حساسية ، ويعارض فيه كل ما لا يقوم على الدراسة والبحث[8] .

ثم نأتي إلى قضية أخرى يثيرها النقاد ألا وهي أن الأديب محمد سليموفيتش كان في عرضه لشخصية أحمد نور الدين ولقضيته ولمشكلته المتعلقة بإعدام أخيه إنما يعرض جانباً واقعياً حياً من حياته الشخصية ، وذلك لأن **أخاه ، شفيق سليموفيتش** ، قد أعدم بمعرفة **قوات البارتيزان اليوغسلافية** بتهمة استحواذه على بعض الأشياء الخاصة بهذه القوات ، ويذكر في حيثيات الحكم أنه قد اتخذت ضده مثل هذه العقوبة الصارمة لأنه من عائلة معروفة أنجبت العديد من الأفراد المناضلين المنضمين إلى **قوات البارتيزان** . وكان محمد يعلم تمام العلم ببراءة أخيه وحتى القاضي لم يتمكن من إثبات شيء آخر[9] .

وهذا الحدث غير المألوف وغير المعقول كان نقطة تحول خطيرة في حياة جميع أفراد عائلة سليموفيتش وفي حياته هو بشكل خاص . وكانت الصدمة غير المتوقعة شديدة عليه مما دعاه إلى التفكير في استمرار تأييده للثورة ضد الاحتلال ، لكنه بعد تفكير عميق استمر في وقوفه إلى جانب قوات الثورة التي أخذت تأكل أولادها . وبالرغم من ذلك فلم يستطع أن ينسى أخاه ، ولم تتركه الذكرى لأنها كانت أقوى منه فأراد أن يهرب منها فرحل عن مدينة **سرايفو** وانتقل إلى **بلغراد** .

ويعترف الأديب محمد أنه حاول مراراً أن يكتب قصة أخيه ومأساته إلا أن الكلمات كانت تخونه وأراد في قرارة نفسه أن يختار أحداثاً تاريخية قديمة لكي يحكي من خلالها فجيعة أخيه دون أن يتمكن أحد من المقارنة بين الحقيقة وبين المكتوب لأنه كان يخشى هذه المقارنة . والحقيقة أن التاريخ وأحداثه كان من بين المشاغل الرئيسية لدى سليموفيتش ، وكان كثيراً ما يفكر فيه ويظل يناقشه الأيام والليالي مع أصدقائه متسائلاً : إذا كان الإنسان على الدوام في خسران فأين يجد السند ؟ . . وكانت إجابته : أنه يبقى العقل والأمل باعتبارهما قبس الضوء الوحيد في هذه الدائرة المغلقة . والصواب في جانب من يعتقدون أن مستقبل البشرية مرتبط بتيقظ إيمانهم بالمستقبل[10] . وقد عالج محمد بالفعل ، بطريقة أو بأخرى ، كل

هذه الأفكار في روايته .

ومن هنا واتته فكرة هذا الدرويش الذي يقف بمفرده في مواجهة جميع الشرور ويعيش حياة مزدوجة ويتألم من أجل هذه الحياة بحيث أصبحت الحياة لديه تافهة والموت كذلك على حد سواء . وظل يحمل فكرة هذا الدرويش في صدره عشرين عاماً وهو يعمل فكره فيها وفي تفاصيلها ويصرف عليها الكثير من طاقته الثقافية والعاطفية وأحس بعد انتهائه من كتابتها بتعب شديد جعله يعاني من الاكتئاب ومن الانطواء وأخذ يتجنب الناس ويخشاهم .

موقف النقّاد

وقد حصل الأدب اليوغسلافي بهذه الرواية على كتاب فريد وعلى خبرة إبداعية ملهمة من حيث إحساسها وصياغتها ، وكان لدى مؤلف هذه الرواية الرغبة والشجاعة لأن يهبط من برجه العاجي المأمون الذي يقوم فيه بالتأمل الروحي ومطالعة كتب التاريخ ، إلى الأرض حيث يدرس المشاكل البشرية الجوهرية والراهنة على الدوام والمتعلقة بالحياة والموت وبالحب وبالكراهية وبالوفاء والخيانة وبالشر وبالخير ، وهي مشاكل فطرية مغروسة في الإنسان ولم يجد لكثير منها أي حل .

وبنظرة ملية إلى حوار الرواية نجده سريعاً ، بديهياً ، ومليئاً بالمتناقضات والمفاجآت ، أما لغة الرواية فقد كانت غاية في الأهمية بالنسبة للمؤلف ، وقد أصر على ذلك إصراراً خاصاً ، وحاول أن يغيّر جوهرها وأن يحررها من التراكمات وأن يجدد ويحقق قوتها الحياتية . وكان المؤلف يريد بمعالجته العصرية للمشاكل الإنسانية الأبدية أن يجرب بطريقة خاصة إمكانات لغته في التعبير عن الخوف وعن الزهو بطريقة مغايرة ، وأن يجرب خبرته في اللغة . وكان نجاحه في هذا المضمار عظيماً ، إذ أوضحت التحليلات اللغوية الدقيقة الإمكانات الضخمة للغته في التعبير .

وبعد ظهور هذه الرواية واشتهار مؤلفها ، أخذ النقاد يعقدون المقارنات والمشابهات بين الأديبين محمد سليموفيتش وإيفو أندريتش على أساس أن كليهما من منطقة البوسنة والهرسك[11] . وتقود هذه المقارنات النقاد إلى الاستنتاج بوجود جوانب تشابه عديدة بين بطلي رواية « **الدرويش والموت** » لسليموفيتش ورواية « **الفناء الملعون** » لأندريتش . وبينما مؤلفات سليموفيتش ترتبط ارتباطاً تاريخياً وأدبياً بعصر وبعالم محدد ، ألا وهو عالم البوسنة والهرسك ، نجد مؤلفات أندريتش تقف موقفاً وسطاً بين الأسطورة والحقيقة التاريخية . ودائماً ما يركز سليموفيتش على الجانب الأخلاقي في العالم والعصر ، وبذلك تكون الصورة ذات قيمة كبيرة بالنسبة لجميع العصور ، وهي صورة خالية من الحقائق التاريخية[12] . كما أن سليموفيتش يحم وجود مسافة معيّنة بين حقائق العصر والبيئة ، وبين شخصيات مؤلفاته . أما أندريتش فيرسم لأبطاله صورة دقيقة في تفاصيلها ، ويحاول بالوثائق تقريب صورتهم من الأصل . ومن أهم مميزات سليموفيتش أنه لا يهم كثيراً بالأشخاص وبالأحداث التي تشكل تاريخ منطقة البوسنة والهرسك وإنما يحاول أن يستنبط من الحقائق الحيّة من الأشخاص حكايات رمزية ذات مغزى أخلاقي .

ومن جوانب التقارب بينهما أن سليموفيتش يقترب غاية الاقتراب من أندريتش في موقفه الأساسي الذي يتمثل في احترامه للالتزامات العائلية . وهذا هو ما يفصل بين سليموفيتش وبين معاصريه من الأدباء اليوغسلاف الذينَ لا يحترمون على الإطلاق هذه الالتزامات العائلية . أما فيما يتعلق بالاختلافات بين الأديبين ، فأهمها أن سليموفيتش لم يكتب على الإطلاق رواية تاريخية تستند إلى الوثائق التاريخية كما فعل أندريتش في رواية « **وقائع مدينة ترافنيك** » التي تعتمد في أساسها على الوثائق التاريخية وأقوال شهود العيان .

وبعد ، فما زال هناك في الجعبة الكثير مما يقال عن هذا الأديب اليوغسلافي ، وأملنا أن تتاح لنا فرصة أخرى لعرض أفكاره التي اقتبس الكثير منها من الفكر الإسلامي ومن القرآن الكريم .

الهوامش

(١) النقاد عن محمد سليموفيتش ، سرايفو عام ١٩٧٣م ، ص ٣٠١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

(٣) مدحت بيجيتش ، بحث مصائر البشر ، مجلة الصدى ، سرايفو عام ١٩٧٢م ، ص ١ .

(٤) صحيفة فتشرنى نوفوستي ، ١٨/ ٧/ ١٩٨٢م ، ص ١٨ .

(٥) ترجمت هذه الرواية ونشرت بالقاهرة في عام ١٩٧١م .

(٦) محمد سليموفيتش ، الدرويش والموت ، سرايفو عام ١٩٦٦م ، ص ١٧٧ .

(٧) نيكولا ميلوشيفيتش ، كاتب لكل العصور ، صحيفة بوليتيكا ، ١٧/ ٧/ ١٩٨٢م ، ص ٨ .

(٨) ميودراج بوجيفيتش ، الدرويش والموت ، مجلة التعبير ، سرايفو ١٩٦٧م ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٩) النقاد عن سليموفيتش ، ص ٣٤١ .

(١٠) جوريتش ، دوائر سليموفيتش ، صحيفة بوليتيكا ١٣/ ٧/ ١٩٨٢م ، ص ١١ .

(١١) النماذج الأولى في الحياة ، صحيفة يوريا ١٨/ ٧/ ١٩٨٢م ، ص ٨ .

(١٢) رادوفان فونشكوفيتش ، مشاكل وأدباء ومؤلفات ، سرايفو عام ١٩٨١م ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

النظرية التربوية البراجماتية

النظرية التربوية البراجماتية أو التقدمية، واحدة من أبرز النظريات التربوية في العصر الحديث. ويطلق عليها أحياناً الأدائية، أو الوظيفية، أو التجريبية، أو العملية، أو الذرائعية. ويرى أصحاب هذه النظرية أن الطبيعة الإنسانية مرنة ووظيفية، وأن الحقيقة يمكن معرفتها من نتائجها التجريبية، عندما توضع في موقف عملي فعلي. ويقال إن أصل هذه النظرية التربوية يعود إلى زمن هرقليطس اليوناني (٥٣٥ ـ ٤٧٥)، الذي كان يؤمن بفكرة التغير المستمر، وبأن الحقيقة الثابتة المطلقة لا وجود لها. ويرجعها آخرون إلى غيره من الفلاسفة التجريبيين المحدثين.



بقلم: عيسى الجراجرة

ويرى أصحاب هذه النظرية أن التربية هي الحياة، وأن من واجب المدرسة كمؤسسة تربوية أن تستخدم مواقف الحياة في العملية التربوية، لهذا يؤمن هؤلاء بمبدأ **التعلم بواسطة العمل** (Learning by Doing)، وأن الخطة التعليمية يجب أن يشارك في وضعها الطلبة وأولياء أمورهم والمعلمون وكل من له صلة في العملية التربوية، انطلاقاً من المبدأ الديمقراطي في اتخاذ القرارات التربوية[١].

وتسمى المدرسة التقدمية أحياناً «**بمدرسة النشاط**»، لأنها تحاول تطبيق المبدأ السابق. فثمة نشاط في اكتساب الخبرة يجعل التعلم ذا معنى. وعن طريق النشاط يحاول الطلبة الانتفاع بما تعلموه في الميدان العملي. ومنهج الخبرة هو اسم ثان لها، وهو أننا نتعلم ما نحياه. والرجل الذي يعتبره **جون ديوي** «أباً للتربية التقدمية» في الولايات المتحدة هو **الكولونيل فرنسيس باركر**. وكان يعتقد أن بني البشر، لو تعلّموا وتربّوا، تربية سليمة، لتعلمت الإنسانية أن تحل مشكلاتها دون أن يقتل بعضها بعضاً[٢]. وعندما توفي باركر، خلفه، جون ديوي، الذي أنشأ هو وزوجته مدرسة صغيرة تقدمية في بيتهم حيث أعطيا الأطفال، قدراً هائلاً من الحرية. وقد نشرت محاضراته حول التربية التقدمية في كتاب بعنوان «**المدرسة والمجتمع**»، ثم وضع كتابه الآخر «**الديمقراطية والتربية**» الذي كان له أثر كبير في تفكير المربّين التقدميين[٣]، كما يعتبر **تشارلس بيرس، ووليم جيمس** من فلاسفة ومؤسسي التربية التقدمية أو البراجماتية.

مصادر البراجماتية

لقد استمدت الفلسفة البراجماتية مبادئها وأصولها من مصادر كثيرة. كان من بينها على سبيل الإجمال **الحركة الواقعية** التي كانت في تطور مستمر منذ القرن السابع عشر، **والحركة الرومانتيكية** الفردية التي أسسها «**روسو**» في القرن الثامن عشر، **والحركات النفسية** التي قاد لواءها «**بستالوتزي**» و«**هربارت**» و«**دوبل**» في القرن التاسع عشر، **والحركة العلمية والحركة الاجتماعية** اللتان سادتا في أواخر القرن التاسع عشر، ثم استمرتا في نموهما وقوتهما في القرن العشرين، والنتائج العلمية الباهرة التي أسفرت عنها البحوث البيولوجية والنفسية، والمبادئ الديمقراطية، والخصائص الصناعية. فمن هذه المصادر كلها اشتقت الفلسفة البراجواتية مبادئها ونظرياتها وحاولت أن توفق بين ما اشتقته منها[٤].

وقد ساهم في تدعيم الحركة أو الفلسفة البراجماتية وتوضيح مبادئها والدعاية لها، كثير من الفلاسفة والعلماء المربّين الأميركان، أربعة منهم يمكن أن يعتبروا المؤسسين الحقيقيين لهذه الحركة أو الفلسفة وهم «**تشارلز بيرس**» و«**وليم جيمس**» و«**جون ديوي**» و«**جورج هربرت ميد**». وقد أتى من بعد هؤلاء كثير من المربّين التقدميين الذين حملوا

لواء الفلسفة البراجماتية ، كان من بينهم على سبيل المثال « **بويد بود** » و « **وليام كلباترك** » و « **جون تشايلدز** » و « **جورج كاونتس** » . فقد ساهم هؤلاء جميعاً بمحاضراتهم وكتبهم ومقالاتهم العديدة في تطوير الحركة البراجماتية وفي توضيح مبادئها . وبالرغم من اختلاف هؤلاء البراجماتيين في كثير من الأفكار الجزئية فإنهم يكادون يتفقون في الإيمان بالمبادىء الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة البراجماتية .

مبادىء البراجماتية

إن مفتاح التربية التقدمية ومبدأها الأساسي ، هو جعلها الطفل (أي المتعلم) محور عملية التربية والتعليم . لأنها تعتقد أن الأطفال يتعلمون الأشياء المترابطة الأجزاء ، التي لها معنى عندهم ، والمبنية على خبراتهم ، لأن لدى الأطفال رغبة طبيعية فطرية في التعلم ، أي أن التربية التقدمية ، تؤكد على أهمية الانطلاق من الطفل ، من قابلياته وميوله وطباعه ، ومقوماته الشخصية . وبينما كانت التربية التقليدية تحدد سلفاً ما ينبغي أن يتعلمه الطفل والعادات التي عليه أن يكتسبها ، ثم تفرض عليه التمرينات التي من شأنها أن توصله في زعمها إلى النتيجة المرجوة ، وذلك باللجوء إلى الوظائف البيتية وإلى إثارة اهتمام الطالب بمستقبله وباللجوء خاصة إلى نظام الثواب والعقاب .

أما التربية الحديثة فتمتنع عن أن تفرض أي شيء ، وعلى الطفل فيها أن يقبل من تلقاء نفسه على الفعاليات التي تكونه والتي تعدّه للحياة[٦] . وهذا ما أكده المربّي الأمريكي « ديوي » ولا سيما في كتابه « المدرسة والمجتمع » حيث قال : « إن المدرسة التقليدية هي تلك التي يقع مركز ثقلها خارج الطفل : إنه في المعلم أو الكتاب أو في أي مكان شئت ، عدا الغرائز المباشرة للطفل نفسه وعدا نشاطاته الذاتية » ، ويضيف ديوي موضحاً موقف التربية الحديثة :

« علينا أن ننطلق من الطفل ، وأن نتخذه هادياً ومرشداً . . فالطفل هو المنطلق وهو المحور وهو الغاية » وبتعبير آخر ، لقد كان محور التربية التقليدية هو الراشد . فهي تنزع إلى تكوين الراشد ، كما أنها من صنع الراشد . أما محور التربية الحديثة فهو الطفل : فهي تبدأ منه ، بل هو صانعها إلى حد بعيد ، وشعارها « **التربية لأجل الطفل ومن الطفل** »[٧] .

وفي حجرة الدراسة نجد أن التعليم ينتظم عادة حول مشكلات ، أو مشروعات بدلا من أن يكون تتبعاً لترتيب منطقي لمواد منفصلة ، فإذا تعلم الفرد منا درساً دون أن يدرك مغزاه بوضوح وعلاقته بشيء حقيقي في حياته فسيكون « التعلم » هنا قاصراً على الذاكرة وحدها ، غير أننا نعلم نتيجة البحث العلمي الدقيق ، أنه كلما كثرت الروابط بين ما يتعلمه الطفل وبين الخبرات المتنوعة كان التعلم والفهم أبقى ، وسهل تطبيقه على مواقف الحياة . وهذا ما تحاول المدارس التقدمية تطبيقه على طرق التدريس فيها بحيث يقوم التعلم على النشاط والخبرة ويطبق عليها ، ويحل الفهم محل القواعد المحفوظة والحقائق المنفصلة والحيل الحسابية . هذا ويؤكد المدرس التقدمي قيمة المهارة في البحث عن المعرفة التي يحتاج إليها الإنسان أكثر من تأكيده ادخار الحقائق والمهارات وحفظها في العقل انتظاراً لاستعمالها وتطبيقها فيما بعد ، أي **أن التفكير والفهم يسبقان التذكر** .

وقد أثبت علم النفس أننا ننتبه إلى الأشياء التي نميل إليها أكثر من غيرها ، وأننا نتعلم ونتذكر ونبذل جهداً في الأشياء التي تتمشى مع ميولنا ، ولهذا فإن المدرسة التقدمية تهتم بميول الأطفال الحاضرة ، بل وتسعى إلى استثارة ميول جديدة ، وبذلك أصبحت مدرسة مشوقة للأطفال . وكان اهتمام التربية التقدمية الأول ، منصرفاً إلى تنمية الابتكار عند الأطفال ، وتوفير قدر أكبر من الحرية لهم . كما تركز عنايتها حول الطفل ، ويكثر العمل فيها الذي يقوم على ميول الأطفال ، ويصدر عن حاجاتهم « وتهدف في النهاية التربية التقدمية إلى تربية المواطن الديمقراطي المبتكر ، المسؤول » .

البحث . . وعلم النفس . . والتقدمية

ولأن الطفل والمتعلم ، وهو محور العملية التعليمية والتربوية ، كائن شديد التعقيد ، ولأن الأطفال يتباهون فيما بينهم ، فإن هذه المدرسة التربوية تعتمد على البحث التربوي العلمي ، لتحديد الخبرات المناسبة التي تلائم المتعلمين أفراداً وجماعات ، وتلبي حاجاتهم الفردية والجماعية ، وما الذي يريده منهم المجتمع ، ودورهم في الأسرة ، والبيئة ، والوطن ثم أخيراً في العالم الأكبر . ولهذا أصبحت التربية التقدمية تجعل من الأبحاث والأفكار العلمية ، حجر الزاوية ، في أساليبها العملية والتربوية وفي عملها التربوي والتعليمي . ولا يعني بطبيعة اعتماد التربية التقدمية ، على البحث التربوي والعلمي ، أن ترمي جانباً بكل ما هو قديم ، بل تحاول الاستفادة من الخبرات والمعرفة التي لا تتعارض مع نتائج البحوث العلمية والتربوية ، لأنها عندما تطبق نتائج العلم في ميدان التربية والتعليم ، فإنها تحاول أن تساعد المتعلمين ، بكل الطرق ، على إنماء إمكاناتهم وقابلياتهم كأفراد ، وكأعضاء مساهمين مسؤولين في المجتمع[٨] ، كما تحاول تطبيق علم النفس الحديث ، في طرق تدريسها ، لذا استبعدت **نظرية الملكات** . وأخذت تساعد الأطفال والمتعلمين على تذكر الأشياء التي يحتاجون لتذكرها عن طريق تزويدهم بخبرات تجعل التعلم مفهوماً ومرغوباً . وهي تساعد المتعلمين على تعلم جمع الحقائق ، وتمحيص الفروض ، وإدراك العلاقات ، وتنظيم معلوماتهم تنظيماً مرناً ، يسمح بتغيرها في ضوء ما يستجد من حقائق مع قدر كاف من الحسم يؤدي إلى العمل ، إن كان هناك حاجة للعمل[٩] ، وهذا يذكرنا بفضل آخر من أفضال علم النفس التي لا تحصى ، فقد وجد أن التعلم يصبح أكثر فاعلية عندما يأتي عن طريق العمل ، فيمكنك أن تقرأ كل ما كتب عن طريقة قيادة سيارة ، لكنك لن تكون آمناً عندما تجلس أمام عجلة القيادة لأول مرة . فأنت تتعلم القيادة بالقيادة نفسها . وأثناء تعلمك يزداد فهمك لما تفعل وتصبح أكثر حذقاً ومهارة في قيادة سيارتك .



وبذلك لا يبدأ تعلمك عن طريق نظري ، إذ إنك بممارسة ما تتعلمه يصبح التعلم جزءً منك . وهذا يجعل المربّون يقولون « **لقد أصبحت التربية علماً عندما استفادت من علم النفس في الميدان التربوي** ، وهم يرون كذلك ، أن **العلاقة بين علم النفس والتربية ، هي كالعلاقة بين علم وظائف الأعضاء والطب** . فالطب يعتمد اعتماداً أساسياً على أبحاث علم وظائف الأعضاء ، ثم يمضي في أبحاثه لحل مشاكله الخاصة . كذلك التربية ، تعتمد في بحثها الأساسي على علم النفس ، ثم تمضي في أبحاث خاصة بها مباشرة ، لحل المشاكل التربوية العملية ، التي تظهر خلال الممارسة التربوية في الميدان والتطبيق .

وأكثر ما تظهر مكانة البحث التربوي وعلم النفس في التربية التقدمية في النواحي التالي[١٠] :

(١) **المدرس** : يعتبر المدرس عند البراجماتيين العامل الفعال في العملية التربوية ، ولأن التربية مهنة ، فإن على المعلم صاحب المهنة ، أن يلم بمعرفة واسعة عامة من ناحية ، وفي حقل مهنته وما كشفته البحوث المنهجية العلمية ، في كل الحقوق التي تساعده على النجاح في عمله التربوي التعليمي من جهة أخرى .

(٢) **حجرة الدراسة** : يسود حجرة الدراسة في المدرسة البراجماتية الجو المنزلي المتحرر ، الذي يشيع فيه الحب ، ويسوده النظام الديمقراطي ، ويتضوع بفوح تعاون الأطفال بعضهم مع بعض . وتعاون المتعلمين ، وهو الأساس الذي يعتمد عليه النظام الذاتي ، الذي لا يتنافى مع سلطة المدرس ، ولا مع سعي المدرسة البراجماتية لتعلم الأطفال قمع دوافعهم وتهذيبها التي تعوق الوصول إلى أهدافهم البعيدة ، أو أهداف زملائهم ونشاطهم .

(٣) **ماذا يتعلم الأطفال؟** : كثير مما يتعلمه الأطفال لا يظهر في منهج الدراسة التقليدي ، **كالنظام الذاتي** مثلاً ، أو طريقة التعبير عن الذات تعبيراً إبداعياً باستخدام الخشب أو الصلصال أو الألوان أو الكتابة أو

النظرية التربوية البراجماتية

الخطابة . **وأظهر ما يميز المدرسة التقدمية نجاح التلميذ في أن يتكيف مع زملائه ومع الجماعة ، وإدراكه لمركزه فيها وفي العالم ، وقدرته على أن يكتشف ميوله ، ونواحي قوته وضعفه .**

ولا يعني هذا أن المدرسة التقدمية لا تعمل على تعليم القراءة والكتابة والحساب وغير ذلك من الحقائق العلمية . فهذه الأمور يتعلمها الأطفال فعلاً في المدرسة التقدمية كما يتعلمونها في المدرسة التقليدية على الأقل . أما التعلم الفعال الذي يصحبه الفهم ويعقبه التطبيق على شؤون الحياة ، فهو في المدرسة التقدمية أكثر فاعلية وأقوى تأثيراً ، لأن الدراسة والتعلم يقومان على أسلوب إثارة المشكلات ، التي تناسب عمر الناشئة ، وميولهم وحاجاتهم وخبراتهم السابقة . فيأتي التعلم والتربية أوسع نطاقاً ، وأكثر تنوعاً ، مما يزيد علاوة على ذلك كله ، « الرغبة في التعلم » عند الأطفال بصورة ملحوظة .

(٤) **الوسائل** : تتجنب التربية التقدمية أي نظام أو طريقة شكلية في التدريس واستخدام الوسائل التعليمية ، لكنها تؤكد على ضرورة استخدامها لكل ذلك وللمعارف السيكولوجية ، والحقائق العلمية المختلفة التي تعرّفنا الطرق التي يتعلم الناس بها ، والطرق التي ينمون بها نمواً مثمراً إلى أقصى حد ممكن ، بشرط أن يكون العمل التربوي والتعليمي القائم على النشاط ، والمتصف بالحيوية مشوقاً للأطفال ، مشبعاً لتعطشهم للتعلم .

وظيفة المدرسة

ونجد أن من غايات التربية التقدمية أو البراجماتية ، تنمية الحس الاجتماعي والروح الديمقراطية عن طريق العمل المشترك والتعاون ، والتفاعل في الحياة الاجتماعية وفي هذا يقول ديوي :

« **إن غاية التربية الديمقراطية (البراجماتية) لا تنحصر في الوصول بالفرد إلى أن يحسن الاشتراك في حياة الجماعة التي يتصل بها مباشرة ، بل يجب أن تهيء الفرص للتفاعل المستمر بين الجماعات المختلفة بصورة ديمقراطية حتى لا يدور في خلد فرد أو جماعة اقتصادية أنها تستطيع الحياة مستقلة عن غيرها**[١١] . « وهم مع إفساحهم المجال ، لتفتيح فرديات سليمة ، أو بتعبير أصح ، لتفتيح شخصيات حقيقية ، تتجنب الروح الفردية الإنسانية التي تشكل خطراً على المجتمع والأفراد أنفسهم » ، حتى أن ديوي يرى « **أنه يحق للمجتمع أن يضحي بتفريد التعليم في سبيل خلق الروح الجماعية** »[١٢] ، « **وأن ضمان الديمقراطية ، ضمان لروح الاجتماعية الخلاقة في المجتمع ، ولا يكون ذلك إلا بمناهضة الديكتاتورية وتدعيم الديمقراطية وهذا التدعيم للديمقراطية هو من أهداف التربية التقدمية**[٦] . **ولأن التربية التقدمية تسعى أن تجعل الأهداف الشاملة لجماعة إنسانية منسجمة ، مع أهداف عالم متسع ، يرمي إلى تحقيق الخير العام ، فإنها تحاول أن تساعد الأطفال والشباب والمتعلمين على التكيف ، بعضهم مع بعض والتكيف مع العالم المحيط بهم . وتحاول تدريبهم على التفكير والعمل متعاونين ، كما تحاول أن توجه تعبيرهم عن أنفسهم بطرق لا تتعارض مع الجماعة ، أو مع أهداف المجتمع ، بل تساوق هذه الأغراض ، وتسهم في تحقيقها** »[١٤] .

ولذا فهم يرون أن الكائن الذي لا يعرف سلوكه سيداً غير الهوى ، هيهات أن يملك أكثر من حرية موهومة خادعة ، فهو مسيّر بقوى ليست له عليها أي سيطرة[١٥] ولذلك فإنهم

يقدمون إعداد مواطن الغد على أي شيء آخر، فهم يرون أن من اللازم، في بلد ديمقراطي، ينشأ المتعلم ضمن جو موافق لمبادئ الديمقراطية، وأن يتمرس بأساليب هذه المؤسسات ضمن متطلبات تتناسب وسنه[16].

وهذا يمكن القول إن مجال المدرسة التقدمية أوسع من مجال المدرسة التقليدية، فبينما ينصرف اهتمام المدرسة التقليدية إلى الكتب وإلى التقسيم التقليدي للمواد، تهتم المدرسة النامية بنمو الأطفال نمواً شاملاً متكاملاً. إنها تريد أن يتعلم الطفل الأشياء التي يحتاج إليها في حياته تعلماً فعالا. إنها تريده أن ينمي جسماً صحيحاً، وأن يكون سعيداً، ولذا تهتم المدرسة التقدمية بالتكيف الانفعالي، أي تهتم بالصحة النفسية، إنها تريد، أن يحقق ذاته، وأن ينمي ميوله ومهاراته، وهي تريد أن ينمي خلقه، أي أن ينمي النظام الذاتي وبُعد النظر والوعي الاجتماعي، إنها تريده أن يكون متعاوناً، وأن يكون عضواً مسؤولا في المجتمع ـ أي مسؤولا في منزله ومدرسته وجماعته ووطنه، وفي العالم كله، وهو شعور من جانب الطفل بالمسؤولية الحقيقية لتحقيق خير الجميع وبالرغبة والمعرفة والمهارة في القيام بمسؤوليته الاجتماعية الشاملة ـ وهذه الأمور من النتائج الهامة التي تحاول المدرسة التقدمية تحقيقها.

أما عندما يتجاوز **مرحلة رياض الأطفال**، فإنه يتدرب على مهنة أو عدة مهن يدوية من شأنها أن تنمي مهارته، ويتحمل مسؤولية تسيير البيت المدرسي ويتعلم في قيادة الناس. ولا يتم تكوينه الفكري استناداً إلى الكتب وحدها، كما في المدرسة التقليدية، بل يشتمل على حظ كبير من العمل والتطبيق. والعمل المدرسي لا يقوم على أساس خزن المعلومات واستظهار النصوص، بل على اكتساب الخبرة عن طريق القيام بأعمال شخصية. إن شعار هذه المدارس الحديثة الفعالة هو شعار «ديوي» الشهير: «التعلم عن طريق العمل Learning by Doing» والمدرسة بمفهوم البراجماتية مؤسسة اجتماعية، وهي صورة للحياة الاجتماعية، وهي الحياة نفسها، لأنها ليست مجرد إعداد للحياة بل هي الحياة نفسها. ولهذا وجب أن نجعل من المدرسة، مدرسة المجتمع، مجتمعاً مصغراً، تتمثل فيه الحياة ويتدرب عليها الطلاب عملياً، بنقل البيئة الاجتماعية إلى المدرسة تارة، وبخروج المدرسة إلى البيئة تارة أخرى[17]. إن مثل هذا الفهم للوظيفة الاجتماعية للتربية، والمدرسة، يدعوها إلى أن تأخذ المدرسة والتربية دوراً «إيجابياً إنشائياً» في عملية التخطيط الاجتماعي، وذلك بأن تنظم المنهج حول برنامج اجتماعي، يقوم على البحث عن الحلول السليمة للمشكلات المختلفة التي تواجه المجتمع والتي تؤثر على مستقبله[18].

وفي النهاية فإنه يمكن تلخيص أهم ركائز التربية البراجماتية أو التقدمية ومبادئها بالنقاط التالية:

●● **إن النمو الشامل لشخصية التلميذ هو هدف التربية، وذلك بتوفير البيئة الموجهة التي تمكن التلميذ من إشباع حاجاته المختلفة.**

●● إن التعلم عملية تفاعل بين التلميذ وبيئته عن طريقها يكتسب المهارات والمعلومات والاتجاهات العقلية الاجتماعية. فالتلميذ يتعلم الشيء الذي يحياه والذي يعمله ويمارسه.

●● **إن التدريس السليم هو الذي يراعي الفروق الفردية بين التلاميذ حيث إنهم يختلفون فيما بينهم من النواحي الجسمانية والعقلية والاجتماعية والانفعالية.**

●● إن التربية الخلقية التي ترمي إلى تنمية الوعي الاجتماعي، وبعد النظر، والنظام الذاتي، وضبط النفس، تقوم على ممارسة أنواع النشاط التي تكفل تحقيق هذا النوع من السلوك الخلقي.

●● **إن الديمقراطية هي الأساس في الحياة المدرسية حتى يمكن للمدرسة أن تسهم في تنظيم حياة المجتمع تنظيماً ديمقراطياً.**

●● إن عملية التربية عملية اجتماعية شاملة، تتضمن ضرورة تعاون المدرسة مع المنزل حتى يمكن توجيه التلاميذ توجيهاً اجتماعياً شاملاً.

●● **إن منهج المدرسة يشمل جميع أنواع النشاط التي يقوم بها التلاميذ وجميع المؤثرات التي تحيط بهم.**

وقصارى القول، فإن التربية البراجماتية أو التقدمية، في كلمات قليلة، هي المجهود التربوي التعليمي التعلمي الدائم، لتطبيق النتائج العلمية المتزايدة، لمساعدة المتعلمين (من الأطفال والشباب والكبار)، على النمو، من خلال عملية التربية والتعليم، وفقاً للمثل الديمقراطية والحياتية. أي نمو قدرات كل فرد إلى أقصى حد ممكن، باعتباره فرداً، وباعتباره مساهماً مسؤولا في مجتمع ديمقراطي.

الهوامش

(١) إبراهيم ناصر، **مقدمة في التربية**، (عمان، المؤلف، ١٩٧٨م)، ص ٢٤.

(٢) (٣) واشبورن، كارلتون، **التربية التقدمية**. ترجمة محمد الهادي العفيفي وآخرون (القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٦م)، (ص ٦٢، ٦٤).

(٤) عمر الشيباني. **تطور النظريات والأفكار التربوية** (ليبيا، تونس)، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م)، (ص ٢٣٠).

(٥) ص ٨ واشبورن، مصدر سابق.

(٦) (٧) عبد الله عبد الدايم، **التربية عبر العصور** (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م)، ص ٥١٩، ص ٥١٣.

(٨) (٩) (١٠) واشبورن، مصدر سابق، (ص ٦٤) (ص ٢٣ ـ ٣٥)، (ص ٧٣ ـ ٧٥).

(١١) (١٢) عبد الدايم، مصدر سابق، (ص ٥٧٢، ٥٣٦).

(١٣) (١٤) واشبورن، مصدر سابق، (ص ٢٨، ص ١٥).

(١٥) (١٦) (١٧) عبد الدايم، مصدر سابق، (ص ٥٢٥، ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠، ص ٥٨٨).

(١٨) واشبورن، مصدر سابق، (ص ٢، ص ١٣٢ ـ ١٤٤).

ـ محمود عبد الرزاق سفشق. الأصول الفلسفية للتربية (الكويت، دار البحوث العلمية، ١٩٧٤م) (ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧).

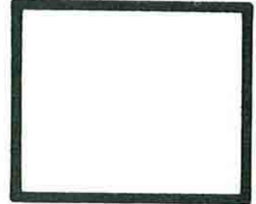
ـ الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة، دار الشعب، ١٩٥٩م) (ص ٦٨٢).

الطبري

.. وكتابة التاريخ

(٢٢٤/٣١٠هـ - ٨٣٩/٩٢٣م)

بقلم: د. فاطمة هدى نجا



هو محمد بن جرير الطبري ، ولد في «آمل» إحدى قرى طبرستان سنة ٢٢٤هـ ، أو ٢٢٥هـ ، بدأ دراسته مبكراً ، ونشأ محباً للعلم ، فقيل عنه إنه حفظ القرآن لسبع سنين ، ووقف في الناس إماماً لثمان ، وكتب الحديث لتسع . وقيل فيه أيضاً إن والده رأى ذات ليلة في منامه أن محمداً ابنه يحمل مخلاة فيها حجارة ، وكان يرمي تلك الحجارة ؛ فسأل أبوه تفسيراً لذلك الحلم ، فأجيب بأنه إن كان سيطول العمر بولده فسيصبح عالماً مدافعاً عن الشريعة .

كان الطبري طالب علم لا يعرف الكلل ، فدرس على أساتذة في الري وبغداد والكوفة والبصرة والشام ومصر ؛ واستقر أخيراً في بغداد . وقد بلغ في علمه بالروايات التاريخية والروايات الفقهية منزلة لا تبارى .

ورأى الطبري أن يتزود بالفقه من **الإمام أحمد بن حنبل** ، وكانت شهرته قد عمّت الآفاق ، وقبل أن يصل بغداد بيوم واحد بلغه نعيه ، فامتنع عن دخولها ، وتحول إلى البصرة ، وأخذ هناك الفقه على مذهب **الإمام الشافعي** . وأراد أن ينتقل إلى مصر ليلتقي بتلاميذ الشافعي ، فسار عن طريق بلاد الشام ، وعبر الساحل ، ونزل إلى **بيروت** ، وأقام فيها أياماً ، فتلقى علم القراءات على عالم بيروت العباسي **«ابن الوليد بن يزيد العذري البيروتي»** ، وكان شيخاً للقراء ، فختم عليه القرآن في سبع ليال . وعندما رحل إلى مصر درس العلوم على المذهب الشافعي ؛ وعلى هذا المذهب وضع تفسيره الكبير المعروف بتفسير الطبري ، وهو في ثلاثين مجلداً ، وتاريخه الطويل في عشرة أجزاء .

وقيل في الطبري إنه مكث أربعين عاماً يكتب تاريخه الكبير ، حتى قيل إنه كان يكتب كل يوم ٤٠ صفحة ، ويتحيرون متى ينام ومتى يأكل ويصلي ، وذلك لكثرة ما صنفه في التاريخ والفقه والحديث والتفسير والقراءات وعلم الحساب .

كان والد الطبري يملك مقاطعة في طبرستان ، فنشأ ابن جرير غير محتاج لكسب ، إذ كان والده ينفق عليه ، واستمر هذا الإنفاق يؤدى إليه حتى بعد وفاة أبيه وهو يتنقل بين البلاد .

طلب منه الوزير العباسي **«ابن خاقان»** أن يؤدب أحد أولاده ، فاشترط عليه راتباً شهرياً محدداً ، وأن لا يعيقه عن الصلاة وعن النوم ، وعن وقت الطعام ، وأفرد له غرفة ، وراح يملي على الولد ، حتى تفوق الولد في نجاحه ؛ وخرج مرة مسروراً ، فعمّت فرحته حجرات القصر ، فأقبلت نساء الوزير وجواريه يحملن للطبري قطعاً من الدنانير قدمنها لابن جرير ، فرفض ذلك بإباء ؛ وعندما سأله الوزير عن امتناعه قبول تلك العطايا ، أجابه بأنه يلتزم بالاتفاق الذي تم بينهما ، ولا يحق له أن يتقاضى أكثر من راتبه .

ذكر بعض المؤرخين أن الطبري كان إماماً في كل علم تعلمه ، فكان نحوياً وصرفياً ، ودارساً للطب ، إلى جانب الشعر فقد كان فيه بصيراً ، ولم يقبل عقله الواسع أن يتبع مذهباً معيناً ، فاجتهد أن يكون له مذهب خاص ، ولو عادى فقهاء المذاهب .

قيمة الروايات

ومن أشهر كتب الطبري **«تاريخ الرسل والملوك»** . وقد جمع مواده من أحاديث وأقوال من قبله من المؤرخين مع التحري الشديد لصدق ما يجمع ؛ وقد مكنته فارسيته الأصلية من أن يطلع اطلاعاً واسعاً على أخبار الأمم .

وكان محدثاً ، وقد بدأ حياته العلمية محدثاً ، ومن هنا نجد أن نظرة الطبري إلى التاريخ وأسلوبه في كتابته كانت متأثرة بدراسته وثقافته كمحدّث وفقيه . ولذا فإن طريقته في نقد الروايات كانت تتجه إلى **الإسناد** ، في

حين أن مصادره مؤرخون لهم منزلة موثوقة في حقولهم، أو في الموضوعات التي كتبوا عنها. وهو يعبّر في كتابه عن فكرتين أساسيتين في التاريخ: وحدة الرسالات من جهة، وأهمية خبرات الأمة واتصالها على الزمن من جهة أخرى.

إن قيمة الروايات في نظر الطبري تعتمد على قوة أسانيدها، وكلما كان بدء السند أقرب إلى الحادثة كان أفضل. فمن قوله عن **غزوة مؤتة** في السنة الثامنة للهجرة: «فحدثني **القاسم بن بشر بن معروف**، قال: حدثنا **سليمان بن حرب**، قال: حدثنا **الأسود بن شيبان**، عن **خالد بن سُمَير**، قال: قدم علينا **عبد الله بن رباح الأنصاري** ــ وكانت الأنصار تُفَقّهه ــ فغشيه الناس، فقال: حدثنا **أبو قتادة** فارس **رسول الله صلى الله عليه وسلم**، قال: بعث رسول الله جيش الأمراء، فقال: عليكم **زيد بن حارثة**، فإن أصيب **فجعفر بن أبي طالب**؛ فإن أصيب جعفر **فعبد الله بن رواحة**؛ فوثب جعفر فقال: يا رسول الله؛ ما كنت أذهب أن تستعمل زيداً عليَّ! قال: امض: فإنك لا تدري أيّ ذلك خير!

فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر، وأمر فنودي: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله، فقال: باب خير، باب خير، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؛ إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً ــ واستغفر له ــ ثم أخذ اللواء جعفر، فشد على القوم حتى قتل شهيداً ــ فشهد له بالشهادة واستغفر له ــ ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ــ فاستغفر له ــ ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ــ ولم يكن من الأمراء؛ هو أمَّر نفسه ــ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنه سيف من سيوفك، فأنت تنصره ــ فمنذ يومئذ سمّي خالد سيف الله ــ ثم قال رسول الله: أبكروا فأمدّوا إخوانكم ولا يتخلّفنّ منكم أحد. فنفروا مشاة وركباناً، وذلك في حرّ شديد.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: لما أتى رسول الله مصاب جعفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قد مر[1] جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب القوادم بالدم، يريدون بيشة، أرضاً باليمن[2]».

وهكذا وصلتنا عن طريق الطبري كتابات تاريخية وروايات تاريخية مبكرة، لم تحفظ إلا في تاريخه. ويبدو أنه أراد أن يصنف كافة الروايات التاريخية العربية في كتابه، وهذا يفسر العدد الضخم لمصادره.

وبدأ الطبري تأريخه بالزمان: ما هو وما ابتداؤه ومنتهاه، ثم تكلم عن حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار شيئاً؛ ثم تحدث عن ابتداء الخلق والأيام التي خلق الله فيها العالم. ثم استمر فبحث عن خلق آدم، والموضع الذي أهبط **آدم وحواء** إليه، والأحداث التي كانت في أيام آدم. واستمر على هذا المنوال حتى دخل في بحث **الطوفان، وقصص الرسل والأنبياء والأمم** التي عاشت قبل الإسلام؛ مع إيراد مجموعة من المعلومات عن **الإسرائيليات**[3]، وتاريخ العرب، وتاريخ الفرس.

ثم تناول التاريخ الإسلامي حتى عصره، متبعاً في حديثه عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الطريقة التي اتبعها كتّاب السيرة، فاتبع الترتيب الزمني للأحداث التي واجهت الرسول وخاصة منذ هجرته إلى المدينة المنورة.

الأحداث الهامة

أما أحداث كل سنة فقد ذكرها بشكل أخبار، واهتم بذكر مصادره وسلسلة الرواة. وإذا كانت للحادثة روايات مختلفة ويعتقد بوجوب ذكرها، فإنه يذكرها متعاقبة. وهو على العموم يحاول ضبط النصوص التي يرويها دون تبديل إلى درجة أنه كثيراً ما تبقى الكلمات والنصوص الأعجمية والأشعار الفارسية.

وقد خص الأحداث المهمة بالمنزلة الأولى عند الكلام عن سنة حدوثها. أما تنظيمه فقد اتبع فيه الترتيب الزمني، وسار على نظام الحوليات؛ غير أنه وضع فوق هذا التنظيم تقسيمات حسب الحكام تتجلى فيما يذكره لكل خليفة من ترجمة طويلة في سنة وفاته. فمن قوله في سنة ٢٣ هـ، عند وفاة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«حدثني أبو السائب، قال: حدثنا ابن فُضيل، عن ضرار، عن حصين المرّي، قال: قال عمر: إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده؛ فأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق.

وحدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: إذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس فوالله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون إسوة للناس.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل، عن يونس، عن الحسن، قال: قال عمر: لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولا، فإني أعلم أن للناس حوائج تقطع دوني، أما عمالهم فلا يرفعونها إليّ؛ وأما هم فلا يصلون إليّ، فأسير إلى **الشام**؛ فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى **الجزيرة** فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى **مصر** فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى **البحرين** فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى **الكوفة** فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى **البصرة** فأقيم بها شهرين؛ والله لنعم الحول هذا!

حدثني محمد بن عوف؛ قال: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، قال: حدثنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني أبو المخارق زهير بن سالم، أن كعب الأحبار، قال: نزلت على رجل يقال له مالك ــ وكان جاراً لعمر بن الخطاب ــ فقلت له: كيف بالدخول على أمير المؤمنين؟ فقال: ليس عليه باب ولا حجاب، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه من شاء.

وحدثنا أبوكريب، قال: حدثنا أبو بكر ابن عياش، قال: سمعت أبا حصين، قال: كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيّعهم فيقول: إني لم استعملكم على أمة

محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ، ولا على أبشارهم ؛ إنما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ؛ وإني لم أسلّطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ؛ ولا تجلدوا العرب فتذلّوها ، ولا تجمّروها[4] فتفتنوها ، ولا تغفلوا عنها فتحرموها ؛ جرّدوا القرآن ، وأقلّوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم ؛ وأنا شريككم . وكان يقتص من عماله ، وإذا شكي إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه ؛ فإن صح عليه أمر يجب أخذه به ، أخذه به .

وحدثني أحمد بن حرب ، قال : حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري ، قال : حدثني أبي ، عن ربيعة بن عثمان ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رحمه الله إلى حرة واقم ، حتى إذا كنا بصرار ؛ إذا نار تؤرّث ؛ فقال : يا أسلم ؛ إني أرى هؤلاء ركباً قصّر بهم الليل والبرد ؛ انطلق بنا ؛ فخرجنا فهرول حتى دنونا منهم ، فإذا امرأة معها صبيان لها ، وقدر منصوبة على النار ، وصبيانها يتضاغون[5] ؛ فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ـ وكره أن يقول : يا أصحاب النار ـ قالت : وعليك السلام ؛ قال : أأدنو؟ قالت : أدن بخير أو دَعْ ؛ فدنا فقال : ما بالكم؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت : الجوع ، قال : وأي شيء في هذه القدر؟ قالت : ماء أسكّتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ! قال : أيْ رحمك الله ، ما يُدري عمر بكم ! قالت : يتولى أمرنا ويغفل عنّا ! فأقبل عليّ ، فقال : انطلق بنا ؛ فخرجنا نهرول ، حتى أتينا دار الدقيق ؛ فأخرج عدلا فيه كُبّة شحم ؛ فقال : احمله عليّ ، فقلت : أنا أحمله عنك ، قال : احمله عليّ ؛ مرتين أو ثلاثاً ، كل ذلك أقول : أنا أحمله عنك ، فقال لي في آخر ذلك : أنت تحمل عني وزري يوم القيامة ، لا أمّ لك ! فحمّلته عليه ، فانطلق وانطلقت معه نهرول ، حتى انتهينا إليها ، فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذُرّي عليّ ، وأنا أحرّك لك ؛ وجعل ينفخ تحت القدر ـ وكان ذا لحية عظيمة ـ

الطبري

.. وكتابة التاريخ

(٢٢٤/٣١٠هـ ـ ٨٣٩/٧٣٩/٩٢٣م)

فجعلت أنظر إلى الدخان من خلل لحيته حتى أنضج وأدم القدر ثم أنزلها ، وقال : ابغني شيئاً ، فأتته بصحفة فأفرغها فيها ، ثم جعل يقول : أطعميهم ، وأنا أسطح لك ؛ فلم يزل حتى شبعوا ، ثم خلّى عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ! أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين ! فيقول : قولي خيراً ، إنك إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله . ثم تنحى ناحية عنها ؛ ثم استقبلها وربض مربض السَّبُع ، فجعلت أقول له : إن لك شأناً غير هذا ، وهو لا يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدءوا ، فقام وهو يحمد الله ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أسلم ؛ إن الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت منهم[6] » .

أما أسماء الولاة والموظفين فتبدو أقل أهمية عند الطبري ، منها عند غيره من المؤرخين المهتمين بالحوادث الدنيوية .

أما وجهة نظره عندما يتحدث عن عصره ، فتظهر بغدادية صرفة ، تعكس آراء الحكومة المركزية ؛ ويبدو أنه حذف التفاصيل التي لا تلائم مصالح العباسيين ؛ أما أخبار الوفيات فقد أقصاها عن التاريخ ، اللهم إلا لمن كانت لهم أهمية تاريخية .

وقد راعى الطبري في ترتيب تاريخه على الإجمال تسلسل الحوادث ، فرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام منذ الهجرة إلى نهاية عام ٣٠٢هـ . فذكر في كل سنة ما وقع فيها من أحداث رآها تستحق الذكر . أما إذا كانت الحادثة طويلة ، فإنه كان يجزئها على حسب السنين التي وقعت فيها ، أو يشير إليها جملاً ،

كتاب تاريخ الرسل والملوك

وكتاب «تاريخ الرسل والملوك» للطبري من كتب المصادر المهمة ؛ لا بد من رجوع المؤرخ الحديث إليه لتدوين التاريخ العربي ، وتاريخ الشعوب الإسلامية ؛ فهو يقدم الأصول والوثائق التي ذهب الدهر بها ، ولكنها تجمعت للمؤلف في أيامه . لقد أسبغ الطبري على كتابه تدقيق المتكلمين وطول نفسهم ، وما للفقيه العالم من دقة ، وحب للنظام ؛ وما للسياسي القانوني من بصيرة في الأمور السياسية . كل هذه الأمور والخصائص أدت إلى إحلاله مكانة مرموقة دائمة متزايدة في الأوساط الفكرية الإسلامية .

لمن الطبيعي إذن أن يكون لكتابه أثر عظيم عند المؤرخين الذين جاءوا بعده ، إذ اعتبروه مثالا يحتذى به في الشكل الذي ينبغي أن يكتب به التاريخ .

رحم الله الطبري على ما خلفه لنا من ثروة تاريخية وأدبية رائعة .

الهوامش

(١) ابن هشام : «قدم» .
(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٣ ، حوادث سنة ٨هـ ، ص : (٤٠ ـ ٤١) .
(٣) المقصود بالإسرائيليات القصص والأساطير المأخوذة عن العهد القديم .
(٤) جمر الجنود : حبسهم في أرض العدو ولم يقفلهم .
(٥) تضاغى : أي تضور من الجوع .
(٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج٤ ، حوادث سنة ٢٣هـ ، ص : (٢٠٠ ـ ٢٠٨) .

المصادر

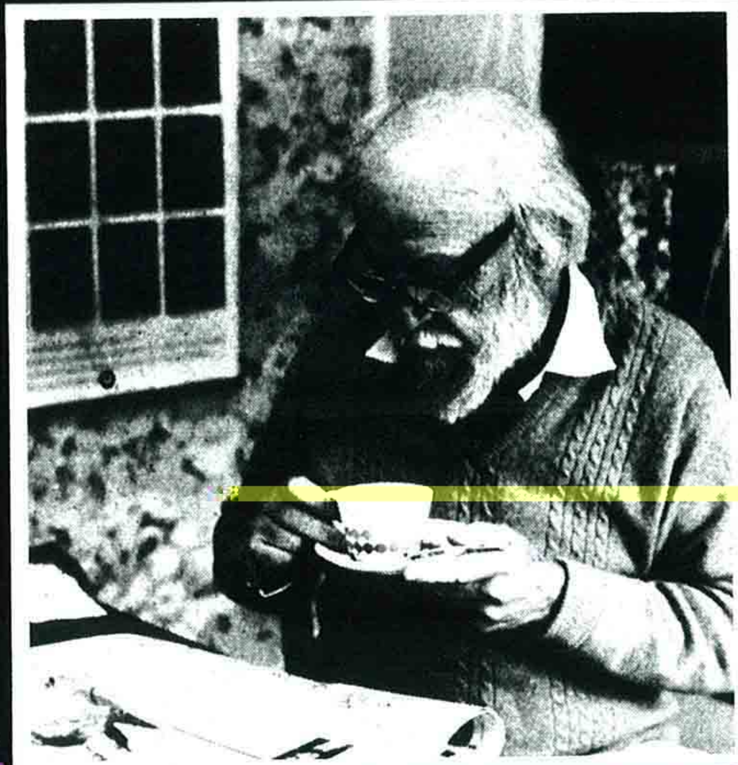
(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ .
(٣) د . عبد العزيز الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب .

جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٣م..

وحرف الجيم يكسبها!

بقلم: محمود قاسم

في اليوم التاسع من شهر أكتوبر (تشرين الأول) الماضي وقف السيد أرتور لوندكفتش في أكاديمية ستوكهولم بالسويد معلناً اسم الفائز بجائزة نوبل في الأدب لعام ١٩٨٣م. ثم تلا الأسماء المرشحة لنيل الجائزة وكانت على التوالي: كوبو آبي (اليابان). خورجه لويس بورخس (الأرجنتين). ايطالو كالفينو (إيطاليا). نادين جورديمر (جنوب إفريقيا). جونتر جراس (ألمانيا الغربية). جراهام جرين ووليام جولدنج (المملكة المتحدة). ثم أعلن أن الروائي جولدنج هو الذي رشحته الأكاديمية للحصول على مبلغ وقدره (١٩٠ الف دولار). وبالتالي يتفوق جولدنج على اقرانه ـ حسب راي الجائزة ـ الذين رشحوا لنيل جائزة نوبل عديداً من السنوات وخانهم التوفيق. لكن جولدنج الذي لم يرشح كثيراً خلال السنوات الماضية يفوز بها لأنه «رجل رقيق لكنه عنيف. عليه أن ينضم لعائلة نوبل».



★ وليم جولدنج ★

وحرف الجيم يكسب!



★ جراهام جرين ★

وقد علقت الصحافة الأدبية في العالم على هذا الحدث أن الجائزة قد تجاوزت من جديد أسماء كانت من الواجب أن تمنح لها، خاصة **نادين جورديمر** التي تحظى بأهمية ملحوظة لدى كل الأوساط العالمية نتيجة لمواقفها الجادة تجاه قضايا الزنوج والتفرقة العنصرية في جنوب إفريقيا. وقيل إن جائزة نوبل هذا العام لن تخرج عن أحد أصحاب حرف الجيم الأربعة: **(جرين - جولدنج - جراس - جورديمر)**، لكن هؤلاء المتندرون نسوا أن كاتباً آخر له أهميته هو (بورخس) ظلمته الجائزة مرات عديدة وأعطتها لمن هم دونه أهمية خلال السنوات الماضية.

وإذا كان جولدنج قد حصل على الجائزة فإن هذا الفوز لا يعني أنه الأفضل، لكن لكل من هؤلاء الكتّاب مذاقه الخاص وموقفه المعروف. فقد منحت الجائزة هذا العام دون ضجة تذكر، وقدمتها لكاتب أقل شهرة، كاتب يعيش بعيداً عن الأضواء طيلة حياته. يميل إلى العزلة غير شغوف بالنجومية. وأعماله لم تترجم كثيراً خارج بلاده. أما الأسماء الأخرى التي رشحت هذا العام فهي أكثر شهرة وتوزيعاً وترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات.

أدباء حرف الجيم

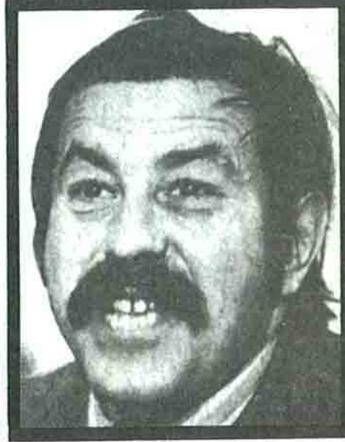
لعل أشهر هذه الأسماء هو الجيم الأولى، أو **جراهام جرين** (٧٨ عاماً) صاحب «الأمبريكي الأدعاء»، و«العامل الإنساني»، و«القوة والمجد»، و«الرجل الثالث»، وصاحب أشهر قضية صحفية في العام الماضي المتعلقة بفضح عالم الإجرام الذي يسيطر على مدينة نيس الفرنسية من خلال كتابه «إني أتهم»، وهو صاحب أكبر رصيد أدبي بين كل مرشحي هذا العام لنيل الجائزة، كما أنه الأكثر شهرة ونشاطاً.

أما **جونتر جراس** (٥٦ عاماً) فهو أحد أبرز أعلام الأدب الألماني بعد **الحرب العالمية الثانية**. وقد أدان النازية في روايته المعروفة **«الطبلة»**، وقدم مجموعة من الروايات الهامة مثل «القط والفأر»، و«سنوات كلب»، و«مخدر موضعي»، و«الترسة»، و«لقاء في وستفاليا». وتعتبر رواية «الطبلة» سيرة ذاتية ليس لجراس نفسه ولكن لألمانيا منذ عام ١٩٢٧م، العام الذي ظهرت فيه الطبعة الأولى من كفاحي، وحتى عام ١٩٥٨م، أي عند كتابة الرواية. فأوسكار ماتسيرات الذي ولد في هذه الأونة هو رمز لألمانيا قزمة غير قادرة على ممارسة أي شيء سوى الصراخ والقعقعة فوق طبلة جوفاء ومراقبة الأحداث دون أن يمتلك القدرة على تغييرها، حتى إذا انتهت الحرب قرر أن يكون شخصاً طبيعياً.

أما **نادين جورديمر** فإنها ترشح لنيل الجائزة منذ عام ١٩٧٤م، وهي إنجليزية تعيش في جنوب إفريقيا منذ أن ولدت عام ١٩٢٣م في جنوب القارة. وقد قدمت ثمان روايات ترجمت إلى لغات عديدة، وستة كتب جمعت فيها مقالاتها. وفي كل رواياتها تؤكد نادين على أحقية الزنوج - في جنوب إفريقيا - في ممارسة حقوقهم الإنسانية التي يتمتع بها الرجل الأبيض. ومن أهم هذه الروايات «ناس من يوليو (تموز)»، و«ابنة المزارع»، و«عالم الغرباء».

ويليام جولدنج

وإذا كانت هذه هي بعض الأسماء التي رشحت للجائزة، فمن هو ذلك الرجل ذو اللحية البيضاء الطويلة، الغامض الابتسامة، المدرس السابق الذي شغف بعالم العنف عند الأطفال.. إنه **ويليام جولدنج الذي ولد في مدينة سانت كولمب مينور بكورنوال عام ١٩١١م**، لأب يعمل بالتعليم. التحق **بجامعة اكسفورد** ليدرس العلوم الطبيعية حسب رغبة أبيه. لكنه قرر أن يدرس الأدب بعد عامين من التحاقه بالجامعة. ثم جند في **البحرية البريطانية** أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد عرف خلال تجربته هذه الكثير عن حياة البحر وآلام وفظائع الحروب التي تعد شاهداً على قسوة الإنسان تجاه أخيه الإنسان. وسوف نرى أن الكاتب قد صبّ وجهة نظره في **روايته الأولى «آلهة الذباب»** التي استمدها من تجاربه - كما أشرنا - في البحرية الإنجليزية، ومن مهنته التي عمل بها بعد أن انتهت الحرب، حيث عمل مدرساً في إحدى مدارس سالزبوري. وقام


★ جونتر جراس ★


★ نادين جورديمر ★

بكتابة روايته الأولى وقدمها للناشرين في لندن فرفضها واحد وعشرون ناشراً . ثم وجدت ناشراً مغامراً قدم طبعتها الأولى عام ١٩٥٤ م ، لتطبع منها ٢٠ مليون نسخة باللغة الإنجليزية فقط ، وهي ظاهرة غير عادية بالنسبة للتوزيع في إنجلترا .

وقد دفعه هذا النجاح أن يقدم في العام التالي فقط ثلاث روايات هي : **« الورثة »** ، و **« بنشر مارتن »** ، و **« سقوط حر »** . . . ثم توالت رواياته التي من أهمها : **« الهرم »** ، و **« السفينة »** ، و **« إله برج العقرب »** ، و **« عتمة مرئية »** ، و **« طقوس المرور »** . وأخيراً كتاب بعنوان **« الهدف المتحرك »** ، وهو عبارة عن مقالات تناول من خلاله الفلسفات المعاصرة .

ورغم أن جولدنج لم يغادر إنجلترا كثيراً بعد انتهاء الحرب إلا أنه بدا شغوفاً بعالم البحار وعلاقته بالأطفال . ففي روايته « آلهة الذباب » تحدث عن سقوط طائرة قريباً من البحر ، لم ينج من ركابها سوى مجموعة من الأطفال الذين لجأوا إلى جزيرة قريبة . وجد هؤلاء الأطفال أنفسهم في أجواء جديدة أثناء بحثهم عن النجاة . لكن الجزيرة بعيدة فقاموا بتقسيم أنفسهم إلى مجموعتين ، تختص إحداهما بتوفير الغذاء للمفقودين . وتختص الثانية بإشعال النيران لتنبيه إحدى الطائرات العابرة إلى مكانهم . ولأن على أي مجموعة أن تصنع لنفسها ناموسها الخاص وقانونها ، فإن الفطرة علمت هؤلاء الأطفال لإقامة حكومة ديمقراطية . . والاقتراع على القرارات والقيام بالأعمال . وانتخبوا أحدهم زعيماً لهم وهو طفل لم يتجاوز الثانية عشرة . لكن بعد سن القوانين وتطبيقها لفترة قصيرة ، حدث الانشقاق بينهم ، وبدأوا في تحطيم الناموس . . واختلفوا فيما بينهم . . فقد رأى البعض منهم أنه لا أهمية لإشعال النيران . فجاك يرى أن عليه أن يتصرف بفكره هو لا بما تأمره المجموعة . ونتيجة لهذا الصراع ، قامت الحرب بينهم ، وأطفئت النيران . ويسود الظلام ، ثم تظهر بعض الخيالات فوق قمة الجبل ، فيشعر الأطفال بالخوف . لقد رأوا شبحاً جاثماً هناك . إنه أحد الجنود الذين سقطوا من الطائرة . لكن الأطفال لا يعرفون . يعميهم صراعهم عن معرفة الحقيقة . فيقررون تقديم قربان للوحش الكامن فوق الجبل ، فذبحوا خنزيراً ، ثم وضعوا رأسه فوق رأس حربة يتجمع حلوها الذباب القادم من أطراف الجزيرة فيزداد طنين الذباب ويعلو . . فرأوا أن عليهم تقديم قربان آخر . . لسيد الذباب . .

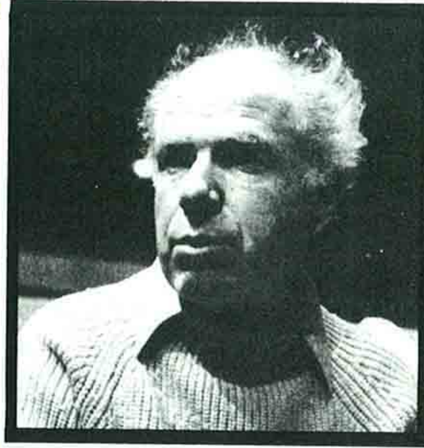
وهذا الحادث يكشف الشر القابع في قلوب الصغار . فالبراءة التي نعهدها في الأطفال تتحول هنا إلى غريزة وحشية كاسرة تكشر وتنفث سمومها فتسيل الدماء حارة ، ويموت البعض نتيجة لهذا التناحر والاقتتال . . ثم تجيء إحدى طائرات الإنقاذ لتقتلع الصغار من جذورهم الشريرة ، فيتركون الجزيرة . إنهم أشبه بهؤلاء الرجال الذين تصارعوا فوق رمال كالاهاري عندما سقطت بهم إحدى الطائرات في أحد الأيام في صحراء إفريقيا . فاقتتلوا فيما بينهم ليس من أجل الغذاء ، وإنما نتيجة للجشع والأفكار الرديئة .

ويقول **بول جراي** (التايم ١٧ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ م) : إن هذه الرواية تحذر من مغبة انحدار الإنسان نحو الخلف . وقد وزعت من هذه الرواية سبعة ملايين نسخة في الولايات المتحدة . أما لجنة جائزة نوبل فترى أن جولدنج يقف ضد هؤلاء الذين يفكرون أن السياسة أو النظم الأخرى هي التي خلقت الشر . لكن الشر ينبع من أعماق الإنسان نفسه وإنه موجود في البشر منذ بدء الخليقة حيث تكونت نظم الشر لتغير كل شيء ، كي يكون للخير دوره في تغيير أشياء عديدة .

والغريب أن هذه الرواية قد ترجمت إلى اللغة العربية عام ١٩٦٧ م ، بعنوان « بذور الشر » ضد سلسلة روايات عالمية التي كانت تصدر في القاهرة ، وترجمت إلى الفرنسية بعنوان « صاحب الجلالة الذباب » . وهي الرواية الوحيدة ضمن روايات جولدنج العشر التي قدمتها السينما حيث أخرجها الفنان المسرحي المعروف بيتر بروك عام ١٩٦٣ م ، في فيلم لم ينتبه إليه أحد ، وهو أحد الأفلام القليلة التي قدمها بروك في السينما .



وحرف الجيم يكسب!


★ بيتر بروك ★

طقوس المرور

أما آخر روايات جولدنج المعنونة «طقوس المرور»، فقد نشرها عام ١٩٨١م. وقد تناول فيها نفس الموضوع الذي يركز عليه الكاتب في كل كتاباته، وهو الشر المتأصل في الإنسان وعلاقة الإنسان بالبحار. فهناك إحدى السفن الشراعية التي تبحر من إنجلترا إلى أستراليا، إنها أشبه بسفن كونراد. يوجد فوق متن السفينة شاب أرستقراطي ينتظره مستقبل باهر يدعى ادموند تالبوت. نحن في بداية القرن التاسع عشر. إنها نفس الفترة التي كتب عنها ملفيل في روايته «موبي ديك». وسوف نرى إعجاب جولدنج بكل من ملفيل وكونراد ماثلة هنا بصورة واضحة. فتالبوت نموذج لشاب يطارد الحوت الأبيض، ثم يجلس فوق الأرض ويمسك بجريدته، ويلزم سطح السفينة وقد أصابه دوار البحر. لقد أصابته الحالة قبل بقية الركاب. ويصف لنا تالبوت الحرية التي يشعر بها المتقيئون، والارتجافات التي أصابت الركاب؛ ومن بينهم رسام جاد يدعى «السيد بروكل بانك» وزوجته وابنته التي كانت تعاني من آلام شديدة وعذابات لا تنقطع. يجب أن يبوح لها بسر عن حياته. إنه قس خجول مصاب بسوء الحظ. هناك السيد كوللي الذي يكن كراهية شديدة للربان. في هذا العالم المغلق المتلاطم تبدو الحدود الاجتماعية والمثالية والجغرافية والمثاليات المتعددة غير مرئية بينا تحيط بهم الأخطار من كل مكان. إنه نفس العالم المغلق الذي دار فوق جزيرة الذباب، ونفس الأجواء التي صورها في «بنشر مارتن». وبعد أن يمر الركاب بالعديد من المتاعب المألوفة عند مرورهم بخط الاستواء، يقوم الربان بتوزيع زجاجات الروم. ويجد تالبوت نفسه منساقاً إلى ممارسة تجربته الأولى الغريبة والشاذة، فيشعر أنه قد مات داخل نفسه. لكن هل هو رجل شاذ فعلاً؟. هل ما دار فوق السفينة كان سبباً في فقدان نقائه الذي اتسم به الأطفال فنزل من السفينة شخصاً آخر مثله مثل الأطفال الذين غادروا جزيرتهم الخاوية.

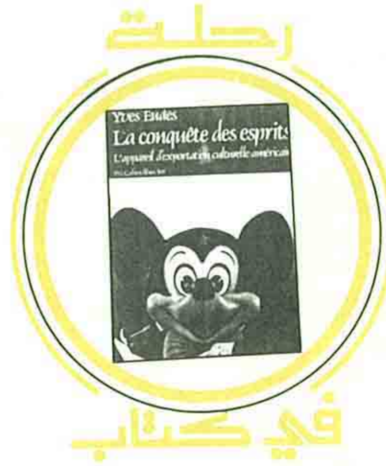
تعمدنا في هذه المقالة أن نلقي بعضاً من الأضواء على أول روايات الكاتب وأحدث ما أصدرته له المطابع. وقد رأينا أن الكاتب الذي يقبع في قريته البريطانية، ويعيش بنفس الأسلوب لم يتغير ولم يشغله سوى موضوع واحد هو الشر داخل الإنسان، وكيف يكمن داخله، ومتى يظهر في أنصع صورة، وكيف يمكن أن ينمو ويتفرع مثل شجرة كبيرة لا حدود لها. وهل يمكن للناس أن يوقفوا هذا التضخم الغريب خاصة في عصرنا هذا. فإذا كان الأطفال القليلي الخبرة، الأكثر سمواً قد أراقوا الدماء، فإن رجلاً عليه أن يقوم الناس يقع فريسة لشعائر الرحلة فيسقط. رغم أنه هو الوحيد الذي يمكنه أن يصلح من أحوال العابرين فوق سطح السفينة ويقلل من حجم الشر فوقها. وهذا هو الدور الذي يجب أن يقوم به أمثال هؤلاء الرجال.

وإذا كان حرف الجيم قد كسب جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٣م، من خلال جولدنج، فإنه بلا شك قد تجاوز حروف أخرى لها أهميتها. ويبقى السؤال الدائم: هل الفائز بالجائزة هو الأفضل؟.



رحلة في كتاب غزو العقول

تأليف :
يڤيس إيودس
عرض وتلخيص :
د. محمود الذوادي



يأتي صدور كتاب غزو الأرواح (العقول) « La Conquête des Espris » للمؤلف « Yves Eudes » في وقت يزداد فيه الحديث عن الثقافة وأهميتها بالنسبة لتنمية الشعوب . ويعد تنظيم منظمة اليونسكو لتجمع عالمي لمناقشة قضية الثقافة في مكسيكو في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٢ م ، وما تخلله من شجار خاصة بين مندوبي فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية يعد من أهم الأحداث التي شهدتها الساحة الثقافية عالمياً في السنوات الأخيرة . أما محتوى هذا الكتاب فيدرس أساساً غزو الولايات المتحدة الأمريكية لأرواح وعقول مجتمعات العالم الثالث بما في ذلك الشعوب العربية . ولذا أعطى المؤلف لكتابه عنواناً صغيراً : « L'appareil d'expertation culturelle du gouvernement américain vers le tiers mondes » ، أي « هيكل التصدير الثقافي للحكومة الأمريكية إلى العالم الثالث » يُترجم فعلاً اهتمام الكتاب الخاص .

ويتكون الكتاب من اثني عشر فصلاً وخمسة ملحقات لا تزيد صفحاتها جميعاً على ٢٧٣ من الحجم المتوسط . ويمكن ترجمة عناوين فصول الكتاب كالتالي :

(١) المثل الأعلى الأميريكي والتوسع الثقافي .

(٢) الانتشار الثقافي : عمل الدولة .

(٣) الحكومة الفيديرالية والبث الحر : الانتصار الكبير بعد الحرب .

(٤) الحكومة الفيديرالية والبث الحر : الثورة التكنولوجية المستمرة .

(٥) التدخل المباشر : التراث العسكري .

(٦) التدخل المباشر : تطوير التكتيكات .

(٧) الوكالة العالمية الأميريكية للاتصال وملحقاتها .

(٨) العمل الثقافي للهياكل المساعدة على التنمية .

(٩) وكالة المخابرات الأميريكية (C.I.A.) : وكالة ثقافية .

(١٠) كيفية بث الرسالة الثقافية .

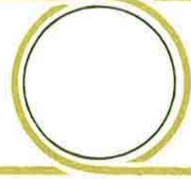
(١١) تقييم التأثير الثقافي .

(١٢) نحو بورجوازية غير وطنية .

مقولة الكتاب الأساسية :

إن ظاهرة السلاح الثقافي الأميريكي الغازية عالمياً في العصر الحديث أكثر فأكثر لمجتمعات العالم لا يمكن فهمها ـ في رأي المؤلف ـ بعمق دون إرجاعها إلى تفكير ورؤية المؤسسين الأوائل لدور الأمة الأميريكية على المستوى العالمي من جهة ، واستمرار جوهر هذه الرؤية لدى القادة الأميريكيين الذين تتالوا من جهة أخرى . ومن هنا فإن محاولة الشعب الأميريكي للأخذ والمحافظة على مقاليد قيادة العالم في العصر الحديث لا ترتبط فقط بالسطوة الأميريكية عالمياً في الميادين الاقتصادية والعسكرية والتكنولوجية المعاصرة ، وإنما ترجع أيضاً إلى القيام بجهود مكثفة من أجل السيطرة الثقافية عالمياً .

وكل هذه المحاولات السطوية للشعب الأميريكي حديثاً يقرنها المؤلف تاريخياً بإيمان قادة ومفكري هذا الشعب الأوائل بأن الأمة الأميريكية ذات دور عالمي وبالتالي فهي لا يمكن أن يكون دورها هذا كدور الأمم الأخرى المعاصرة (ص ١٨ ـ ٢٥) .



فصاحب الكتاب يعتقد أن المطلع على تاريخ الشعب الأميركي منذ فترة ما قبل انتصار عام ١٧٨٣ م، على **بريطانيا** وخلال القرن التاسع عشر لا يكاد يجد رجل دولة أو مفكراً أميركياً لم ير في نشأة المجتمع الأميركي الجديد ـ بعد انفصاله عن المجتمع الأم بريطانيا ـ بداية جديدة لتاريخ الإنسانية جمعاء ويذهب هذا الاعتقاد في الولادة الجديدة للإنسانية بظهور الأمة الأميركية إلى حد نكران الروابط البيولوجية والثقافية التي تربط المجتمع الأميركي المستقل بإنجلترا. فهذا المجتمع الجديد حسب ما ورد في **ميثاق الاستقلال الأميركي** على لسان «**جفرسن** Jefferson» هو الذي سوف ينشئ العصر الذهبي على سطح هذه الأرض وهو بالتالي الذي سوف يحقق حلم **المجتمع المثالي (الطوباني)** الإنساني (ص ١٨).

أما **جورج واشنطن** فقد رأى هو الآخر في تحصيل الولايات المتحدة الأميركية على استقلالها لمسات خفية.

ولقد ذهب بعد واشنطن عدد من الفلاسفة والمفكرين المتدينين إلى حد مقارنة تاريخ الشعب المختار بمغامرة الأمة الأميركية.

وفي نظر «**جول بارلو** Joel Barlou»، فالمواطن الحر الأميركي سواء كان متديناً أو غير متدين، ليبرالياً أو ثورياً ينبغي اعتبار نفسه كمشرع لنصف الجنس البشري. أما بالنسبة «**لجون آدمس** John Adams»، فالجمهورية الأميركية الطاهرة والفاضلة مكتوب عليها أن تأخذ بقيادة الكوكب الأرضي وإعطاء الإنسان فرصة تجسيم الكمال المثالي (ص ٢٠).

ومن جهة نظر «Yves Eudes» فإن هذا المثل الأعلى الأميركي لقيادة كل الإنسانية لم يفتأ أن غير أسس شرعيته إلى أسس لائكية «Foundations Laiques»، فالديمقراطية أصبحت بذلك هي البديل عند «**وودرو ولسن** Weedre Wilson». فدور الولايات المتحدة الأميركية هو أن تجعل من العالم مكاناً يطمئن فيه أكثر على مصير الديمقراطية والحرية وقد ظلت راية الديمقراطية مُناداً بها من طرف الرؤساء الأميركيين أمثال **روزفلت** «Rousvelt» **وكيندي** «Kennedey» **وكارتر** «Carter». ومن هذه الخلفية الأيديولوجية لقادة الشعب الأميركي استمدت فكرة حق الولايات المتحدة ـ حسب رأي بعضهم ـ وواجبها في التأثير على عقول البشر وأرواحهم. فالشعب الأميركي بطبيعته لا يمكن أن يكون شعباً عادياً لا يعيش أنانياً إلا لنفسه (ص ٢٢).

ومن هنا يأتي مفهوم التثقيف الأميركي للإنسانية جمعاء كمشروع شرعي مفاجئ لكل من تفهم وتعرف على طبيعة عقائد ورؤى قادة الأمة الأميركية الجديدة منذ دخولها سجل التاريخ حتى يومنا هذا.

مساهمة الكتاب الفريدة

ولا تأتي قيمة هذا الكتاب ومساهمته في ربط الغزو الثقافي الأميركي المعاصر بالأيديولوجية الثقافية التي نادى بها زعماء ومفكرو الأمة الأميركية الأوائل فحسب وإنما تتميز مساهمته خاصة في التحليل المنظم والمفصل للأجهزة الأميركية الثقافية المختلفة وسبل عملها واستراتيجيتها الأكثر اختفاءً وتستراً من الأجهزة الأميركية الاقتصادية والعسكرية المنتشرة في كثير من مجتمعات العالم الحديث والعالم الثالث على الخصوص. فالكتاب بهذا المعنى لا يطرح قضية الغزو الثقافي الأميركي بطريقة ديماغوجية دعائية. وإنما يعرض القضية للقارئ بتحليل يتصف بالمنهجية ذات المعطيات والتفاصيل والظروف السياسية (**الحرب الباردة بين روسيا والولايات المتحدة ص ٥١**)، التي لها علاقة بأهمية قضية الغزو الثقافي بالنسبة لهياكل الحكومات الفيديرالية الأميركية. فالمؤلف يبيّن الجهود العديدة والهياكل المختلفة التي استعملتها الحكومات الفيديرالية الأميركية المتعاقبة منذ الحرب العالمية الثانية على الخصوص لنشر التأثير الثقافي الأميركي خاصة في ربوع العالم الثالث.

فالكتاب في الحقيقة هو دليل تحليلي واف لخريطة الغزو الثقافي الأميركي في مجتمعات العالم الثالث المعاصرة بما فيها منطقة الشرق الأوسط، فهو يمد القارئ ليس فقط بمعلومات وتفاصيل عن الهياكل والبرامج الثقافية المتداولة والمعروفة، وإنما يكشف الحجاب عن البرامج والأنشطة الثقافية المتعددة التي هي جزء أساسي من أنشطة كثير من الهيئات والوكالات الأميركية التي تتستر منها بإعطاء نفسها تسميات مُضلة لمن لا يعرف طبيعتها من الداخل. **والوكالة الأميركية للمخابرات** «C.I.A.» مثال ناطق على ذلك كما سوف نرى.

ومن أهم الهيئات والوكالات الفيديرالية وغير الفيديرالية التي تشارك في عملية البث الثقافي هي: **وكالة المخابرات الأميركية «C.I.A.» وجيش البحرية الأميركية «USNAVY» ووزارة الدفاع الأميركية «Pentagone» ووزارة الخارجية ومنظمة فيلق السلم «place corps» ووكالة التنمية العالمية «A.I.D.» والوكالة الأميركية للاتصال العالمي «U.S.I.C.A.» ومعهد التعليم العالمي «I.I.E.»**.

★ جورج واشنطن ★



★ روزفلت ★



وإلى جانب هذه الهياكل الرسمية الأميريكية فقد استعملت الحكومات الفيديرالية وسائل أخرى من أجل كسب معركة الغزو الثقافي عالمياً عن طريق انبهار الآخرين في العالم بمثل بعض المواضيع والأفكار التالية كقضية **حرية انتشار المعلومات** « Free Cireulation of information » وكجعل الإحتفال بالذكرى المئوية الثانية لاستقلال الولايات المتحدة حدثاً عالمياً، وكاعتبار أميركا سيدة التكنولوجيا والعلوم، وكإبراز أن المجتمع الأميريكي هو طليعي في حسم قضية المساواة بين المرأة والرجل.

وليست هذه القائمة من الوكالات والوزارات والمواضيع إلا جزءاً صغيراً وصغيراً جداً مما يحتويه الكتاب عن تشابك وكثافة جهود الحكومات الفيديرالية الأميريكية المباشرة وغير المباشرة قصد الفوز والسيطرة عالمياً على ما سماه المسؤولون الأميريكيون **بالمستوى الرابع** (ص ٤٩) « Fourth Dimension » (**السيطرة الثقافية**) وذلك بعد السطوة الأميريكية العالمية في العصر الحديث دبلوماسياً وعسكرياً واقتصادياً، لكن **الحديث عن الغزو الثقافي الأميريكي في العصر الحديث قد يظل غامض الملامح رغم كل ذلك، لأن طبيعة هذا النوع من الغزو تختلف عن الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي، إنها طبيعة ضبابية الذاتية ومن هنا فلا بد من جهود أكثر يمكن بواسطتها إيضاح هياكل وآثار الغزو الثقافي لكل متشكك ومرتاب**. ولقد اعتمد مؤلف كتاب « غزو الأرواح (العقول) » على إعطاء التفاصيل لإزالة وزحزحة الريب حول حقيقة الجهود الأميريكية الرسمية التي تبذل من أجل إحراز النصر في معركة السيطرة الثقافية في العالم الثالث خاصة منذ الحرب العالمية الثانية.

وكالة المخابرات الأميريكية « C.I.A. »

المعروف عند الجمهور العام في الشرق والغرب أن هذه الوكالة هي وكالة تجسس في الدول الأجنبية لحساب حكومات الولايات المتحدة الأميريكية. ولا يكاد يُعرف شيء للعموم عن نشاطاتها في الميادين الثقافية التي تتماشى مع استراتيجية الحكومة الفيديرالية لكسب المعركة الثقافية عالمياً. ولأي متشكك أو جاهل يذكر المؤلف أنه من مؤشرات انخراط الوكالة في المسائل الثقافية هو نوعية تكوين العاملين بها. فهم من الصحفيين وأساتذة الإعلام والجامعيين والمثقفين الأميريكيين أو الأجانب (ص ١٨٣). ويضيف « Yves Eudes » أن دعوة المختصين في علم الاتصال للعمل بالوكالة ازداد منذ عام ١٩٦٠م. **فمركز جورج واشنطن للدراسات الاستراتيجية والعالمية** مثلاً أصبح مصدراً مهماً في السنوات الأخيرة لتزويد الوكالة خاصة ببعض المفكرين المحافظين الجدد « Neo - Conservetrists » (ص ١٨٥).

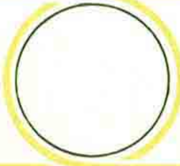
ويذكر المؤلف عدة أحداث سياسية عالمية ساخنة كان لوكالة المخابرات الأميريكية ضلع أساسي فيها. وقد استندت الوكالة فعلاً على السلاح الثقافي الذي استطاعت به بلوغ أهداف الاستراتيجية الأميريكية. ويسوق « Yves Eudes » في هذا المضمار **التجربة الشيلية** (ص ١٨٩) **والتجربة الجماكية** (ص ١٩١).

ويشير صاحب الكتاب إلى العمليات المشابهة التي قامت بها الوكالة ـ لكن لم يكتب لها النجاح النهائي ـ في كل من إيران الشاه ونكرجوا سموزا « Niearagua Somosa ». **وتستمر رغم ذلك محاولات الوكالة الأيديولوجية فهي تقوم بجهود إعلانية وثقافية بالتعاون مع مؤسسة « Jonathan Foundation » لمقاومة الانعزال العالمي الكبير الذي تعاني منه إسرائيل منذ سنوات** (ص ١٩٢).

الوكالة الأميريكية للاتصال العامي « USICA »

تمثل هذه الوكالة أكبر هيكل أميريكي رسمي اليوم بالنسبة لعملية الغزو الثقافي الأميريكي خاصة في العالم الثالث. فميلادها كوكالة عملاقة سنة ١٩٧٨م، يعطي الاستراتيجية الثقافية الأميريكية قدرة أكبر على التوغل ثقافياً وعالمياً مما كانت عليه هذه القدرة قبل حوالي نصف قرن. وبالتالي يؤكد المؤلف أن هذه الوكالة هي **العمود الفقري** الذي أصبح





يضم تقريباً كل البرامج ذات الصبغة الثقافية للحكومات الفيديرالية الأميركية (ص ١٣٢). وبإعطاء وصف كامل لبنية الوكالة يتضح مدى أهمية دورها في عملية الغزو الثقافي العالمي من جهة، ولدى ارتباطاتها بالأجهزة الحكومية الأميركية الرسمية من جهة أخرى.

فمدير الوكالة «USICA» هو مستشار في نفس الوقت لرئيس الولايات المتحدة الأميركية ولوزير خارجيتها وهو أيضاً عضو في **مجلس الأمن القومي**، كما أنه يمثل الحكومات الأميركية لدى الحكومات الأجنبية ولدى الندوات العالمية التي تمس ميدان نشاطاته. ويحضر كذلك بدعوة من وزير الدفاع إلى المداولات التي تجرى في وزارة الدفاع نفسها: «Pentagone» (ص ١٣٥)، أما من ناحية البنية الداخلية للوكالة فالمؤلف يعطي تفاصيل مضفية عنها. **فهي تقوم بإخراج البرامج الموجهة إلى كل إفريقيا وأميركا اللاتينية وأوروبا والشرق الأقصى والمحيط الهادي وشمال إفريقيا والشرق الأوسط ومنطقة جنوب آسيا** (ص ١٣٦). **أما إذاعة صوت أميركا** المعروفة عالمياً فهي أحد منابر الوكالة وبالتالي الحكومات الفيديرالية. فهي تذيع بخمسين لغة مغطية بذلك كل مناطق المعمورة ما عدا أميركا الشمالية وأوروبا الغربية. ولا زالت توسع وتقوي محطات بثها عالمياً (ص ١٣٩). وفي نظر صاحب الكتاب فإن إذاعة صوت أميركا تحاول أن تعطي انطباعاً لكل مستمعيها في العالم **كأنها إذاعة وطنية** (ص ١٤١) تذيع بلغة البلاد وتعالج الاهتمامات المحلية ساعة بعد ساعة. ومن أنشطة الوكالة الأساسية هو برنامج تبادل الأشخاص (ص ١٤٩) «Exerange of individuals» ويندرج هذا النشاط فيما يسمى بقسم الشؤون التعليمية والثقافية Educational and Cultural Affaire Divisions. وهو أهم برنامج بعد برامج إذاعة صوت أميركا (ص ١٥٠). ويبدو أن نفقات الوكالة على هذا النشاط موزعة بطريقة متساوية على كل القارات. ومع ذلك فإن التركيز على القارة الإفريقية أصبح ذا أولية جديدة بالنسبة للوكالة.

ويأتي برنامج التبادلات الأكاديمية «Academic Exchanges» متماشياً مع سياسة «**التثقيف الأميركي**» لكل العالم، وأكبر تبادل بين الأشخاص هو ذلك الذي يقع بين الهياكل التعليمية (ص ١٥٢). فيذكر المؤلف أن المصالح الفيديرالية الأميركية تعطي الأولوية اليوم إلى قضية تبادل الأساتذة والباحثين.

ووكالة الاتصال العالمي الأميركية قد تلجأ أحياناً إلى انجاز استراتيجية الحكومات الأميركية الثقافية عن طريق أجهزة غير حكومية وبالتالي غير رسمية. وذلك نظراً للمتطلبات المادية والسياسية غير المناسبة. وفي هذا الصدد يذكر المؤلف للمعهد العالمي للتعلم «International Institute of Education» (I.I.E.) (١٥٤) كأكبر جهاز خاص للتبادل الأكاديمي غير الحكومي في العالم. فبتحصيله على تمويل مشترك من طرف الحكومة الفيديرالية والمؤسسات الخاصة أصبح تدريجياً أداة الوصل المثالية بين الولايات المتحدة الأميركية والعالم الخارجي فيما يخص التبادل والإعانات الأكاديمية. فالمعهد له وكالات جهوية متعددة وثابتة بالعالم الثالث. ومن متبادليه «Exchanged» القدماء، هناك اليوم حوالي (٣٨) رئيس دولة أو رئيس دولة سابق وهناك أيضاً ٢٤٠ وزيراً من هؤلاء المتبادلين في العالم الثالث. ويلخص المعهد في تقرير له سنة ١٩٧٧ م، فلسفته كالتالي: فرسالته الرسمية هي «إعطاء التعليم الأميركي رؤية عالمية» و«تقوية حقوق الإنسان في العالم: وبفضل التبادلات الدولية مع الولايات المتحدة يولد جيل جديد من القادة والمتأثرين بالقيم والفضائل الديمقراطية الحقة وبالتالي يصبح هذا الجيل قادراً على استيعاب هذه القيم» (ص ١٥٤ ـ ١٥٥).

ومن سمات هذه الوكالة العملاقة أن الأنشطة الثقافية والتعليمية أصبحت أكثر فأكثر تحت قبضتها منذ ميلادها الجديد عام ١٩٧٨ م. فيؤكد مؤلف هذا الكتاب أنه منذ هذا التاريخ قام ٢٨ قسماً ووكالة فيديرالية وشبه رسمية بإعطاء الوكالة مسؤولية إدارة برامجها العالمية في الإعلام والتعليم والثقافة وذلك عقب اتفاقيات إدارية معقدة (ص ١٥٦). ومن هذه البرامج التي أصبحت تحت رعاية الوكالة هي البرامج الخاصة للعملة الأجنبية «Special Fereign Curreney Programs» **ومصلحة السياحة الأميركية** «US Travel Service». ويعلق صاحب الكتاب على علاقة الوكالة بحكومة **الرئيس ريغان** «Reagan» فيقول: «إن توثيق الروابط أكثر بين الاثنين أمر قد تم فعلاً. فمديرو الوكالة قد قاموا باختيار مستشارين قادرين من المتخصصين من وكالة المخابرات الأميركية (C.I.A.) ووزارة الخارجية الأميركية ووزارة الدفاع «Pentagone» (ص ١٦٢)». ويذكر المؤلف أن الوكالة تعمل اليوم على تكثيف نشاطاتها الثقافية في بعض المناطق والتقليل منها في البعض الآخر. **فصوت أميركا يكثف برامجه الإذاعية في بثه إلى الشرق الأوسط وإفريقيا الوسطى والمنطقة الكريبية. أما الهند وباكستان وتايلندا** فستقل البرامج الموجهة إليها. أما المغرب العربي فتعطيه الوكالة الأولوية لإبعاده عن تأثير القوى العظمى القديمة (ص ١٦٥).

الوكالة الأمريكية الدولية للتنمية

US Agency for International Development

يشير المؤلف أن سياسة الحكومات الأمريكية الرسمية هي ربط مساعدات التنمية لمجتمعات العالم الثالث بالاستراتيجية الأميريكية العامة التي تشمل الميادين الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية (ص ١٦٨) ومن هنا يأتي التعليم في أول قائمة اهتمامات هذه الوكالة. فهذه الأخيرة تقدم للمجتمعات الأكثر بؤساً مساعدات تسمح بتمديد أنظمة المدارس الابتدائية وذلك بتدريب « Recyclage » المعلمين ومنح هدايا مادية ووضع برامج دراسية سواء بالتعاون مع السلط المحلية في هذه البلدان أو بالتعاون مباشرة مع واشنطن. ويذكر صاحب الكتاب في هذا الصدد أن البرامج الرئيسية قد طورت في السنوات الأخيرة في كل من **غينيا وليبيريا وبوليفيا والسلفادور وهندوراس**. ونظراً لصعوبة الظروف الجغرافية في **النيبال** بآسيا فإن الوكالة لجأت إلى بث برامجها التربوية على الهواء (ص ١٧١) ويؤكد « Yves Eudes » أن الوكالة تعطي أهمية متزايدة إلى التعلم العالي في كل المجالات بما في ذلك الدراسات التي ليس لها علاقة هامة بمتطلبات التنمية الاقتصادية. ومن هنا أكدت الوكالة في عام ١٩٧٩ م، عزمها على تركيز أنشطتها على أساتذة المستقبل بالعالم الثالث. فدور الولايات المتحدة حسب وثيقة حكومية رسمية ليس تعليم هؤلاء الأساتذة مادياً يجب أن يدرسوا فقط، وإنما كيف ينبغي أن يدرسوه (ص ١٧٣). ومن أهم برامج الوكالة الثقافية هو برنامج « **الوكالة الدولية للتنمية مع حقوق الإنسان** AID for Human Rights » (ص ١٧). فهي تشرف في كل البلاد حيث يوجد لها مكتب على ندوات ومحاضرات حول حقوق الإنسان وعلاقتها بقضية التنمية الاقتصادية. وهذا عدد محدود من الأنشطة الثقافية للوكالة. ومن هنا يتبيّن أن هذه الأخيرة كأخواتها (C.I.A. مثلاً) تعمل على بث الأيديولوجية الأميريكية ونشرها وغرسها بين فئات مجتمعات العالم الثالث المختلفة.

★ كارتر ★



★ جون كيندي ★



مصالح تقييم التأثير الثقافي الأميريكي

إن سرد المؤلف وعرضه للهياكل الثقافية الأميريكية التي تهدف إلى كسب تعاطف أكبر وصورة أحسن للحضارة الأميريكية في تصورات ورؤى مجتمعات العالم الثالث على الخصوص لا يمكن أن يكون تاماً دون إعطاء تقييم لما أنجزته فعلاً استراتيجية الثقافة للحكومات الفيديرالية عبر هياكلها وبرامجها ذات الطبيعة الثقافية إلى حد الآن. وهذا ما يعرض له « Yves Eudes » في أحد آخر فصول كتابة (فصل ١١). فهناك عدة مصالح تقوم بعملية البحث والتقييم لمدى تأثير الأنشطة الثقافية على فئات شعوب العالم الثالث. فيذكر المؤلف **مصلحة البحث الإعلامي** « Media Researsh Services » (ص ٢٢٣) التي تقوم بالتعاون مع مصالح أخرى منها **الوكالة الأمريكية الدولية للتنمية، والسفارات الأميريكية لتقييم نسبة استهلاك البرامج المختلفة** ومدى تأثيراتها السياسية والنفسية. أما مصلحة « Attitude and Audience Reserch Servece » فهي تقوم بدراسات اجتماعية (سوسيولوجية) من شأنها أن تساعد على معرفة أحسن فيما يخص الممارسات الثقافية والمواقف الأيديولوجية للفئات المختلفة التي يأتي هدف التأثير عليها في رأس القائمة. وهناك مصلحة « Fereign Information Research Servses » التي تهتم بتجميع المعطيات الإحصائية للأنشطة الدعائية العالمية للدول الأخرى مع الحرص على دراسة أساليب ومناهج هذه الأخيرة. وإذاعة صوت أميريكا نفسها لها مصلحة مختصة بتقييم انعكاسات برامجها بطريقة مستمرة في ٢٥ دولة وتدعى هذه المصلحة « Centinuing Audience Analysis System » وتشير عديد من البحوث التي قامت بها بعض المؤسسات والمصالح أن النتائج مشجعة جداً بخصوص مدى تأثير الاستراتيجية الثقافية بصورة عامة في العالم الثالث (ص ٢٢٧). ويصبح هذا التأثير أكثر تجسيماً خاصة في بعض هذه المجتمعات. فقد أوضحت بعض الدراسات أن البرازيليين المتخرجين من جامعات أميريكية يحتلون كلهم مناصب في مراكز القرارات





السياسية والاقتصادية وذلك بدون استثناء .

وعلى مستوى مدى التأثير الأمريكي على الأنظمة التعليمية الوطنية بالعالم الثالث فتؤكد بعض البحوث أن النتائج مرضية للغاية . فمجتمعات أمريكا اللاتينية وأصدقاء الولايات المتحدة التقليديين أمثال **تايوان والفلبين وكوريا الجنوبية** . . يعتبرون من تحصيل الحاصل .

ويشير صاحب الكتاب إلى بعض مناطق فشل السياسة الأمريكية مثل إيران وأفغانستان وغيانا خاصة بعد عام ١٩٧٧ م . ومن خلال بحوث تقييم هذه الآثار الاستراتيجية الثقافية الأمريكية في العالم الثالث على الخصوص يلخص المؤلف زبدة هذا التأثير مقتطفاً :

★ **أولا ، مصدراً أمريكياً** : « فالولايات المتحدة ليست مستعدة أن تترك جانباً قوة سلاح الأفكار ومقدرته على تحريك الشعوب » (ص ٢٣٣) .

★ **ثم كاتباً** هو بنفسه ما يلي : « وفي الحقيقة إذا كان ليس هناك من شيء يؤكد بطريقة مطلقة مدى حكمة الاستراتيجية الأمريكية الثقافية فإنه من المستحيل أيضاً أن نقول إنها استراتيجية تائهة . وفي النهاية فإن النسبة الهائلة لاستهلاك المنتجات والبرامج الأمريكية تجعل المرأ يعتقد أن التأثير الثقافي الأمريكي أمر وارد رغم أنه صعب القياس » (ص ٢٣٣) .

الانعكاسات الخطيرة

ويطرح المؤلف في نهاية مطاف هذا الكتاب (فصل ١٢) ملاحظات بالغة الأهمية : هل تنجح الولايات المتحدة الأمريكية في كسب العطف الكامل من طرف كل فئات شعوب العالم الثالث ؟ الإجابة هي بالنفي . وأحد هذه الأسباب الرئيسية لذلك هو استمرار ملامح التخلف والتأخر والبؤس بين سواد فئات هذه الشعوب من جهة والتمتع بالرفاهية ومظاهر التقدم من طرف النخب المسيطرة المتأثرة بالنمط الثقافي الأمريكي من جهة أخرى . ومن ثم تنشأ العدائية ويستمر الغضب الشعبي ضد أمريكا وخاصة حكامها ومسؤوليها . ويعني هذا الوضع أن عملية التثقيف « Accutturation » الصفوية هذه سوف تساعد على تقوية عوامل الجفاء « **التغريب** Aliénation » بين النخبة الحاكمة المتأمركة اللاوطنية « dénationalis » وبين الرعايا الوطنيين (ص ٢٥١) . وبذلك ينتحر مفهوم الديمقراطية ـ الذي نادت وتنادي به الأمة الأمريكية ـ في مثل ظروف هذه المجتمعات التي هب عليها نخبوياً ريح التأثير الثقافي الأمريكي . وتضعف عندها أسس شرعية حكم هؤلاء الحكام في نظر رعاياهم . ولا يبقى كما يؤكد المؤلف من اختيار للحكام للمحافظة على حكم رعاياهم إلا اللجوء إلى العنف . ويختم المؤلف كتابه بنبرة تشاؤمية حول ما يمكن أن تجر إليه الاستراتيجية الثقافية الأمريكية في الظروف الواردة هنا « وهذا الوضع المتفجر (بين حكام ومحكومين) لا يمكن أن تسيطر عليه حتى مستودعات الذخائر العسكرية الهائلة » (ص ٢٥٣) . ومن الأسباب التي لا بد أن تكون مؤثرة في عملية التأثير هي طبيعة معاملة الغازي للمغزو .

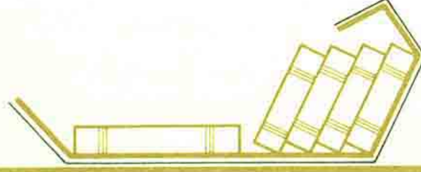
والمؤلف لا يكاد يشير إلى عاملين هامين آخرين لا بد أن يؤثرا في مدى نجاح أو فشل الاكتساح الثقافي الأمريكي المعاصر :

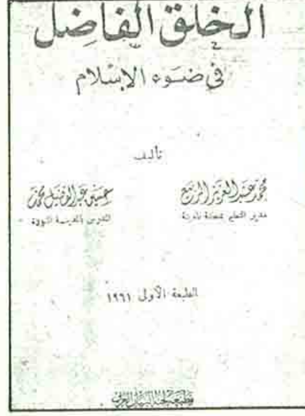
(١) **الأطر والأنظمة العقائدية** (من قيم وتقاليد وتصورات للحياة وديانات . .) المتجذرة في الشخصية الجماعية لأفراد وفئات مجتمعات العالم الثالث . فكلما كانت هذه متناقضة أو متصارعة مع الأطر والأنظمة العقائدية الأمريكية كان حظ النجاح في المغامرة الثقافية الأمريكية أقل إمكانية والعكس صحيح .

(٢) **انصهار شعوب العالم الثالث ثقافياً في البوتقة الأميريكية الثقافية يتوقف كثيراً على طبيعة المعاملة** . فإن سوّى الغازي بينه وبين المغزوين على كل المستويات كانت تلك المعاملة عاملاً أساسياً في انجذاب هذا الأخير عفوياً إلى صف من عامله بالمساواة مع أهله وذويه . وإن كان سلوك الغازي هو التمييز والتفريق بين الأهل والآخرين فتلك عقبة كأداء أمام نجاح كاسح وعميق للتأثيرات الثقافية تؤكدها معطيات علم النفس وعلم نفس الشعوب خاصة .

والسؤال الآن هل الاستراتيجية الثقافية الأمريكية الحديثة قادرة فعلاً على اجتياز العقبات التي يطرحها هذان العاملان ؟

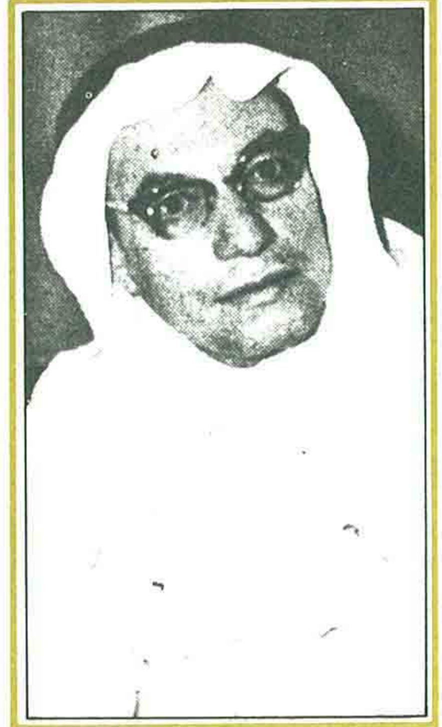





الخلق الفاضل
في ضوء الإسلام
تأليف
محمد عبد العزيز الربيع
حسني عبد الفتاح محمد
الطبعة الأولى ١٩٦١

في ضوء الإسلام
قطر الغيث في وادي «الربيع»

عرض وتلخيص: محمد مصطفى بسيوني


★ عبد العزيز الربيع ★

على الصفحة السادسة ، وفي عددها التاسع والخمسين ، حملت مجلة « الفيصل » نبأ وفاة رجل الفكر والأدب والتربية المرحوم محمد عبد العزيز الربيع ، وهو نبأ يهتز له وجدان كل مصلح غيور ، ويخفق له قلب كل ذي فكر ودين ، لاسيما في الحقل الأدبي ، والميدان التربوي .

التقيت لأول مرة « بالربيع » الراحل في أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٩م ، بمكتبه عندما كان مديراً للتعليم بالمدينة المنورة ، وكنت آنذاك أستهل عملي عضواً بالبعثة التعليمية المصرية بمعهد المعلمين بالمدينة المنورة الذي كان يحتل مبناه التليد بجوار مبنى الإدارة التعليمية قريباً من مشارف الحرم النبوي الشريف .

واستقبلني الرجل بوجه سمح ، وثغر باسم ، وطلعة باشة ، وشخصية عامرة بالحيوية والنشاط . ثم أحسست في حديثه ـ عن آماله العراض في الثقافة والتعليم ـ بقلب الأديب ، ولب المفكر ، وروح الفنان .

وبالرغم من أن هذا اللقاء كان الأول بيننا إلا أنني شعرت فيه كما لو كانت أواصر الصداقة والمودة ، وروابط الألفة والمحبة قد آخت بيننا منذ أمد بعيد .

وكانت لقاءاتنا بعد ذلك ـ رغم ندرتها لظروف العمل ـ غنية بالحوار الثقافي والأدبي والتربوي البناء الذي يفجر القضايا ويطرح الحلول .



وكثيراً ما كانت نفس « الربيع » تواقة إلى تسجيل هذه القضايا ؛ وخواطره الجياشة نحوها في كتب منشورة أو في صحف سيارة حتى تكون مثاراً لاحتكاك فكري أعمق ، وجدال منطقي أشمل أملاً في الخير والإصلاح استشهاداً بالآية القرآنية الكريمة ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض** ﴾ . . . (سورة الرعد ، الآية ١٧) .

أول كتاب للربيع

ولما كان أول الغيث قطراً كما صدق الحكيم العربي القديم ، فقد عمل « الربيع » في عام ١٩٦١ م ، على إصدار باكورة فكره الإصلاحي الهادف في كتاب اختير لـه عنوان : « **الخُلُق الفاضل في ضوء الإسلام** » وهو الكتاب الذي شاركه في إخراجه زميله وصديقه فضيلة الأستاذ **حسين عبد الفضيل** أستاذ العلوم العربية والشرعية بالمدينة المنورة آنذاك .

ومما ألح على خاطري لتسجيل هذه السطور عن ذلك الكتاب ، أن الثبت الذي أوردته مجلة « **الفيصل** » في عددها آنف الذكر لمؤلفات « عبد العزيز الربيع » جاء عطلاً من هذا الكتاب على أهمية موضوعه ، وخطورة محتواه إذ وجه همه كله إلى تقويم الأخلاق ، وإنارة سبيل الفضيلة أمام الناس بوحي من الرسالة السماوية الخاتمة في إخلاص محض وأدب رفيع .

يجمع الكتاب بين دفتيه ١٠٢ صفحة من القطع المتوسط وقامت على طبعه **مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة** .

وقد أشارت مقدمة الكتاب إلى أن من بواعث إصداره (الرغبة الصادقة في حرب المادية الطاغية ، وتيارها الجارف الذي يوشك أن يقضي على كثير من الفضائل الإسلامية السامية والمُثل الإنسانية العليا) .

ولا نكاد ندلف داخل الكتاب حتى نلحظ الاتساق المعقول في ترتيبه ، ونلمس التسلسل المنطقي في تبويبه ؛ إذ ينتقل بالقارئ المتأمل من التعريف بعلم الأخلاق إلى الواجب نحو الأسرة ، ثم نحو المدرسة ، ثم نحو المسلمين كافة ، ثم نحو الإنسانية جمعاء ، وهكذا .

وهو في هذا كله يعرض حديثاً قيّماً مفيداً عن صفوة مختارة من القيم الأخلاقية المُثلى ، والحث على المجاهدة في سبيلها .

وذلك عندما يؤكد على **الاتحاد ومزاياه** ، ويبرز **التعاون** وآثاره ، وينبّه إلى أثر **المنافسة الشريفة** ، ويحفز على **الاعتماد على الله** ثم على النفس ، ويشيد بأداء الواجب وأثره في حياة المسلم ، ويذكّر بآثار الصدق والأمانة في نجاح جميع الأعمال ، وينصح بالقناعة بالقليل من الربح ، ويمدح **عزة النفس** ، ويزيّن مقابلة الإساءة بالإحسان والحلم ؛ وغير ذلك من مثل عليا انفرد كل منها بباب كاد أن يغني عن كتاب .

كما رصع الكتاب بآيات بيّنات من القرآن العظيم ، وأحاديث مرفوعة للنبي الكريم ، وحِكَم من التراث العربي الجليل ، وأبيات من الشعر الأصيل ، تحلّت بها موضوعات الكتاب كشواهد فذة تبعث على الإمتاع ، وتطمئن إلى الإقناع .

ويطيب لي أن تقرأ تحت عنوان « **أسس الحياة الخلقية** » حديثاً نبوياً كريماً يقول : « **أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن** » وفي صدد « أهم الأمراض الخلقية وطريقة علاجها » نتلو قول الله تعالى ﴿ **إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم** ﴾ (سورة الرعد ، الآية ١٣) ، وعند عرض « احتمال المشقات في سبيل النجاح » نطالع الحكمة العربية القائلة : إن « **غبار العمل خير من زعفران العطلة** » ، وفي التنبيه إلى ضرورة دراسة علم الأخلاق ، وتصديقه كسلوك ، يتجلى بيت الشعر المشهود :

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

ولا نظن أن هذه العجالة في عرض كتاب « الخلق الفاضل في ضوء الإسلام » تغني عن تأمل الكتاب ، وتدبّر ما فيه .

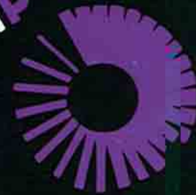
غير أن هذا الاستعراض قد يهدف إلى التذكير به ، والتنويه عنه حتى لا يذهب به حجمه الصغير عن فحواه الخطير .

إن شبابنا العربي المسلم الذي تتقاذفه اليوم صراعات التيارات المعاصرة يحتاج إلى التوجيه والتذكير الدائم .

وكم هو جدير بالمربين من آباء ومعلمين أن يتدارسوا مثل هذه الكتب الأخلاقية الرشيدة ، وأن يحيلوا أفكارها السديدة إلى سلوك سَوي في الحياة ، لكي يعطوا للأبناء جمال القدوة ، وجلال المثل .

وإننا لنتشوف دائماً إلى إحياء مثل هذا التراث الذي يجمع بين سلاسة الأسلوب وعمق الفكرة وصدق الغاية . وعلى الله قصد السبيل .





الذهب سيد المعادن

★ يتم تخزين الذهب في كهوف البنوك العالمية، كرصيد وضمان لعملاتها المتداولة ★

الذهب، هذا المعدن النفيس، الذي فتن الناس ببريقه عبر العصور، وسحر لب النساء والرجال على حد سواء، وسوف يظل ملك المعادن، ورمز الجمال الساحر، ودليل الغنى والثروة، به قامت حضارات وسادت، وبه أيضاً بادت حضارات وانتهت. أكثر المعادن ليونة، وأكثرها صموداً أمام تقلبات الأيام، فهو لا يتأثر بالعوامل الجوية، لا ينتابه الصدأ كالحديد، ولا يتغير لونه كالفضة، ولا تؤثر فيه الأحماض القوية، وهو المعدن الوحيد الأصفر من بين عناصر الأرض كلها، لهذا استحق أن يكون ملك المعادن بلا نزاع، وأن يكون أكثرها تدليلاً من الإنسان على مر الزمان.

وفي هذا الموضوع الخاص، سوف نحاول أن نركز الأضواء عليه، على تاريخه، وعلى دوره في خدمة البشرية، أمس واليوم وغداً.

بقلم: محمد عبد القادر الفقي

الذهب في اللغة

اشتقت لفظة (الذهب) من الفعل (ذهب)، ربما لأنه يذهب بالعقول: أي يفتنها، وربما لأن كميته صغيرة في الأرض، فصار كأنه (ذاهب) ويؤكد ذلك **ابن جني** في كتابه (**الخصائص**) حيث يقول:

«ويشهد عندك بهذا المعنى قولهم في مراسلة (الذهب)، وذلك لأنه ما دام كذلك غير مصفى فهو كالذاهب، لأن ما فيه من التراب كالمستهلك له، أو لأنه لما قل في الدنيا فلم يوجد إلا عزيزاً صار كأنه مفقود ذاهب، الا ترى أن الشيء إذا قل قارب الانتفاء. ولأجل هذا أيضاً **سموه (تبراً)**، لأنه فعل من التبار، ولا يقال له تبر، حتى يكون في تراب معدنه أو مكسوراً».

وللذهب أسماء كثيرة في لغتنا العربية، ويذكر ابن جني في خصائصه «أنهم إذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسماً من ذلك المعنى، فقالوا له الخلاص، والإبريز، والعقيان. فالخلاص فعال من تخلص، والإبريز إفعيل من برز يبرز، والعقيان فعلان من عق الصبي يعق، وهو أول ما ينجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل، وهو العق، فقيل له ذلك لبروزه، كما قيل له: البراز».

الذهب في القرآن الكريم

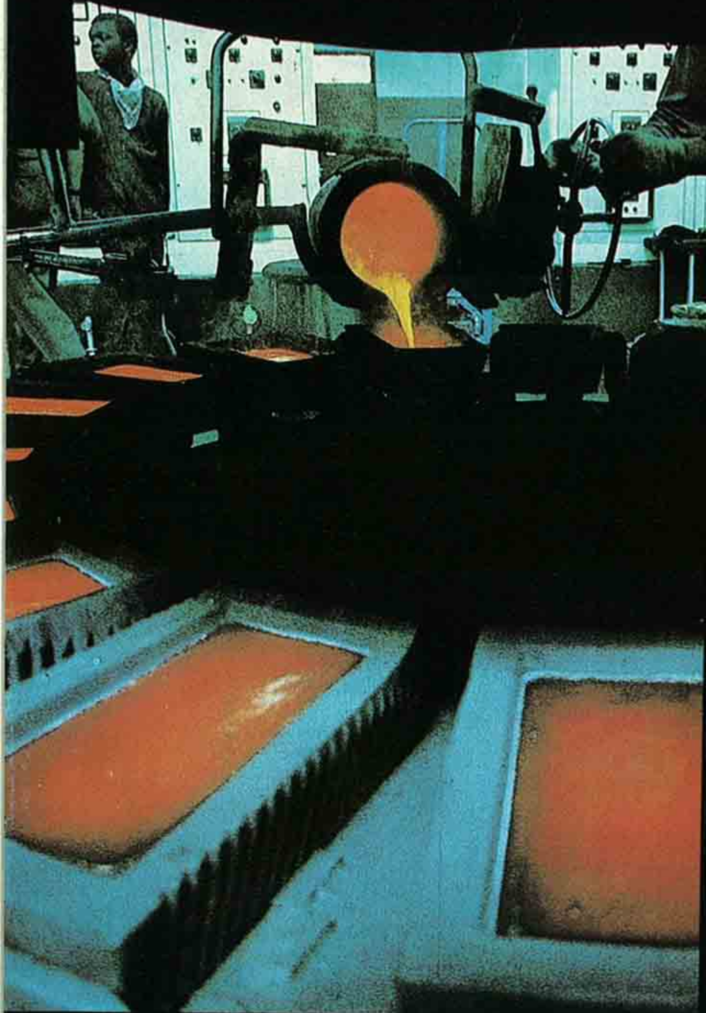
وردت لفظة الذهب في القرآن الكريم ثمان مرات، وذلك في الآيات الشريفة التالية:

● **﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾** (سورة آل عمران، الآية ١٤).

● **﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ﴾** (سورة الزخرف، الآيات ٥١ ــ ٥٣).

● **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾** (سورة التوبة، الآيتان ٣٤ ــ ٣٥).

● **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً. أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً ﴾** (سورة الكهف، الآيتان ٣٠ ــ ٣١).



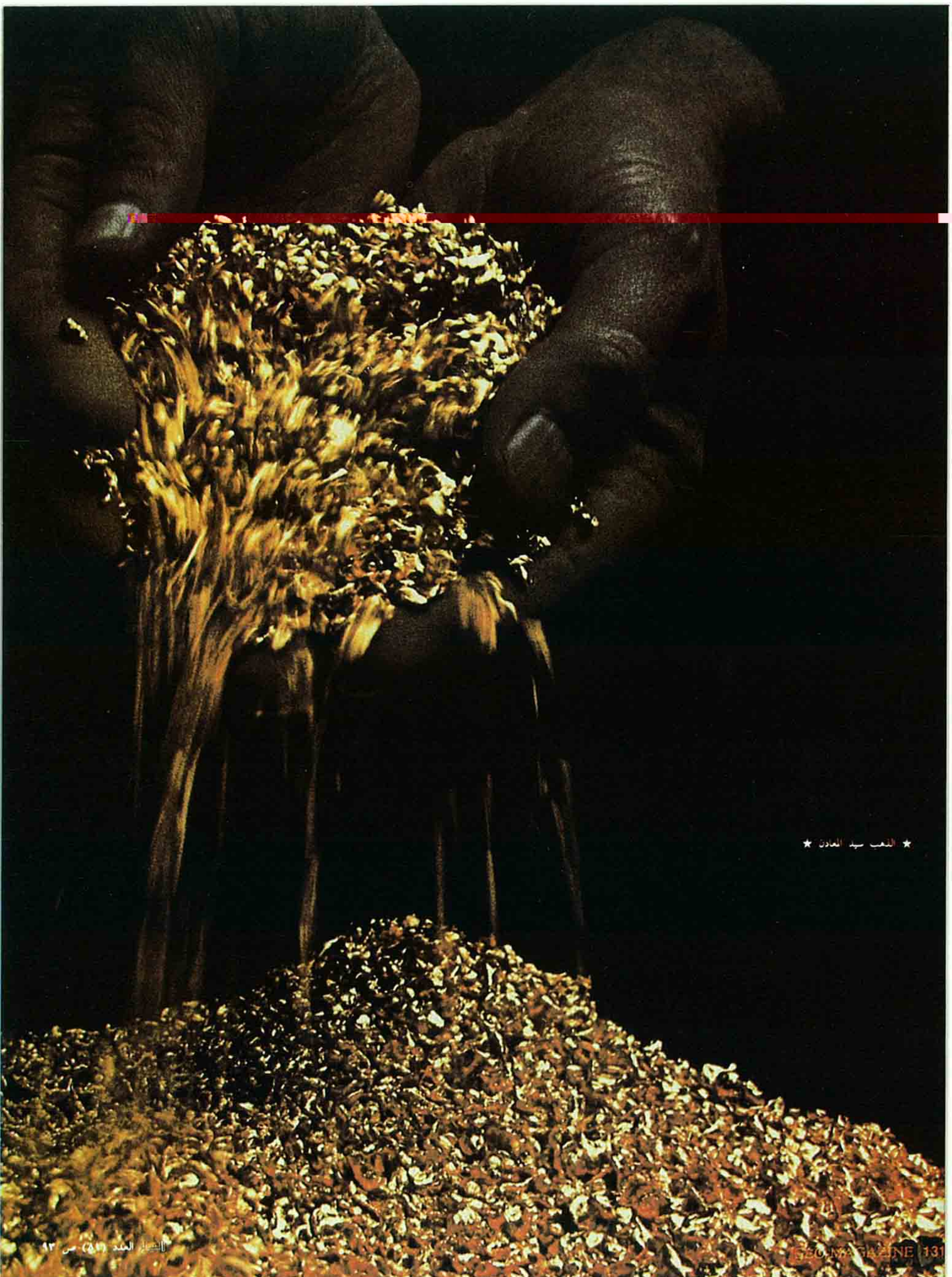
★ يتم صهر الذهب الخام، وتحويله إلى ذهب نقي بنسبة ٩٩,٥٪ في ألف درجة حرارية ★

● **﴿ جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾** (سورة فاطر، الآية ٣٣).

● **﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾** (سورة الحج، الآية ٢٣).

● **﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾** (سورة الزخرف، الآية ٧١).

● **﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾** (سورة آل عمران، الآية ٩١).



★ الذهب سيد المعادن ★

الذهب في أحاديث الرسول

توجد أحاديث كثيرة **لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ** في الذهب، منها ذلك الحديث الذي يحرّم لبسه للرجال ويبيحه للنساء، يقول ـ الرسول صلى الله عليه وسلم ـ : «أحل **الذهب** والحرير لإناث أمتي، وحُرِّم على ذكورها». وعن **عائشة ـ رضي الله عنها ـ** قالت: قدمت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلية من عند **النجاشي** أهداها له فيها خاتم من ذهب، فأخذه وإنه لمعرض عنه، ثم دعا أمامة، فقال: «تحلي بهذا يا بنية».

وقال علماء السيرة: لما أراد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يكتب للملوك سنة ٦ من الهجرة، قيل له: يا رسول الله: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا إذا كان مختوماً، فاتخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتماً من ذهب، فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه، فصنعوا خواتيم من ذهب، فلما لبس رسول الله ذلك لبسوا خواتيمهم، فجاءه جبريل من الغد، فأخبره بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمته، فطرح رسول الله ذلك الخاتم[1].

الذهب كعنصر كيميائي

الذهب معدن ذو لون أصفر براق، **وزنه الذري ١٩٦,٩٦٧**، أما **عدده الذري** فـ ٧٩، وهو أثقل من الماء ١٩,٣ مرة، ينصهر عند درجة حرارة ١٠٦٣°م، ويغلي عند ٢٩٧٠° مئوية، ولا يتغير لون الذهب بالانصهار، بل يبقى كما هو، وهذه خاصية من أهم خواص الذهب.

والذهب معدن **جيّد التوصيل للحرارة والكهرباء**، والذهب النقي يكون رخواً وطرياً، بحيث لا يمكن تشكيله أو استخدامه في أي غرض من الأغراض التي يستعمل فيها إلا بعد سبكه مع فلزات أخرى كالفضة أو النحاس، وإضافة الفضة إليه تؤدي إلى شحوب لونه، أما إضافة النحاس فتؤدي إلى احمراره، **ويُعبِّر عن نقاء الذهب بالقراريط**، وإذا كان الذهب نقياً وخالياً من أي شوائب يكون ٢٤ قيراطاً، **وأعلى درجة يمكن استعمال الذهب بها هي ٢٢ قيراطاً، والذهب عيار ٢١ قيراطاً يعني أنه يتكوّن من سبيكة، تبلغ نسبة الذهب بها ٢١ جزءً، والثلاثة أجزاء الباقية تتكوّن من معدن آخر.**

والذهب لا يتأثر بالأحماض العادية أو القوية، وإنما يلزم لذلك خليط خاص من حامضي الهيدروكلوريك والنيتريك الذي يطلق عليه اسم: **الماء الملكي، والحامض الوحيد الذي يؤثر فيه هو حامض السيلينيك.**

وللذهب ١٩ نظيراً، ابتداء من النظير رقم ١٨٥ إلى النظير ٢٠٣، ومن بين هذه النظائر لا يوجد إلا نظير واحد مستقر هو رقم ٢٠٠.

والذهب هو المعدن الوحيد الذي لا يكوّن طبقة من الأكاسيد على سطحه إذا تعرض للهواء في درجات الحرارة العادية، وهذه ميزة كبرى ينفرد بها الذهب، وتكسبه صفة الديمومة.



★ عقد من الذهب على هيئة زهور زخرفية، الأسرة ١٢ ★

الذهب في الطبيعة

يوجد الذهب منتشراً في كثير من الصخور بكميات متفاوتة في جميع بلدان العالم تقريباً، كما قد **يتجمع في رواسب الوديان، وفي الحصى الذهبي** الموجود في كثير من مجاري الأنهار، وهو يوجد مختلطاً مع غيره من المعادن كالفضة والنحاس وبعض المعادن الفلزية الأخرى، كما يوجد في مياه البحار والمحيطات بنسبة ستة أجزاء من كل مليون جزء من هذه المياه، ولكنه على الرغم من شيوع انتشار الذهب في جميع التكاوين الجيولوجية القديمة والحديثة، إلا أن وجوده بكميات اقتصادية ينحصر في بعض المناطق المعيّنة، خاصة تلك المناطق التي تدخلت فيها الصخور النارية المتوسطة والسيليسية (أي المحتوية على السيلكا)، وفي رواسب الوديان والرواسب المنقولة التي نتجت من تفتت هذه الصخور.

ونسبة الذهب الموجود بالقشرة الأرضية ضئيلة جداً، حيث يكون الكروم والنحاس والنيكل والتنجستن والزنك والقصدير والرصاص والأنتيمون والزئبق والفضة والذهب والبلاتين معاً أقل من ٠٢ و٠٪ من القشرة الأرضية، وقد رتبت العناصر السابقة ترتيباً تنازلياً تبعاً لوفرتها.



★ غطاء رأس ــ بزن ٤١/٢ أرطال من الذهب الخالص . مصر ، الأسرة ١٢ ★

أهم خامات الذهب

كما ذكرنا سابقاً ، يتواجد الذهب مختلطاً بالصخور في شتى بقاع العالم ، ومن أشهر الصخور التي تحتوي عليه **صخر الكوارتز** ، وتتواجد كميات صغيرة منه أيضاً في كبريتيدات الرصاص والنحاس ، وتحتوي معظم خامات الذهب على كميات صغيرة منه تتراوح بين ٥ إلى ١٥ جراماً في الطن الواحد .

مركبات الذهب

يمكن الحصول على عديد من مركبات الذهب عن طريق إجراء بعض التفاعلات الكيميائية الخاصة ، ومن أشهر هذه المركبات **أكسيد الذهب** وهيدروكسيده وهما لا يذوبان في الماء ، بينما تذوب أملاح الذهب في الماء ، وهناك مركبات أخرى يمكن الحصول عليها من الذهب كالكلوريدات والكبريتيدات .

الدول المنتجة للذهب

تعتبر **جنوب إفريقيا أكبر دولة في إنتاج الذهب** ، حيث تعتبر مناجم الذهب الموجودة في **منطقة ويتوترزراند في مقاطعة الترانسفال** ، أغنى مناجم العالم ، **ولقد تم اكتشاف الذهب بهذه المنطقة بعد اكتشاف الماس في مقاطعة كمبرلي بجنوب إفريقيا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر .**

ومن أهم الدول المنتجة أيضاً لهذا المعدن النفيس **الاتحاد السوفييتي ، وكندا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وأستراليا ، والمكسيك ، والفيلبين ، والهند ، واليابان .**

تاريخ اكتشاف الذهب

يعود اكتشاف الإنسان للذهب إلى عصر يوغل في عمق التاريخ ، فهو من أوائل المعادن التي لفتت نظر الإنسان ، كما أنه **أول معدن استخرجه الإنسان من باطن الأرض واستعمله في فن الزخرفة وفي أغراض الزينة ، وقد اكتشفه إنسان العصر الحجري الحديث** ــ كما يقول مؤرخو علم المعادن ــ الذي وجده على هيئة كتل صغيرة براقة في رمال وحصى الكثير من مجاري الأنهار .

الذهب في العصر الفرعوني

يعتبر المصري القديم أول من عرف الذهب وعرف تصنيعه ، وأول من استخرجه ليصنع به حضارته الخالدة ، وقد كان كهنة المعابد الفرعونية هم الذين يعرفون كيفية اكتشاف مناجمه ، وتحديد مواقعها ، واستخلاص الذهب منها وتصنيعه ، ولقد قام الفراعنة بالبحث عن هذا المعدن الثمين في كل ربوع مصر وصحرائها ، وقد ترك خبراؤهم بعض الخرائط الجيولوجية والجغرافية التي تحدد مواقع بعض المناجم وتخطيط مناطقها ، وتجدر الإشارة إلى أن **الفراعنة هم أول من رسموا أول خريطة تعدينية للذهب في العالم ، وذلك في عهد الملك سيتي الأول أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة** ، وقام قدماء المصريين بحفر آبار المياه بجوار مناجم الذهب وذلك لتزويد العمال القائمين بالعمل في هذه المناجم بمياه الشرب ، كما قاموا بإنشاء معسكرات لسكن العمال والمشرفين عليهم ، وأقاموا بكل مستعمرة معبداً للمعبودة **حتحور** ، حامية مناجم الذهب والعمال في صحراء مصر الشرقية ، وقد كتب على أحجار المعبد أن « الذهب معدن الإله المقدس ولحم جسده ، فمن يحاول العبث به أو سرقته أو غشه تنزل عليه لعنة الآلهة » .

ولقد استخرج المصريون القدماء ذهب حضارتهم من مناجمه التي تقع **في صحراء مصر الشرقية ، في وادي الحمامات ، ووادي العلاقي ، ووادي الهودي** ، والجدير بالذكر أن الذهب كان يطلق عليه في اللغة المصرية اسم **« نويت »** ، وهو الاسم الذي أطلق على بلاد النوبة (نويت حت) : أي أرض الذهب ، كذلك اشتهرت مصر في الكتب السماوية وكتب التاريخ بأنها منجم الذهب ، الذي كان يجذب أنظار المغيرين والمعتدين إلى مصر ، ويشجعهم على الهجوم عليها رغبة في امتلاكه والوصول إلى مناجمه ، وهناك أحداث كثيرة تدل على ذلك ، حيث يذكر التاريخ قصة **قمبيز بن كورش ملك الفرس** الذي غزا

مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، وكيف توجه بجيشه إلى **مدينة (أون)** فور وصوله إلى مصر، أملاً في أن يجد خزائن الذهب المصرية، كما أن **الأثيوبيين** حينما فكروا في غزو مصر في القرن الثامن قبل الميلاد، بدأوا بغزو النوبة واستولوا على مناجم الذهب المصرية، ثم فتحوا **طيبة** بعد ذلك.

ولعل قصة **قارون وكنوزه** وذهبه من أشهر القصص التي وردت في الكتب السماوية، وكانت خزائن قارون ـ كما يرى **المؤرخ ابرمان** ـ تقع في المبنى الذي يطلق عليه حالياً **«قصر الصاغة»، بالقرب من شاطئ بحيرة قارون**، وهو عبارة عن معبد حجري قديم يتميز بفناء طويل يحوي سبع كوات كبيرة كالمخازن، كانت في الأصل مغلقة بأبواب متينة لا تزال محاور أعقابها ظاهرة حتى الآن[٢].

كذلك تحدثت الكتب السماوية عن قصة الذهب الذي جمعه اليهود حينما هربوا من مصر، وكيف صنع السامري لهم به عجلاً عبدوه واتخذوه إلهاً، قال تعالى **﴿ قالوا ما أخلفنا بوعدك بملكنا ولكنّا حُمّلنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامريُّ . فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾** (سورة طه، الآيتان ٨٧ ـ ٨٨).

ولقد برع الفراعنة في اكتشاف مناجم الذهب، حتى أن معظم المناجم التي اكتشف فيها الذهب حديثاً بمصر، عرفها الفراعنة وقاموا بالتنقيب فيها، وأنه في كل مكان وجدت فيه البعثات الجيولوجية المصرية دليلاً على نشاط تعديني فرعوني، وجد الذهب[٣].

لقد كان الجزء الأكبر من ثروة مصر وتجارتها وحروبها خلال تاريخها الطويل قبل عصر المسيحية مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالبحث عن المعادن والرغبة في تملكها وخاصة الذهب، وكان المصريون يقايضون الفلزات والفيروز بالحرير والتوابل والجواهر الكريمة التي كانت تأتي من بلاد الشرق، وازدهرت التجارة مع الملوك الآشوريين الذين كانوا يعشقون الذهب، وقد أدى ذلك المعدن النفيس إلى أن تصبح مصر أغنى بلاد العالم القديم، حتى **أطلق المؤرخون على حضارة مصر الفرعونية اسم (حضارة الذهب)**.

الذهب عند السومريين

عرف السومريون الذهب منذ زمن طويل قبل ميلاد المسيح عليه السلام، واشتهروا بمهارتهم في صناعته، و«في العاصمة السومرية الشهيرة وجدت أنفس الآثار والحلي، ومنها حلي **الملكة (شعباد)**، وتضم قلائد وأقراطاً وأساور وخواتم من الذهب مرصعة بالعقيق وغيره، وقد عثر على دبابيس وأشكال لرؤوس الثيران زينت بها القيثارات، وكلها من الذهب، أو الذهب واللازورد»[٤].

الإغريق والرومان

يرتبط جزء كبير من تاريخ اليونان القديم ارتباطاً وثيقاً بتاريخ مناجم الفلزات الثمينة، ولقد كان الذهب الموجود في **جبل بانجياس في مقدونيا** هو الكنز الذي استطاع به **الإسكندر الأكبر** أن يجهز ويمول غزواته وحملاته في أركان العالم القديم، وقد زينت أثينا **(الأكروبوليس)** بتمثال من الذهب والعاج، وقد وجد أن نسبة الذهب بهذا التمثال تزيد عن طن.

«ويدين الرومانيون أيضاً بالكثير للثروة المعدنية التي استحوذوا عليها بالغزو والسلب، وكان المدد المتدفق من الفلزات الذي كان يأتي للإمبراطورية الرومانية من البلاد التابعة لها العامل الأكبر في بقائها»[٥]، كما أن قوافل الذهب والفضة والنحاس والحديد التي كانت ترد إلى الإمبراطورية الرومانية من إسبانيا كانت سبباً رئيسياً في دلال روما وفسادها، ولما نضب هذا المعين ضعفت هذه الإمبراطورية، وسرعان ما أصابها الوهن والاضمحلال[٦].

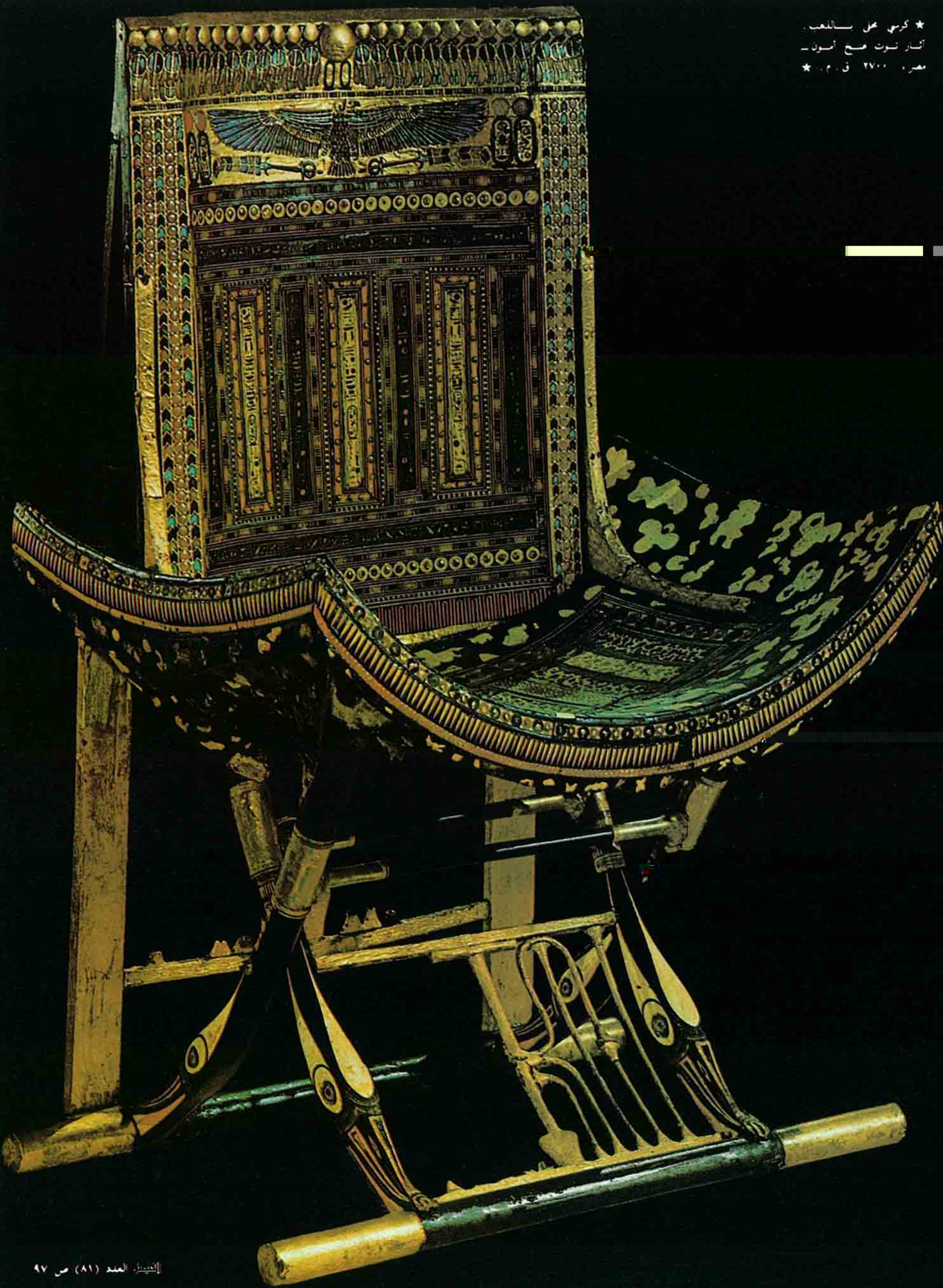
الفينيقيون .. والذهب

كان البحث عن الفلزات الثمينة وراء سيطرة الفينيقيين على التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وقد قام **الفينيقيون** برحلات استكشافية فترة امتدت إلى حوالي ألفي عام قبل ميلاد المسيح، وقد اكتشفوا الذهب والفضة والنحاس والقصدير في تلال إسبانيا والبلاد الأخرى المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط.

العرب .. والذهب

يرى **المستشرق الألماني الشهير (مورتيز)** أن «بلاد العرب كانت مضرب المثل للثراء في القرون الوسطى بسبب رواج التجارة ووجود مناجم المعادن، **وكان الذهب العربي مشهوراً ومطلوباً قبل الميلاد بنحو ٥٠٠ سنة عند الشعوب المجاورة**، مما حمل النبي سليمان على إرسال بعثات للتنقيب عنه بالقرب من سواحل البحر الأحمر، فاستخرجت منه كميات هائلة، وقد أثارت الثروة العربية مطامع الرومانيين فقاموا بحملة غزو للبلاد العربية، ونقل مؤرخو اليونان معلومات دقيقة عن مصادر الذهب في هذه البلاد، وكان لليهود أثر كبير في الاستيلاء على هذه الثروة وإخراجها من الجزيرة العربية، فقد وجدت منهم جاليات كبيرة تقيم في المناطق التي تنتشر فيها المعادن»[٧].

وقد اشتهر الكيميائيون العرب في العصور الوسطى بالبحث عن الذهب ومحاولة استخراجه من المعادن الخسيسة باستخدام ما أطلق عليه اسم (الإكسير)، واهتم العرب بالذهب والجواهر الكريمة اهتماماً كبيراً، وفي هذا المقام نذكر الرازي، وابن سينا، والصباح الكندي، جد الفيلسوف العربي الشهير: **يعقوب الكندي، والبيروني** الذي توصل إلى تعريف الوزن النوعي للمعادن، بعد أن أجرى الكثير والكثير من التجارب، ويعرف البيروني الوزن النوعي فيقول: «فإن المكعب الذي ضلعه ذراع إذا كان من الماء اتزن ما هو جزء من تسعة عشر إذا كان ذهباً».



★ كرسي محلى بالذهب، آثار توت عنخ آمون ـ مصر، ٢٧٠٠ ق.م. ★





والبيروني بذلك يعد أول من قدر قيمة الوزن النوعي Specific Weight ، وهو قد قدره بدقة كبيرة ، حيث لا يتعدى الفارق بين ما قاله البيروني وما أثبته العلم الحديث أكثر من ٣, فقط.

وقد كتب الكيميائيون العرب الكثير من المصنفات والرسائل العلمية في الذهب والمعادن والجواهر ، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

(١) خواص الأشياء : لابن زهر الأندلسي .

(٢) رسالة في الجواهر : لأحمد بن عبد العزيز الجوهري .

(٣) عرايس الجواهر وأطايب النفائس : لأبي القاسم عبد الله بن علي الكاشاني .

(٤) أزهار الأفكار في جواهر الأحجار : لأحمد بن يوسف التيفاشي .

(٥) الجواهر والخواص : لمحمد بن زكريا الرازي .

(٦) علل المعادن : للرازي أيضاً .

(٧) الجماهر في معرفة الجواهر : لأبي ريحان البيروني .

(٨) منافع الأحجار : لعطارد بن محمد .

(٩) الجواهر والأشياء : للفيلسوف الكندي .

(١٠) نخب الذخائر في أحوال الجواهر : لابن الأكفاني .

ولقد بلغ افتتان العرب بالذهب أن أطلقوه على بعض كتبهم مثل (شذرات الذهب) للعماد ، و (خلاصة الذهب المسبوك) للإربلي وغير ذلك الكثير . . .

وقد عرفت نساء العرب في الجاهلية الحلي الذهبية ، حيث كن يلبسن الخلاخل الذهبية في أرجلهن ، ويعلقن الخزائم المتسعة بأنوفهن ، ويستخدمن الأقراط والعقود والقلائد المصنوعة من الذهب .

الذهب في أوروبا

ظلت صناعة الذهب متوقفة في أوروبا خلال العصور المظلمة التي خيمت عليها ، إلى أن بدأ **شارلمان** وخلفاؤه استغلال رواسب الذهب الموجودة في أواسط أوروبا ، وبعد ذلك أثناء **عصر الكشوف الجغرافية** كان إغراء الحصول على الذهب واللآلئ وغيرها من الثروات حافزاً **لكريستوفر كولمبس** لكي يبحر غرباً بحثاً عن طريق جديد يؤدي إلى جزر الهند .

و «كذلك كان أمله في العصور على **الشبح المسمى بالألدورادو** (مدينة خيالية مليئة بالذهب) دافعاً له للارتحال جنوباً من جزر باهاما حيث ألقى مراسيه لأول مرة عام ١٤٩٢ م ، إلى **كوبا** ، ومنها إلى **جزر هاييتي** ، ولقد أثار استعراض (مونتيزوما) لحليه من الذهب والفضة شهوة الفتح لدى عصابة صغيرة من المغامرين الإسبان الذين وصلوا إلى

المكسيك بعد ذلك بحوالي عشرين عاماً تحت قيادة كورتيه ، وتلا إخضاع المكسيك مباشرة رحلات قرصانية قام بها المغامرون الإسبان **«كونكويستا دورس»** الذين كانوا يعشقون الذهب ، وانتهى هذا بغزو **بيزارو لبيرو**»[٨] ، وبعد ذلك قام هؤلاء المغامرون باستغلال رواسب الذهب في البلاد التي فتحوها ، وأدى ذلك إلى انتعاش أوروبا وازدياد النشاط الصناعي والزراعي في بلادها .

الذهب .. والثورة الصناعية

بدأ عصر الثورة الصناعية بحادثين على جانب كبير من الأهمية :

● **الأول** : اكتشاف الذهب بمحض الصدفة في يناير (كانون الثاني) عام ١٨٤٨ م ، في التيارات المائية تحت عجلة طواحين نشر الخشب في **كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية** ، وقد أدى ذلك إلى تضاعف سكان كاليفورنيا أكثر من أربع مرات في غضون عشرة أعوام ، نتيجة لهجرة الكثيرين إلى هذه المنطقة .

● **الثاني** : اكتشاف الذهب بأستراليا عام ١٨٥١ م ، في ويلز الجنوبية الجديدة (نيوساوث ويلز) وفي منطقتي بالارات وبنديجو بمقاطعة فكتوريا ، مما أدى إلى الاندفاع الخيالي إلى **أستراليا** ، حيث هاجر أكثر من مليون شخص من بريطانيا إليها ، وأصبحت بذلك أستراليا مركزاً هائلاً للنشاط التعديني والصناعي .

ولقد عثر في عام ١٨٥٥ م ، على أكبر قطعة ذهبية كانت تزن ١٦٠ رطلاً في أستراليا .

الذهب في عالمنا المعاصر

ظل الذهب منذ فجر التاريخ إلى عام ١٩٧١ م ، هو العملة النقدية المعترف بها من الجميع ، ولقد كان سعر الذهب ثابتاً عند ٣٥ دولاراً للأوقية في عام ١٩٣٤ م ، واستمر على ذلك دون تغيير حتى عام ١٩٦٧ م ، «وفي عام ١٩٧١ م ، خرج الذهب من عقاله وبدأ يتحرر ـ على حياء ـ من أسعاره القديمة ليبدأ في الارتفاع النسبي في ٧٦/٧٥»[٩] ، حتى بلغ الذروة في ٢١ يناير (كانون الثاني) عام



★ تمثال صغير لتوت عنخ آمون مع خنجره وصولجانه ـ مصر ، ٢٧٠٠ ق . م . ★



١٩٨٠ م ، حيث وصل سعر الأوقية في سوق لندن للذهب ٨٥٥ دولاراً ، وقد بلغ إنتاج العالم من الذهب عام ١٩٧٩ م ، حوالي ٩٦٢ طناً ، كان نصيب الدول الشيوعية فيها ٢٢٩ طناً .

ومن ناحية أخرى « تفيد الإحصاءات أن العالم استخدم في نفس العام (١٩٧٩ م) : ١٧٦٥ طناً ذهباً ، أي أكثر من إجمالي الإنتاج ، وقد جاءت باقي الكمية المستهلكة من المخزون لدى الدول أو الأفراد ، وهو يقدر بحوالي ٥٤٧ طناً »[١٠] .

الذهب .. والعالم العربي

تطور استهلاك الذهب في العالم العربي خلال السنوات العشر السابقة نتيجة لارتفاع الدخول ، وخاصة بالنسبة للدول المنتجة للبترول . **ومما هو جدير بالذكر أن منطقة الشرق الأوسط لا تنتج ذهباً ، ولكنها تعتبر منطقة استهلاك لهذا المعدن ، وقد تطور استهلاك الذهب في الدول العربية بشكل مطرد خلال السبعينات من هذا القرن ، وبدأت الزيادة في استخدامات الذهب تتبلور منذ عام ١٩٧٤ م ، إثر أول ارتفاع كبير في سعر البترول فزاد الاستهلاك للذهب في السعودية بعد عام ١٩٧٥ م ، ليصل إلى ٣٩ طناً في عام ١٩٧٨ م ، وزاد أيضاً في العراق وسورية والأردن والكويت والإمارات** . (انظر الجداول المرفقة رقم ١ ، ٢ ، ٣) .

استخدامات الذهب

من أهم المجالات التي يستخدم فيها الذهب **استعماله كغطاء للعملات الدولية** ، حيث تحتفظ الحكومات المختلفة والبنوك المركزية بحوالي ٦٠ ٪ من إنتاج العالم ، وتستخدم النسبة الباقية في صناعة الحلي والمجوهرات وفي الصناعات الكهربائية والإلكترونية والطبية ، كما **يستخدم الذهب « في صناعة الصواريخ والأقمار الصناعية والتجهيزات السرية الموجودة بها** ، فتغلف الأقمار الصناعية بغلالات رقيقة جداً من الذهب لا يزيد سمكها ٠,٠٠٠٦ من المليمتر لعكس الأشعة دون الحمراء والمسببة للحرارة إلى الخارج ، ولولا ذلك لما أصبحت درجة الحرارة داخل القمر الصناعي صالحة لعمل الأجهزة المختلفة ومناسبة لوجود رواد الفضاء »[١١] .

ويستخدم الذهب أيضاً في صناعة السبائك ، وفي الطب حيث تستخدم نظائر الذهب في علاج بعض الأمراض .

خاتمة

الذهب .. بالرغم من أن الإنسان قد عرفه منذ قديم الأزل ، إلا أنه معدن نادر جداً ، « حتى أنه لم يستخرج منه في تاريخ البشرية أكثر من ٨٨ ألف طن ، أي ما يكفي لتكوين مكعب يتألف ضلعه من ستة عشر متراً وربع متر ، لكنه معدن صمد عبر الأجيال كوسيلة صرف وكأنفس تعبير فني على الإطلاق ، من كنوز **توت عنخ آمون** ، وتماثيل **بوذا** الذهبية في آسيا ، حتى القلادات الحديثة الثمينة »[١٢] ، ولعل أروع عبارة قيلت في تقدير الذهب ، تلك التي تقول : **« من يملك الذهب يسن القوانين »** .

المراجع

(١) chemical and process technology encyclopedia By Douglas M considine. Mc Graw Hill, New York, 1974.

(٢) Smithells, Colin J. «Metals Reference Book», vol. 3, plenum, New York, 1967.

(٣) Wise, Edmund M (ed) Gold Recovery, properties and Applications», van Nostrand Reinhold, New York, 1964.

(٤) مجلة (ديارنا والعالم) ، العدد ٦٥ ، مايو (أيار) ، عام ١٩٨١ م حكايات ذهبية ، ص ٢٨ ــ ٣٠ .

(٥) مجلة (الكويت) ، العدد ٤ ، يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨١ م ، الذهب المعدن الذي أصابه الجنون ، ص ١٠٠ ــ ١١٤ .

(٦) مجلة (صباح الخير) المصرية ، العدد ١٣٣٨ ، أغسطس (آب) عام ١٩٨١ م حكاية الذهب في مصر ، د . سيد كريم ، ص ٥ وص ٩ .

(٧) مجلة (الهدي النبوي) ، العدد ٦ ، جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ المعادن في القرآن الذهب ، مهندس محمد عبد القادر الفقي ، ص ١٢ ــ ١٩ .

(٨) مجلة (الاقتصادي) ، العدد ٦٢٦ ، يناير (كانون الثاني) عام ١٩٨١ م جنون الذهب وجنون الأسعار ، نبيل صباغ ، ص ١٦ ــ ص ٢٠ .

(٩) مجلة (العربي) ، العدد ٢٥٦ ، مارس (آذار) عام ١٩٨٠ م جنون الذهب إلى أين ؟ ، د . حازم الببلاوي ، ص ٢٢ ــ ٢٨ .

(١٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الشعب ، عام ١٣٧٨ هـ ، مادة (ذهب) .

(١١) الخصائص : لابن جني .

(١٢) المعادن والرواسب المعدنية تأليف و . ر . جونز وديفيد ويليامز ، ترجمة الدكتور محرم موسى والدكتور عبد العزيز عثمان ، سلسلة الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦١ م .

(١٣) مجلة (العلم) المصرية ، العدد ٥٣ ، يوليو (تموز) ، عام ١٩٨٠ م ، الموسوعة العلمية (ذهب) الدكتور محمد عز الدين حلمي ، ص ٣٩ ــ ٤٣ .

الهوامش

(١) مجلة الكويت ، العدد ٤ ، ص ١١٠ ، استطلاع الذهب ، المعدن الذي أصابه الجنون .

(٢) مجلة صباح الخير ، العدد ١٣٣٨ : حكاية الذهب في مصر ، ص ٨ .

(٣) مجلة الهدي النبوي ، العدد ٦ ، جمادى الآخرة عام ١٤٠١ هـ المعادن في القرآن ، ص ١٤ .

(٤) المرجع رقم (١) في الهوامش ، ص ١٠٢ .

(٥) المعادن والرواسب المعدنية ، جونز وديفيد ويليامز ، ص ١٦ .

(٦) المرجع رقم ٣ في الهوامش ، ص ١٤ .

(٧) المرجع رقم ١ في الهوامش ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .

(٨) المعادن والرواسب المعدنية ، ص ١٧ .

(٩) مجلة العربي ، العدد ٢٥٦ جنون الذهب إلى أين ؟ ، ص ٢٢ .

(١٠) مجلة الاقتصادي ، العدد ٦٢٦ ، ص ٢١ .

(١١) مجلة العلم ، العدد ٥٣ ، ص ٤٢ .

(١٢) مجلة ديارنا والعالم ، العدد ٦٥ ، ص ٣٠ .

جدول رقم (١)

تطور استخدام الذهب في الدول العربية منذ عام ١٩٦٩م، حتى عام ١٩٧٩م، من الذهب الجديد

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	٦,٤	٧,٠	٧,٦	٤,٠	٦,٠	٢٣,٠	٦,٠	٢٥,٥	٢١,٠	٢٠,٥	١٢,٥
السعودية واليمن	٥,٠	٥,٠	٣,٥	٢,٠	٢,٠	٧,٠	١٠,٠	٣٧,٠	٤١,٥	٣٩,٠	١٤,٥
العراق وسورية والأردن	١٠,٠	١٠,٥	١٠,٠	٤,٥	١٧,٥	٢٢,٥	١٢,٠	١٨,٠	٢٤,٠	٢٨,١	١٣,١
الكويت والإمارات	٥,٩	٦,٠	١٠,١	٤,٦	١٢,٠	٨,٥	١٦,٠	٣٨,٠	٤١,٧	٣٦,٣	١٦,٨
لبنان	٩,٠	١٠,٠	١٠,٠	٥,٠	-	١,٥	٢,٠	٢,٠	٢,٥	٢,٠	٣,٠

جدول رقم (٢)

تطور حجم الذهب المستخدم في تشغيل المصوغات في البلاد العربية منذ عام ١٩٦٩م، حتى عام ١٩٧٩م، بالطن

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	٦,٠	٦,٥	٧	٣,٥	٦,٠	٢٣,٠	٦,٠	٢٥,٥	٢١,٠	٢٠,٥	١٢,٥
السعودية واليمن	٢,٥	٢,٥	٢,٥	٢,٠	٢,٠	١,٠	٨,٠	٣٣	٣٤,٥	٣٠,٠	٧,٥
العراق وسورية والأردن	٧	٧,٥	٧,٠	٣,٥	١٨,٠	٢٣,٠	١٠,٠	١٥	١٧	١٢,١	٦,١
الكويت والإمارات	٤,٩	٥,٠	٩,١	٤,١	١٢,٠	٩,٠	٩,٠	١٣	١٧,٢	١٦	١٣,٧
لبنان	٢	٣	٤	٣	٢	١	٢	٢	٢	٢	٣

جدول رقم (٣)

الذهب المستخدم في الدول العربية لصناعة العملات والقلائد

الدولة	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩
مصر	-	,١	,١	-	-	-	-	-	-	-	-
الكويت	١,٠	١,٠	١,٠	,٥	-	,٥	٧,٠	١٦,٠	١٠,٠	٧,٠	٣,٠
سورية	٣,٠	٣,٠	٣,٠	١,٠	,٥	,٥	٢,٠	٣,٠	٧,٠	٧,٠	٧,٠
السعودية	٢,٥	٢,٥	١,٠	-	-	٦,٠	٢,٠	٤,٠	٧,٠	٩,٠	٧,٠
لبنان	٧,٠	٧,٠	٦,٠	٢,٠	١,٠	,٥	-	-	,٥	٩,٠	٧,٠
ليبيا	١,٠	٣,٠	٢,٠	٢,٥	-	-	-	-	-	-	-
دولة الإمارات	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	,١

* المصدر : الأهرام الاقتصادي، العدد ٦٢٦، ص ٢٢.



علم المستحاثات paleontology

الحلقة المفقودة بين الثدييات المائية والبحرية : (ميتشيجان Michigan) .

لفترات طويلة احتار العلماء من أمر الحيتان whales وكيف أنها **حيوانات ثديية** mammal تتناسل عن طريق الحمل داخل الرحم وترضع صغارها وتتنفس برئتين وليس بالخياشيم ، وهي من حيوانات الدم الدافئ ، لكنها بالرغم من كل هذا فهي تعيش في البحار كالأسماك .. وكان علماء المستحاثات يلمّون تماماً بتاريخ حياة الحيتان بعد أن أصبحت من حيوانات المياه ، أي خلال الفترة التي تتراوح مدتها الزمنية بين الـ (٤٠ - ٤٥) المليون عام الماضية ، ولكن حياة الحيتان قبل هذه الفترة وقبل أن تنزل إلى المياه لتصير حيوانات مائية لم يكونوا يملكوا أي دليل عليها وإن لتكون دعامة بأن الحيتان كانت قبل هذا التاريخ **حيوانات برّية** terrestrial ، وأنها فصيلة انشقت في الأصل عن الرتبة الأساسية **للثدييات البرّية** terrestrial Mammals ، ذلك لأن الحيتان حيوانات مهيّأة تماماً للحياة المائية ، لكنها مع ذلك هي ثدييات بكل معنى الكلمة .. ولكن لماذا الحيتان دون باقي الثدييات البرية التي تستنشق الهواء برئتين ولا تستطيع الحياة في المياه نزلت البحار وعاشت فيها ثم استقرّت نهائياً فيها ؟ هذا هو السؤال الذي كان بلا جواب ، والذي كان يترك ثمّة فجوة زمنية لحلقة مفقودة تقدّر مدتها بـ (٥) ملايين عام وهي المرحلة الانتقالية بين العصر الذي عاشت فيه حيوانات اليابسة والعصر الذي عاشت فيه حيوانات البحار على الأرض ..

ويجيء هذا الكشف الكبير ليعطي الدلالة الأكيدة لما تكهّن به العلماء من قبل .. فلقد اكتشف فريق بحث دولي من علماء المستحاثات paleontologist عند سفوح جبال **الهمالايا في باكستان** قرب مكان فيه مياه صالحة من بقايا بحر **ثيثيس القديم** الذي كان يفصل ما ندعوه الآن شبه القارة الهندية عن قارّة آسيا مستحاثات لبقايا (الحوت الأول) الذي عمر في البلد يرجع زمانه إلى **العصر الفجري المبكّر** The early Eocene epoch (الحديث السابق) أي منذ حوالي (٥٠) مليون عام ، والعظام التي عثر عليها عبارة عن جزء من مؤخرة الجمجمة وأجزاء من الفك السفلي وعدة أسنان ، وقرر العلماء بعد دراسات مضنية طويلة أن عمر العظام يتراوح بين (٤٥) و(٥٠) مليون عام ، وأنها أقدم عظام يعثر عليها في تاريخ علم المستحاثات حتى اليوم ، كما أنها فعلاً تمثّل أقدم عيّنة للحوت الأول على الأرض . **والعالم الأميركي الدكتور (فيليب جينجيريخ** Philip Gingerich) **من جامعة ميتشيجان** ابتهج ابتهاجاً كبيراً ولم تسعه الفرحة بهذا الكشف الهام ، ويقول ، والسعادة تغمر نفسه : «إنه لم يعد شيئاً مفقوداً الآن .. والحلقة المفقودة التي كانت تفصل بين حيوانات اليابسة وحيوانات البحر التي كنا دائماً ننشغل بها وبالبحث عنها لئلا تضيع جهودنا لتسجيل تاريخ الحياة على الأرض هباءً .. قد وجدناها أخيراً» .

ويتابع الدكتور (جينجيريخ) حديثه قائلاً : «كنّا نتكهّن دائماً بأن الحوت حيوان برّي وأنه من الثدييات البرّية التي عاشت على الأرض وأنّه إنّما انسلّ إلى البحار لأنه كان يعتمد على الأسماك واللحوم ، وقد استعمر شواطئ البحار في قديم الزمان لأنه وجد وفرة في الأسماك في البحر ، وهذا بحد ذاته فيه من المغريات ما يكفل له مواصلة تعمّقه تدريجياً داخل البحر .. وبمرور الزمن الطويل حصلت له تكيّفات adaptation عديدة تركته يألف الحياة في المياه ويتّخذ بالتالي البحار مسكناً دائماً له ، علماً بأن العودة إلى البحار كانت بالتدرّج الطويل الذي امتدّ لأكثر من مئات الأجيال» .

وسمّى العلماء هذا الحوت باسم (**باكسيتوس** pakicetus) وأكدوا بعد دراساتهم العديدة أنه كان مخلوقاً برمائياً amphibious كان يعيش ويتناسل على البر ، ثم ينسلّ من اليابسة إلى الماء بحثاً عن الغذاء ، وأنه تحت ضغط البحث عن الرزق يوماً بعد يوم وعصراً بعد عصر تكيّف مع حياة البحر التي صارت في نهاية المطاف مقرّه الدائم .

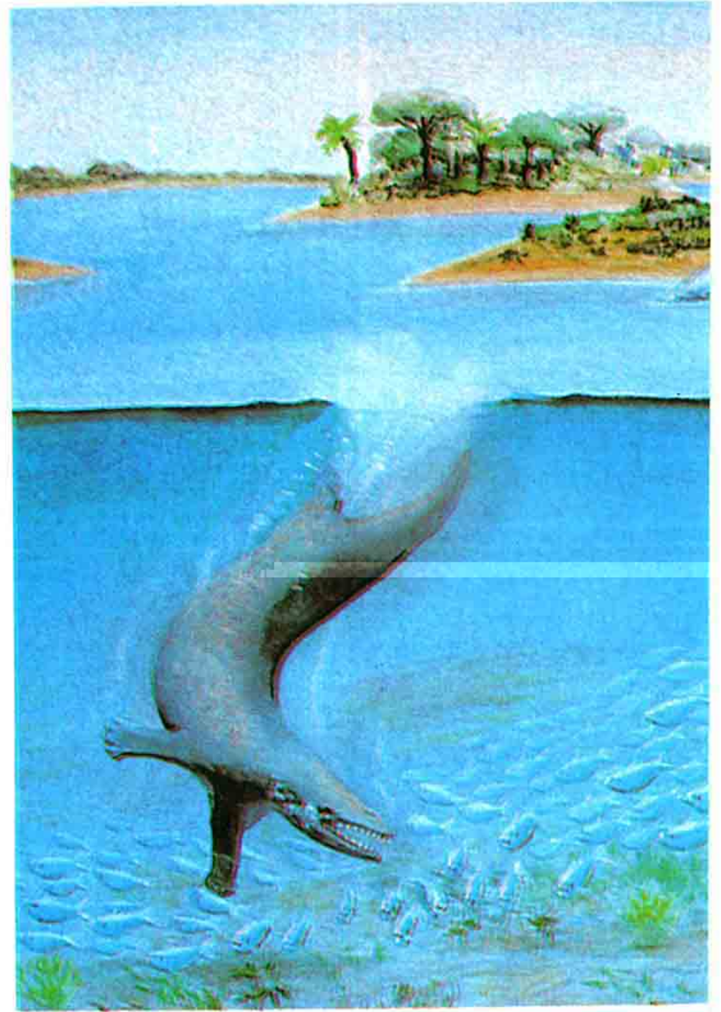
ومن أهم ما عثر عليه من العظام بين هذه المستحاثات هي (**الأذن الوسطى**) التي توجد بالقرب منها تماماً لتعطي الفرصة لإمكانية دراسة الجهاز السمعي بالكامل لهذا المخلوق دراسة دقيقة متمعّنة . وهنا يقول العالم (جينجيريخ) : «إن الجهاز السمعي للحوت الأول كان مماثلاً في تركيبه الجهاز السمعي للثدييات البرية أكثر من تماثله مع الجهاز السمعي للحيوانات البحرية ، ذلك أن **طبلة الأذن** eardrum لدى الثدييات البرية لا تستطيع القيام بوظيفتها تحت الماء ، ولكن الحيتان البحرية

(الحالية) تطوّر لديها على مرّ العصور جهاز سمعي مكيّف للعمل تحت الماء، ونحن نعلم أن عظام الأذن اليمنى عندهم منفصلة عن عظام الأذن اليسرى، الأمر الذي يمكّن الحوت من التعرف على اتجاه مصدر الصوت تحت الماء».

ويضيف الدكتور (جينجيريخ) قائلاً: «إن الجهاز السمعي للحوت الأول لم يكن مهيأ لتحديد اتجاه الصوت تحت الماء، وعظام الأذن الوسطى تدلنا على أنه كان لا يستطيع الغطس تحت الماء لأكثر من (٣٠) قدماً (القدم= ٣٥ سم)، ذلك أن تصميم الأذن لا يتحمل ضغط المياه على عمق كبير، بينما عظام الأذن عند الحيتان الحديثة تسمح لهم بالغطس إلى أعماق تزيد على الميلين، وهذه ميزة هامة وضرورية لحيتان اليوم.

ويبلغ طول الحوت الأول (الباكستيوس) حوالي (٧) أقدام ويزن حوالي (٣٠٠) رطل، (الرطل= ٤٥٣ غراماً)، واتساع فمه حوالي (١٨) إنشاً (الإنش= ٢,٥٤ سم) ويمتلك دماغاً صغيراً رغم أنه لم يكن مخلوقاً غبياً، وما يدلنا على تفكيره، مجازفته بالنزول إلى المياه للبحث عن الغذاء، الأمر الذي لم تفعله الثديات الأخرى المعاصرة له رغم كميات السمك الوفيرة في البحر. ويقول العالم (جينجيريخ) وهو يضحك: «يبدو أن طيب الغذاء هو كل شيء عند هذا الحوت، لأنه واصل توغّله في المياه يساعده جسمه الضخم، كما أنه وجد أن الحياة في المياه بدأت تروق له وأنها أمتع من الحياة على الأرض فاستطاب له المقام فيها.. وهكذا جاء اليوم الذي لم يعد فيه إلى الشاطئ أبداً».

ويضيف العالم (جينجيريخ) قائلاً: «يبدو الآن بعد هذا الكشف الكبير أن تتبّع نشأة الحيتان خلال الحلقة التي لم تعد مفقودة يعد من أمتع القضايا التي تعمل بها دراسات تطوّر الثديات.. ولعلّها من أمتع الأمور بالنسبة لي شخصياً».





فضاء space

آخر غروب لسفينة الفضاء فايكنج (١):

سفينة الفضاء **فايكنج (١)** Viking التي حطّت على **المرّيخ** Mars عام (١٩٧٦م) هي السفينة الفضائية الوحيدة التي بقيت تعمل على سطحه إلى الآن.. ولكن في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي وبعد (٢٢٣٨) يوم عمل توقّفت فجأة عن الاستجابة لمختبر (جيت بروبولچن) الأرضي الذي كان يتلقّى المعلومات منها راديوياً، ويبعد عنها بـ ٢٤٠ مليون ميل، وذلك بعد أن بُرمجت لتقدّم تقاريرها عن أحوالها على المريخ.. ويقول مدير المشروع العالم **(جورج جيانو بولوس** George Gianopulos): «إن الهدوء يلف الكوكب الأحمر.. وإنه كما يبدو أننا قد فقدنا صديقاً قديماً». والصورة لغروب مريخي صوّرته فايكنج (١) قبل سكوتها النهائي.

لوحة وفنان

لوحة : «بحث»

● الحلم .. والخيال .. والمرأة .. والواقع ، تلك هي المعطيات التي يرى من خلالها الفنان عثمان الخزيم ، رؤيته التشكيلية المتمثلة في لوحته المعروضة «بحث» .. والبحث هنا هو بحث في أعماق وأغوار الإنسان ، وفي أحاسيسه ووجدانه ، وفي صلته بالواقع المحيط به ، بما يتضمن من قيم وأخلاقيات وعادات وتقاليد ، وما يتضمن أيضاً من جماليات تنبثق من النفس والحلم ، .. ومن جماليات تشكيلية منها العناصر الزخرفية المستمدة من التراث الشعبي للمملكة المتمثلة في الزخارف المعمارية وفي الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية .

● يهدف الفنان من لوحته تحريك رؤية وعواطف المشاهد تجاه الإنسان والطبيعة ، والأشكال الجمالية الموجودة حوله ، أي أن يشارك الفنان في بحثه ، ويواصل بنفسه عملية البحث في الجماليات التي يزخر بها الواقع .

● لا تنتمي اللوحة المعروضة إلى مدرسة فنية أو تندرج تحت أسلوب معين ، لأنها نتيجة انفعال مباشر للفنان ، وهو يستخدم في تصوير انفعاله هذا الألوان بجرأة وتلقائية ، والأشكال التي يوحي بها خياله ، لكنه يستخدم تلك العناصر بمهارة يبرز من خلالها مقدرته التكنيكية في استخدام الألوان «أحبار ملونة» ، وأيضاً مدى استفادته من دراسته الأكاديمية التي تتضح من رسمه لرأس الفتاة في الجانب العلوي للوحة ، والتي تعطينا الإحساس الرومانسي .

● تشكيل اللوحة يعتمد على التناغم اللوني وما يحدثه من أثر في نفس المشاهد ، ذلك التناغم الذي يحقق النسيج العضوي في اللوحة ، ويربط بين الأشكال والزخارف وجميع العناصر والمفردات في اللوحة .. كما أن هناك تناغماً خطياً في العلاقات الرأسية والأفقية يحقق الاتزان في اللوحة ، بالإضافة إلى الاتزان الناتج من توزيع الكتل والمساحات وتناغمها .

الفنان عثمان الخزيم



● وُلد بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٥٥ م .

● حصل على دبلوم معهد التربية الفنية بالرياض .

● حصل على دبلوم التصوير من أكاديمية الفنون بإيطاليا .

● يعمل مهندساً للديكور بمحطة التلفزيون السعودي .

● يشرف على النشاط التشكيلي بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض ، واشترك في معارضها .

● مندوب الجمعية السعودية للثقافة والفنون في لجنة المعارض الخارجية



للفنون التشكيلية .

● اشترك في معارض دار الفنون السعودية ومسابقات الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، كالمعرض العام للمقتنيات . ومعرض الفن السعودي المعاصر ، والمعرض العام لمناطق المملكة .

● اشترك في معرض الكويت السابع والثامن للفنانين التشكيليين العرب .

● اشترك في معرض فناني الخليج العربي ببغداد .

● اشترك في مهرجان الشباب العربي الخامس بدمشق .

● اشترك في معرض الفن السعودي بألمانيا ، والأردن .

● اشترك في مهرجان الفنون التشكيلية بمدينة سوق أهراس بالجزائر . ومثل المملكة فيه مع الفنان سليمان باجبع عام ١٤٠٣ هـ .

● أقام معرضاً رباعياً مع زملائه الفنانين : ناصر الموسى ، سعيد العبيد ، فهد الربيعي .

● اشترك في كثير من المعارض والمسابقات التي أقيمت بإيطاليا أثناء فترة دراسته .

● فاز بالعديد من الجوائز وشهادات التقدير والميداليات في المعارض .

★ استخدام مبضع اللايزر في المجال الطبي .. حيث يحل محل المشرط الطبي العادي ★

اللايزر

في حياتنا

منذ أكثر من عشرين عاماً ، أبدع بعض علماء الفيزياء ، آلة قادرة على بث ضوء ذو قدرات غريبة . ولم يعرف أحد ـ لمدة طويلة ـ فيما يمكن استخدامها . لكن استخدامات هذه الآلة اليوم لا حد لها ، حتى أننا نتساءل عمّا إذا كان اللايزر غير قادر بالفعل على تغيير وجه العالم؟!!

إعداد: نبيل جهمي

التنقل البيفلكي (بين الأفلاك) ، حلم قديم من أحلام البشرية ، لكن التنقل بفضل اشعة اللايزر حلم ممكن التحقيق .. أو هذا على الأقل ما يؤمن به الدكتور [فيليب نورمان] المدير التقني لـ : PENINSULAR RESEARCH AND DEVELOPMENT FIRM ، فالمشروع جدي ، وخطوطه الرئيسية كما يشرحها الدكتور [نورمان] تبدو بسيطة للغاية : (لنتخيل السفينة الفضائية المنقصة بمضلتها البطاعدة عن طريق كابلات يبلغ طول كل واحد منها ثلاثين كيلومتراً ، قادرة على تحويل ضوء اللايزر المرسل من الأرض إلى طاقة دافعة ، فإن وزن السفينة البالغ الألف طن ، قادر ـ نظرياً على الأقل ـ على الانطلاق في الفضاء بسرعة قريبة من سرعة الضوء) !!.

★ شعاع اللايزر الموجه إلى القمر ، والمرتد إلى الأرض ★

★ التنقل «البيفلكي» بواسطة حزمة ضخمة من اللايزر مبثوثة من الأرض ★



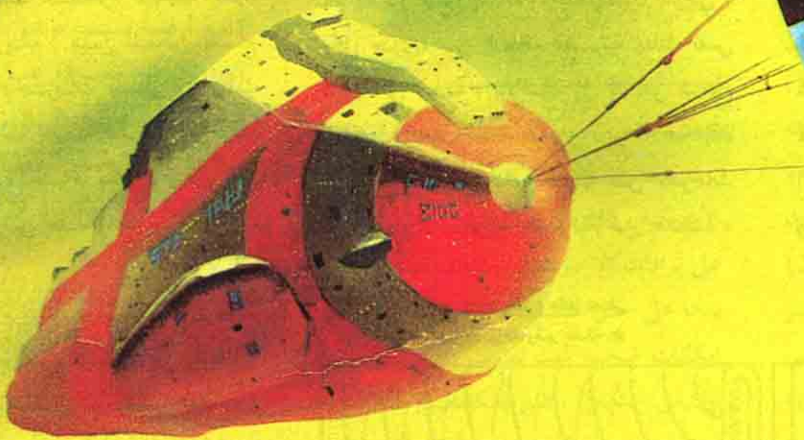
★ تشارلز هارد تاونس : مخترع اللايزر والمايزر ، والحاصل على جائزة نوبل سنة ١٩٦٤م ★

أدب الخيال العلمي

والمدة المتوقعة لتنفيذ هذا المشروع ؟؟ . . . عمّا قريب !! . . . ربما خلال ثلاثين أو عشرين عاماً . . أو قل ، من يدري ، فالتطور العلمي سريع ، وسريع جداً ، وبالذات فيما يختص باللايزر ، ذلك الشعاع الغريب ، الذي ولد أول ما ولد في المخيّلة التنبوئية لكتّاب الخيال العلمي ، قبل أن يصبح حقيقة علمية معترف بها .

ففي سنة ١٨٧٠ م ، كتب **« جول فيرن »** قصته **(عشرون ألف فرسخ تحت الماء)** وفيها يصف رفاق القبطان الغامض **(نيمو)** وهم يدافعون عن جزيرتهم العائمة ضد شعاع





يشبه البرق ، باعث على العمى والتخدير . أما في سنة ١٨٩٨ م ، فقد شد (**هربرت جورج ويلسن**) أنفاس ملايين القراء بكتابه (**حرب الأكوان**) الذي يروي فيه قصة سكان الكوكب (مارس) الذين دمروا الأرض بمدفعيتهم الضولونية . وإذا كانت الكتابة في أدب الخيال العلمي قد رسمت على شفاه رجال العلم في ذلك الوقت بعض الابتسامات الساخرة ، إلا أن العلماء ، اليوم ، وبعد مرور عشرات السنوات ، يأخذون فكرة الأسلحة الإشعاعية المحطمة والمميتة التي رآها ملايين المشاهدين في أفلام الخيال العلمي كـ : (**حرب الكواكب**) و (**الثقب الأسود**) بجدية تامة . ولكن لماذا ؟! فقط ، لأن البشرية تمتلك منذ الآن ، وبواسطة اللايزر ، أشعة أكثر قدرة على القطع من موسى الحلاقة ، وأكثر قوة من الصاعقة وأكثر حرقاناً من قلب الشمس ذاته .

البداية

تعود فكرة اللايزر الأولى إلى سنة ١٩١٧ م ، ويعود الفضل فيها إلى **عالم الفيزياء الشهير (ألبرت اينشتاين)** الذي كان يبحث وقتها في أصل الضوء حسب النظرية التالية : حين تمتص الذرات الطاقة الحرارية ، فإنها تخلخل توازن الكهيربات ـ أو إلكترونات ـ المحيطية . ولكي تعيد الذرات التوازن الطبيعي للكهيربات ، فإنه يتوجب عليها تحرير طاقة إضافية جديدة ، مما يؤدي إلى بث جزيئات ضوئية . ولأن تلك الظاهرة طبيعية فإن اينشتاين يفترض بأنه : من الممكن إنتاج (إشعاعات) أو (جزيئات ضوئية) وذلك « بتقشير » الكهيربات المحيطية للذرات . . لكنه يتراجع عن فكرته ، اقتناعاً بأنه لم يكن من الممكن التحقق من صدقها ـ أو علمه ـ تقنياً .

لكن ، وبعد مرور ربع قرن ، فإن **عالم الفيزياء الأمريكي (تشارلز هارد تاونس)** يعيد البحث في الفكرة . لذلك فهو يتخيل سنة ١٩٥١ م ، ويبدأ في سنة ١٩٥٣ م ، في تنفيذ ما يشبه المدفع الذي تصدر عن فوهته الذرات « مقشرة » محررة الإشعاعات الضوئية . ويسمى مدفعه [MASER] والأحرف اختصاراً للعبارة التالية :

[MICROWAVE AMPLIFICATION BY STIMULATION OF RADIATION] أي تضخيم الموجات الدقيقة بالبث المتواصل للأشعة . وبناء على هذه القاعدة فإنه يجهز مدفع ثان . لكن الأخير يقوم هذه المرة بتضخيم الضوء . ويتحصل على أول لايزر . ومن هنا يأتي الاسم المعروف [LASER] ، لأن الحرف (L) حل محل الحرف [M] اختصاراً لكلمة LIGHT الإنجليزية التي تعني الضوء .

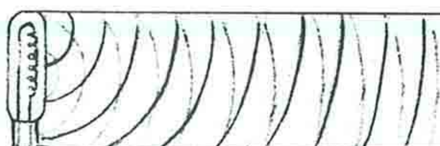
القاعدة الأساسية للنموذج الأصلي للايزر [تشارلز هارد تاونس] تختلف مظهرياً عن أجهزة اللايزر الصناعية المستعملة حالياً . فقد كانت الآلة تأخذ شكل مدفع ذو لعل (ياقوت أحمر) ، مركب حوله ، في شكل لولبي ، مصباح يشبه مصباحاً من [النيون] ، حيث يضاء المصباح لفترة قصيرة جداً بحيث يبدأ اللعل في الوقت تقريباً في بث إضاءة حمراء هي شعاع اللايزر الذي يمتلك قدرات خاصة جداً .

توجد عدة فروق بين الإضاءة العادية ـ طبيعية كانت أم صناعية ـ وبين ضوء اللايزر . فالأشعة الضوئية العادية تنتشر في كل الاتجاهات ، وتتوزع فوراً . في حين أن اللايزر يبث حزمة ضوئية مشعة وموحدة ، تتوازى فيها كل الأشعة آخذة نفس الاتجاه . بالإضافة إلى أن الإضاءة العادية مركبة من جزيئات ضوئية ذات طاقات مختلفة ، ومبثوثة على أبعاد مختلفة ، أما اللايزر فينتج إضاءة موحدة الطول الموجي ، وكل جزيء من الطاقة الضوئية يمتلك نفس الكمية من الطاقة ، بالإضافة إلى أن كل شعاع [ينبض] بمعدل ذبذبة متساوي . والخلاصة إذن هي أن الإضاءة العادية مركبة من موجات ضوئية مترجمة بطريقة عشوائية غير منظمة ، بعكس ذبذبة إضاءة اللايزر المبثوثة حسب طول معين وبقدرة موحدة . . لذلك فيمكننا القول إذن إن إضاءة اللايزر تعد إضاءة [ملتحمة] ـ إن صح التعبير ـ .

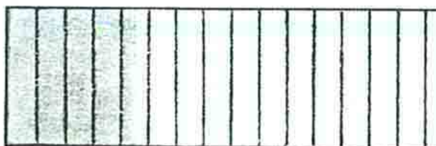
إن توجيه كل الطاقة المتواجدة في الضوء ـ الذي يشبه البرق ـ تجاه هدف معيّن ، **هي** في الحقيقة الفكرة الأصلية للايزر . فكل أشعة الحزمة الضوئية موجهة في نفس الاتجاه وكل الجزيئات ـ أو الحبيبات ـ الضوئية ذات طاقة متعادلة . وكل الموجات تتذبذب بنفس الطريقة . والنتيجة الطبيعية لهذا [التلاحم] هي التي تشرح كون الأشعة المخترقة لأشعة اللايزر أعلى وأقوى آلاف ـ إن لم يكن ملايين ـ المرات من تلك المتواجدة في الإضاءة العادية .

عرفنا إذن من خلال الأسطر السابقة أن اللايزر موجود بالفعل منذ سنة ١٩٥٣ م ، وأنه كان [نظرياً] فعّال تماماً ، لكنه ظل [عملياً] دون أية فائدة تذكر . فالإضاءة المتحصل عليها منه لم تكن قوية كفاية لاستعمالها في أي من التطبيقات الصناعية . . . كان اللايزر مجرد . . . (فضول علمي) . لذلك فقد ظلت آلة (تاونس) مركونة في معمله بمامي دون عمل ، حتى تمكّن **عالم الفيزياء الفرنسي (ألفرد كاستلير)** من اختراع ما يسمّى بمبدأ (**الضخ الضوئي**) . وقد ضاعف هذا الاختراع من إمكانات استعمال كل من **المايزر واللايزر** بحيث سمح لهما بإمكانات التصنيع التطبيقي الفعّال . لذلك ، وخلال سنوات عديدة ، بدأ اللايزر شيئاً فشيئاً من تغيير وجه الحياة ، ولم يتوقف منذها . وتوّج أخيراً مخترعه (**تشارلز هارد تاونس**) بجائزة نوبل في الفيزياء في سنة ١٩٦٤ م ، ـ (شاركه في الفوز بالجائزة كل من **العالمين السوفيتيين بوسوف وبروخوروف**) ـ ، ثم منحت نفس الجائزة

★ إضاءة مصباح عادي تعطي إضاءة موزعة وغير فعّالة ★



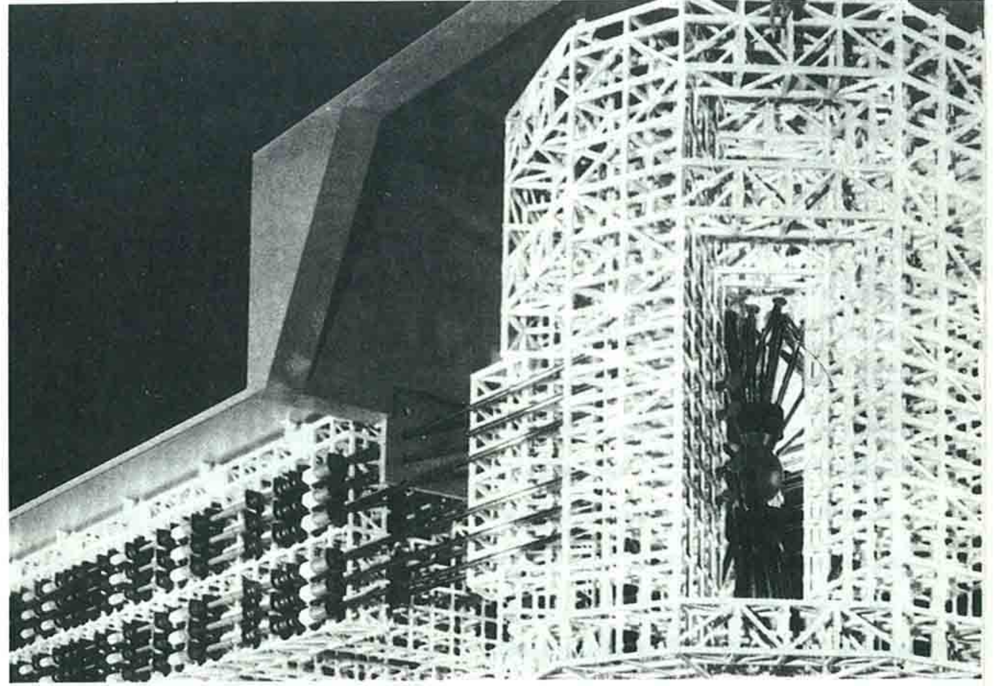
★ إضاءة أشعة اللايزر : معدل الذبذبة متساو والفرشة الضوئية لكل ذبذبة متلاحمة ★



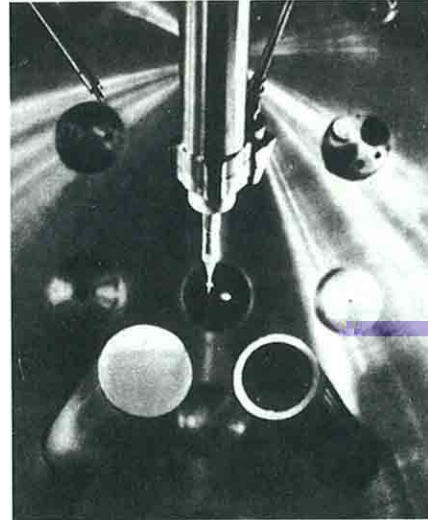
بعدها بسنتين إلى **عالم الفيزياء الفرنسي (ألفرد كاستلير)**.

لايزر في الصناعة

أول رجال الصناعة الذين أبدوا اهتماماً خاصاً بتطبيقات اللايزر هو الأميركي المهندس (ثيودور مايمان) من (HUGUES AIRCRAFT CORPORATION) الذي لم يتوان عن تسجيل براءة الاختراع باسمه الشخصي (!!!). استقال بعدها من شركته، ليعمل لحسابه الخاص، متخصصاً في تطبيقات هذه الصناعة المتقدمة. وقد اعتبر (مايمان) ــ عن خطأ ــ أب اللايزر حتى تم تحويل الأمر إلى القضاء الذي استمر فترة طويلة، وانتهى بكشف ادعاءاته. لكن، على أية حال، فإنه يعود إليه الفضل في فتح باب السوق أمام الشعاع المدهش منذ سنة ١٩٦١ م، هذا السوق



★ نموذج لمعمل «لورانس ليفرمور» بجامعة كاليفورنيا.. حيث بدأت تجارب SHIVE للحام ذرات الهيدروجين ★



الذي لا حدود فيه لتطبيق إمكانات اللايزر إلى ما لانهاية، وفي كل المجالات.

لايزر في الحرب

يؤخذ في الاعتبار أنه، في الولايات المتحدة الأميركية، للإدارة الفيديرالية الأحقية الشرعية على براءات الاختراعات. لذلك فقد وضعت يدها على حق استخدام اللايزر، ووضعت إمكانات ضخمة تحت تصرف الجيش الذي يعد أول من استعمل بعض إمكانات [اللايزر]، وحدث ذلك أثناء **حرب فيتنام**، فقد استعملته قيادة السلاح الجوي في توجيه **(القنابل الذكية)** على أهداف عديدة ومختلفة (جسور، مرافئ، مصانع ومدفعية الدفاع الجوي... إلخ).

أما اليوم، فإن أسلحة عديدة مصنوعة على قاعدة اللايزر لم تزل سرية جداً، (TOP SECRET)، لكننا نعرف مثلاً وجود بندقية، يستعملها رجال المشاة أثناء المناورات. وهذه البندقية غير مؤذية، فهي لا تقذف بإطلاقات مميتة (تبث أشعة لايزر غير مميتة) ويمكن مراقبة عملها عن طريق جهاز إرسال مركب عليها ومتصل بعقل إلكتروني مركزي. وأثناء المناورات، فإن البندقية ترسل إلى حاسبة العقل الإلكتروني، كلما مست أشعتها خصماً بإشارات معيّنة. أما الخصم فيعتبر في هذه الحالة (ميتاً) ويتوجب عليه العودة إلى قاعدته... والأمر ليس دائماً مجرد تظاهر بالحرب.. على العكس، لأنه، وعلى مسافة عدة كيلومترات، **فإن البندقية اللايزر قادرة على أن تصيب الخصم بالعمى ليلاً، ونهاراً أيضاً. والطريقة الوحيدة لتحاشي ذلك هي في لبس نظارات خاصة قبل المعركة**.

شرقاً وغرباً، تجرب القيادات العليا للجيوش أسلحة ضوئية (أو إشعاعية) مضادة للأفراد أو مضادة للدبابات أو في أغراض الدفاع الجوي. وتلك الأسلحة قادرة على القتل حرقاً، وعلى اختراق أغلظ المصفحات، وعلى تحويل الطائرات المطاردة إلى قطع صغيرة من المعدن. ولكنها مع ذلك تبق غير فعالة فعالية كافية أرضاً بسبب عاملي الغبار والضباب القادرين على مضايقة عمل الأشعة. لكن **يبدو أن مدافع اللايزر قد تشكل سلاحاً فعالا ضد القذائف والصواريخ الموجهة**. وبإمكاننا أن نتخيل السيناريو التالي:

ولو وضع مدفع لايزر ذو عيار كبير جداً، بواسطة إحدى الناقلات الجوية في المنطقة السكاكية (الهواء بين السماء والأرض في الجزء





★ استخدام شعاع اللايزر في حفر نفق مترو ميونخ ★

الأعلى من الغلاف الجوي)، فإن المدافع العادية (الأرضية) التي تحتاج إلى عدة ثواني لتغيير مواضعها لعدة كيلومترات، ستشكل بالنسبة لمدفع اللايزر أهدافاً ثابتة، فهو قادر على الضرب بسرعة تقارب سرعة الضوء (أي ما يعادل ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية الواحدة)، ولهذا، فإنه من الممكن ضرب الصواريخ ذات الرؤوس النووية حتى قبل مجرد دخولها المحيط الهوائي. ويمكننا تخيل الشيء ذاته في مطاردة الأقمار الصناعية ... إلخ.

[illegible]

إن استعمالات اللايزر فضائياً وجوياً ليست قصراً على الحرب والدمار. فاللايدر – (والكلمة مزج لكلمتي رادار ولايزر) – قادر، بصورة دقيقة جداً، على المساعدة في عمليات هبوط الطائرات دون رؤية. فالأشعة الضوئية المتجهة ناحية الأرض والمرتدة فيما يشبه الصدى، قادرة على مد قائد الطائرة بالمعلومات اللازمة، كمدى ارتفاعه عن الأرض.. إلخ، بل إن تجهيز طائرات التجسس والأقمار الصناعية المعدة لنفس الغرض يسمح بالتقاط صور في غاية الوضوح. ولدرجة إمكان تمييز آثار الأقدام على الجليد.

يستعمل اللايدر أيضاً لقياس المسافات، كقياس المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر، وبدقة تصل إلى حوالي الـ ٣٠ سنتيمتراً تقريباً. ويمارس الأمريكيون والروس هذه العمليات بصورة منتظمة. بل إن الروس جهزوا **القمر الصناعي (لوناخود)** بعاكسات لايزر مصنعة في فرنسا خصيصاً لهذا الغرض.. وواحد آخر من مفاخر اللايدر هو المتمثل في عمليات القياس المستمرة – بمساعدة عاكسات القمر الصناعي – لمدى الانحراف القاري بدقة بالغة تصل إلى ثلاثة أو أربعة سنتيمترات.

اللايزر والطاقة الذرية

ولكن هل سيسمح، أو يساهم، اللايزر في التحكم السلمي للطاقة الذرية ؟!

إذا صدقنا الاختصاصيين، فذلك أمر محتمل خلال الثلاثين سنة القادمة، وعلى أية حال، فإن الكبار من أعضاء **(النادي الذري)** مهتمين بهذا الموضوع، الذي يشغل البشرية جمعاء وذلك انطلاقاً من محورين للبحث: الأول:

هو فصل النظائر المشعة

أما الثاني:

فهو المتعلق بالتحام النوى الذرية، حيث تضع كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي في خدمة المشروع إمكانات ضخمة جداً. ويقوم بالأبحاث في الولايات المتحدة **معمل لورنس ليفرمور التابع لجامعة كاليفورنيا**. أما في الاتحاد السوفييتي فيتولى الأمر **معهد كورتشاتوف بموسكو**.

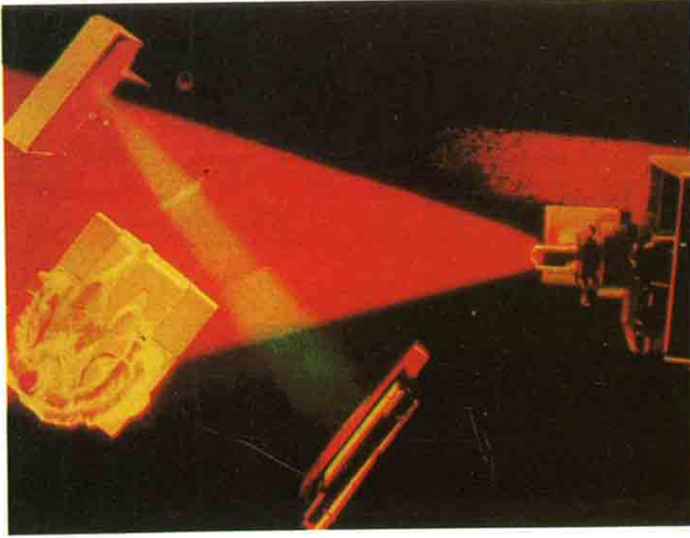
والالتحام الذري هو ما يحدث منذ انفجار **قنبلة من نوع هـ (كـ: هيدروجين)** فالتحام ذرات الهيدروجين – وليس انقسام الذرات الثقيلة – هو ما يحرر الطاقة المذهلة لنواة الذرة. وحتى الآن، كانت قنبلة ذرية وحيدة وصغيرة من نوع القنابل «أ» **(قنبلة هيروشيما)** قادرة على تحقيق ذلك الالتحام. أي أنها كانت (عود ثقاب) لقنبلة الحرارة النووية. أما بالنسبة لعلماء الفيزياء حالياً، فالحرارة الناتجة عن أشعة اللايزر يمكن أن تكون (عود الثقاب) المثالي للالتحام الذري السلمي والمراقب.

وإن كنا لا نعرف عن معهد كورتشاتوف سوى كونه في غاية الضخامة، فإن الأمريكيين أقل سرية. والمعلومات المتسربة بشأن قوة مجمع اللايزر [SHIVA] عديدة، ومن ضمنها التجارب الجارية ومنها تجميع عشرين شعاع لايزر وتسليطها على بلية (أصغر حجماً من ثقب الإبرة) من الكريستال محتوية على الهيدروجين.

وبمجرد إقفال الدائرة فإن كمية الغاز الصغيرة السجينة، تسلط لسلسلة من [الفلاشات] يبلغ عددها حوالي المليار في الثانية الواحدة، ومعطية لأكثر من مليون ميغاوات من القوة البصرية، لتصل أعلى درجة حرارة أمكن التحصل عليها بواسطة (SHIVA) إلى خمسين مليون درجة حرارية – (ما يعادل ثلاث مرات الحرارة الناتجة عن مركز الشمس) – لكن هذه الحرارة الجحيمية غير كافية بعد للالتحام. فالحرارة اللازمة لتحقيقه هي مائة مليون درجة حرارية. ويعتقد الباحثون بإمكانية التحصل عليها حوالي سنة (٢٠٠٠)، مما يسمح بالتفكير في إقامة مراكز لايزر للالتحام حوالي سنة ٢٠١٠ م. وعندها فقط فإن البشرية ستتحصل على مصدر للطاقة لا ينتهي.



★ في فيلم «الثقب الأسود» استعملت الهيئة العلمية اللايزر كسلاح فتّاك ★



★ التصوير المجسم (ذو الأبعاد الثلاثة: طول، عرض، عمق) أصبح أمراً واقعاً ★

اللايزر في كل مكان

منذ أن تم صنع آلة اللايزر الأصلية التي قام [تاونس] باختراعها و[مايمان] بتصنيعها، لم يتوقف اللايزر عن التنوع، والتطور والتخصص. وغيّرت الياقوتة المستعملة في الأصل، لتحل محلها أنواع أخرى من البلورات والمواد الكيماوية الجامدة أو السائلة، بل وبعض الغازات النادرة. أما ميزة **اللايزر الغازي** فتكمن في قدرته على البث المستمر، وليس المتذبذب، مما يعطي ما يجوز تسميته بثورة في مجال تقنية الاتصالات. فالموجات الضوئية المنبثة أسرع كثيراً من الموجات الراديوكهربائية وهي بالتالي قادرة على نقل كمية ضخمة من المعلومات، فالتركيبة الضوئية لشعاع اللايزر تسمح بتأمين وصول أكثر من ثلاثمائة ألف محادثة هاتفية، ونقل ما يقارب مائة برنامج تليفزيوني مختلف.

وباللايزر الملون فإنه من الممكن إقامة الاستعراضات الضوئية [LIGHT- SHOWS] ذات الجمال الغريب الذي يثير دهشة الجميع في جميع أنحاء العالم. فبقطع الأشعة عند نقاط معيّنة نتمكن من الكتابة، بل والرسم بالحزمة الضوئية على صفحة السماء. بل وبالإمكان ترميز اللايزر فيما يشبه إشارات (مورس) مما يتيح إمكانات لا حد لها، كنقش ذاكرة العقول الإلكترونية على أسطوانات معدنية. بالإضافة إلى **التسجيلات الموسيقية الدقيقة جداً**. حيث سيطرح في الأسواق في النصف الأول من سنة ١٩٨٣م، أسطوانات مسجلة باللايزر. وبالتالي أجهزة استعمال تلك الأسطوانات. بالإضافة إلى **استعماله علمياً في علم الآثار**. فالشعاع قادر على إعطاء عمر الآثار المسلط عليها. ومن الممكن استعماله في **طبع أوراق التصوير الحساسة القابلة للسواد في الضوء العادي، وإصلاح غلطات الآلة الكاتبة** (ودور اللايزر يكمن في تبخير الحبر دون أن يلمس الورقة المطبوعة).. ثم إمكانات استخدامه كمكشاف للتلوث، فرقة وتجانس وحساسية أشعته قادرة على كشف ذرة صغيرة مختلفة من بين مئات المليارات من جزيئات الأوكسجين.. وأخيراً وليس آخراً **إمكانية استخدامه كمرسمة ممتازة للطيف**.

وهو أيضاً **مساعد جيّد لمهندسي الخدمات العامة**، الذين يستعملونه باضطراد، وفي مختلف المجالات كما في **الطوبوغرافيا** (رسم الأماكن ووصف حالتها الطبيعية) **والتثليث** (مسح الأرض بالاستعانة بعلم حساب المثلثات تسهيلاً لرسمها).. إلخ.

أما في **الصناعة**، وبالذات في **الصناعة الميكانيكية الدقيقة**، فإن اللايزر جاهز ليحل محل المثقاب وبعض الآلات الأخرى.. وقد بدأ استعماله بالفعل في صناعة **الجوهرات**، وبالذات في نحت وتهذيب الماسات.

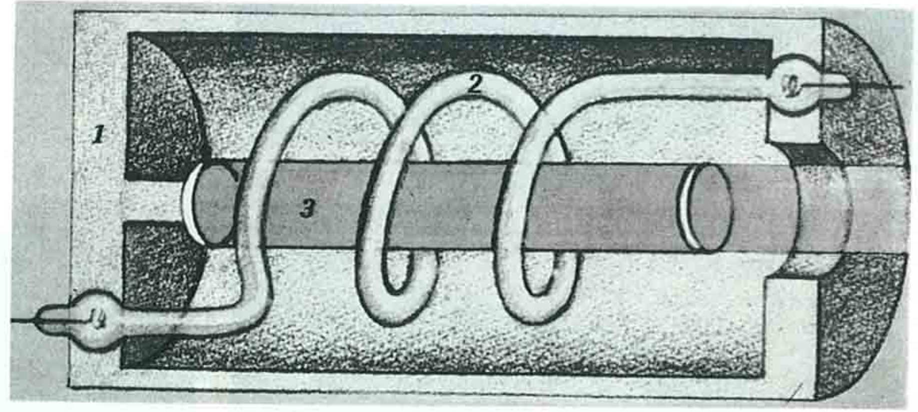
أما أول استعمالاته السلمية الحقيقية فهي في استخدامه كمشرط ضوئي في طب العيون وبالذات في عمليات شبكية العين. فمنذ سنة ١٩٧٤م، يستعمل المبضع لايزر أكثر فأكثر، وفي مجالات طبية أخرى، كطب الجلد، والأنف والأذن والحنجرة، بالإضافة إلى استعماله في طب أمراض النساء. فالشعاع المطهر تماماً (ودون استعمال المطهرات) قادر على خثر الأوعية الدموية، وقطع الأعصاب، ولحم القرنية، وحرق الثؤلول، ومسح الوشم واللطع الجلدية. بل إن ـ نادرة حتى الآن من ـ أطباء الأسنان يستعملونه في **علاج الأسنان دون ألم**.

في العشرين سنة الأخيرة، بدأ اللايزر في غزو حياتنا شيئاً فشيئاً، وما هذه سوى البداية. وبإمكاننا أن نتخيل دخوله، في السنوات المقبلة في محلات إقامتنا، كأداة من الأدوات المنزلية العادية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

في المجالات العلمية والفنية

في المجالات الفنية والعلمية، يتحدث كثيراً



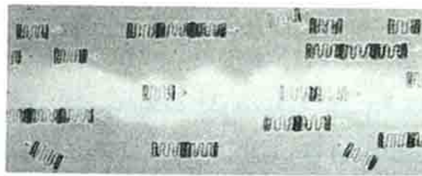


★ (١) في جسم الآلة . (٢) مصباح برقي ذو شكل حلزوني .
(٣) ياقوتة موجودة بين عدة مرايا ، تمتص الياقوتة الطاقة بمجرد الإضاءة ، بحيث تبدأ الذرات في النشاط وبث شعاع اللايزر ★

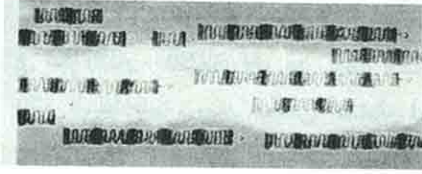
عن **التصوير المجسم** [HOLOGRAPHIC] أو التصوير بثلاثة أبعاد (طول ، عرض ، عمق) . وقد حوّل اللايزر هذا الحلم القديم إلى حقيقة واقعة ـ منذ سبع عشرة سنة ـ بفضل **عالمي الفيزياء الأمريكيين (ن . ليث) و (جوريس يوباتنيك)** . أما أول صورة مجسمة قاما بتنفيذها ، فتمثل قاطرة بخارية عرضت مجسمة أمام الجمهور المندهش أمام معجزة الضوء الجديدة . وهذا الاختراع المازج لفني النحت والتصوير معاً ، قادر على إعادة بناء الجسم بحيث يبدو مجسماً من مختلف الزوايا . فالصورة المجسمة تعلق في الفضاء ، وتُرى بطريقة مختلفة ، وذلك حسب الزاوية التي نراها منها ، أي أنه بإمكاننا في صور الأشخاص مثلاً ، أن نرى الوجه مجسماً حين نتطلع إلى الصورة مواجهة . أما خلف الصورة ، فإننا نرى الشعر والظهر . . فالصورة ليست مجرد إطار معلق على الحائط ، إنها إطار يتوجب الدوران حوله حتى نتمكن من رؤيته بصورة كاملة ، ولكننا غير قادرين على مسه . فتلك الصور ما هي إلا صور شبحية أو تقديرية .

والتصوير بمفهومه البدائي ـ أي طبع صورة منعكسة على شريط حسّاس ـ لا وجود له في التصوير المجسم .

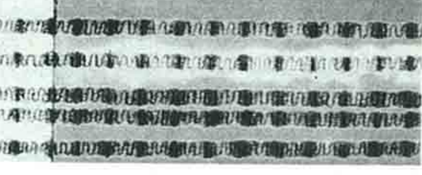
إن أشعة اللايزر تتوزع على الجسم المراد تجسيمه ، مما يتولد عنه تداخل حركتين متموّجتين من تردد واحد ، معطية في كل تردد شعاع لايزر جديد (منشطر عن الشعاع الأصلي) أو بصورة أبسط : تقسم حزمة اللايزر



★ (١) في ياقوتة مدفع اللايزر ، تبعث الذرات المُنشطة بجزيئات ضوئية تهرب في جميع الاتجاهات ★



★ (٢) الجزيئات المتوجهة نحو قطب الأسطوانة ترقد على المرايا وتجذب بدورها جزيئات أخرى ★



★ (٣) تتضخم الذبذبة مما يعطي فرشاة من الضوء الملوّن الملتحم الذي يخرج من الياقوتة بواسطة المرايا النصف شفافة ★

إلى جزءين ، الجزء الأول (وهو الجزء القياسي) يتجه مباشرة تجاه شريحة من [HOLOG-RAPHIC] تختلف قليلاً عن شرائح التصوير المستعملة في التصوير العادي . أما الجزء الثاني من الحزمة ، فيتجه ناحية الجسم الذي يقوم بتوزيع الإضاءة المنعكسة عليه على الشريحة بحيث تتداخل موجاته الضوئية مع الحزمة الأولى مُشكّلة مصدراً للتداخل يقوم بحفر الصورة المجسمة ، التي تصبح مرئية حين يتم تعريض الشريحة (بعد تحميضها) بالجزء القياسي ـ الأول ـ من الحزمة الضوئية .

رغم كون هذه العملية صعبة جداً ـ ظاهرياً على الأقل ـ إلا أنه ، في أقل من عشر سنوات ، يتوقع أن يصل عدد هواة التصوير المجسم رقماً خيالياً ، بل إنه يمارس في الولايات المتحدة الأمريكية منذ الآن تعليم التصوير المجسم في معاهد متخصصة . أما متاحف التصوير المجسم فتوجد بالفعل ، ولعل اهمها **متحف باريس** ، بالإضافة إلى أن إقامة المعارض الدورية لهذا الفن الجديد لم تتوقف . **وتفخر فرنسا بوجود أكبر صورة مجسمة في العالم فيها ، وهي صورة تمثال فينوس الشهير الذي نحته (ميلو)** ، التي يبلغ طولها ١٤٠ سنتيمتراً ، قام بتنفيذها المختبر البصري لمدينة بوزانصون .

إن هذا الفن ، الذي قد يميت فن التصوير الشمسي العادي ، يغري وكالات الإعلان بصورة كبيرة ، ولربما رأينا ذات يوم الإعلانات المجسمة تغطي حوائطنا ، وهذا ليس حلم آخر . ففي نيويورك بدأ تنفيذها بالفعل ، لأن واحداً من محلات المجوهرات الشهيرة بالافينو الخامس يعرض إعلاناً مجسماً كبيراً يمثل ذراع امرأة (تخترق) نظرياً واجهة المحل ، محلاة بالأختام والأساور . . إلخ . وبانتظار الدعاية المجسمة ، فإن الصناعيين بدأوا في استغلال التصوير المجسم في مقارنات تغير المواد ، وذلك باستعمال صورتين مجسمتين للمادة المعنية ، الأولى قبل بدء التجربة ، والثانية بعدها أو أثناءها . بالإضافة إلى أن مهندسي دول كثيرة يبدون اهتماماً خاصاً بتطبيق نفس مبدأ التصوير المجسم في صناعة السينما . ويبدو أن الروس قد حققوا في هذا المجال تقدماً كبيراً لأنهم صوّروا بعض الأفلام القصيرة المجسمة . فالجواب العلمي لمشكلة السينما المجسمة موجود فعلاً ، أما المشكلة فتقبع في وسائل العرض نفسها التي لم يتم بعد إخضاعها لإمكانات العرض التجاري . فقليل من الصبر ، لأنه لا شيء يوقف التقدم . والدليل ؟!

يتحدث علماء الفيزياء منذ الآن عن **التليفزيون المجسم** . . بفضل شعاع اللايزر .



رحلات تاريخية



رحلة ابن فضلان في بلاد البلغار..

خرج العرب من جزيرتهم في رحلات الفتوحات الكبرى ؛ وطافوا بأركان العالم الوسيط في آسيا وإفريقيا ، وجابوا البحار ودخلوا « **الأندلس** » واقتحموا « **جبال البرانس** » وتصايحوا بلغتهم وصلاتهم وأذانهم على الأبواب الجنوبية الغربية لـ « **فرنسا** » ونزلوا « صقلية » وحوّلوها إلى سلطانهم ، وأنشأوا علاقات تجارية جديدة مع البلدان التي فتحوها ، وأقاموا معها علاقات سياسية ، وسمعت الأمم الأخرى عن العرب ومهاراتهم في الطب والبناء والاستحكامات « **الحصون** » .

وإذا كان العرب قد نشروا الإسلام في « **إيران** » و « **الهند** » و « **شمال إفريقيا** » بفتوحاتهم ، فإن التجار نشروه في أقاليم لم يصل إليها الفاتحون في آسيا كالصين ، وفي إفريقيا كالسودان وعلى طول شاطئها الشرقي ، وكثيراً ما كانت هذه الأقاليم الجديدة تطلب بعثات دينية من بغداد ، تعلم الناس الإسلام وما شرَّعه الله لمصلحتهم في دنياهم وآخرتهم .

وكانت « رحلة ابن فضلان » من أوائل الرحلات التي تعد بعثة رسمية ، فقد طلبها « ملك البلغار » من « الخليفة المقتدر » . وابن فضلان هو أحمد بن عباس بن رشيد بن فضلان . ولد في أواخر القرن الثالث الهجري ، العاشر الميلادي في بغداد . تلقى علوم زمانه على أشهر علماء عصره ، عاصر الخليفة المقتدر ، وكان قريباً منه ، أوفده الخليفة سنة ٣٠٩ هـ ــ ٩٢١ م ، في بعثة رسمية إلى بلغار الفولجا ليعلمهم علوم الدين وفن الاستحكامات لما عُرف عنه من مهارة في هذا الميدان . يعتبر أول جغرافيي العرب الذين كتبوا عن الروس . أما بلاد البلغار فتقع في جنوب شرقي أوروبا ، وفي شبه جزيرة البلقان ، يحدها شرقاً البحر الأسود ، وشمالا رومانيا ، وغرباً يوغسلافيا ، وجنوباً اليونان ، وفي الجنوب الشرقي تركيا الأوروبية . عرفت المسيحية سنة ٨٦٥ م ، واختلط البلغار بالصقالبة ، واتخذوا لغتهم ، وفي القرن العاشر انهارت بلغاريا تحت وطأة هجمات بيزنطة بعد أن استعادت قوتها ، ولكن حاولت بلغاريا أن تستعيد مكانتها وصد هجمات أعدائها وسمع ملك البلغار عن الإسلام ، فبعث إلى الخليفة المقتدر ، يسأله أن يرسل إليهم من يعلمهم الإسلام وبناء الحصون ، فأرسل إليه الخليفة بعثة على رأسها « **أحمد ابن عباس بن رشيد بن فضلان** » سنة ٣٠٩ هـ ــ ٩٢١ م ، وقد قام بمهمته خير قيام .

ويُرْوى أن الإسلام كان ينتشر بين البلغار ، ويقال : إن سبب انتشاره فيهم هو أن مسلماً متطبباً دخل هناك « ربما هو ابن فضلان » ، وكان الملك وزوجته مريضين قد يُئِسَ من شفائهما ، فعرض عليهما الإسلام ، إن هو عالجهما من مرضهما ، فأجاباه : نعم ، فعالجهما ودخلا في دين الإسلام ، وأسلم معهما أهل تلك البلاد .

ويقول « **جرجي زيدان** » في « **تاريخ التمدن الإسلامي** » : إن عشرة آلاف خيمة قد أسلمت في يوم واحد ، وقام « ابن فضلان » بتعليمهم قواعد الإسلام وعمارته ؛ حيث شيد لهم أول مسجد بين بلغار الفولجا ، وعلمهم بناء الحصون وفن الاستحكامات ، وبعد مدة عاد إلى بغداد ، فوضع كتاباً في وصف رحلته إلى القوم ، وألم إلماماً دقيقاً بأحوالهم وعاداتهم ، وبكل ما بديارهم من مظاهر الحضارة والعمران ، ونشر بعض المستشرقين هذا الكتاب أو هذه الرسالة في القرن الماضي ، ومما يذكر في هذا الخصوص :

« يوجد في أرض البلغار من عظام قوم عاد ، السن الواحدة عرضها شبران ، وطولها أربعة أشبار ، ومن رأسه إلى منكبه خمسة أبواع ، ورأسه مثل القبة العظيمة ، وهو هناك كثير ، وتوجد تحت الأرض أنياب الفيلة ، والناب أبيض كالثلج ، ثقيل كالرصاص ، الواحد منها مَنٌ « المن نحو رطلين » وأكثر وأقل لا يدري من أي حيوان هو ، يُقْطَع ويُحْمل إلى « خوارزم ، وخراسان » وتتخذ منه الأمشاط والحقاف وغير ذلك ، مثلما يُتَّخَذُ من العاج ، وهو أقوى من العاج لا ينكسر » .

ولم يصف « ابن فضلان » شعب البلغار وحده ، بل وصف أيضاً الخزر والروس ، ومما قاله عن الروس :

« رأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم ، فنزلوا على نهر « آتك » « الفولجا » ، ولم أر أتم أبداناً منهم ، كأنهم النخل ، شقر حمر ، لا يلبسون الفراطق « القمصان » ولا الخفاتين « نوع من الثياب » ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ، ويخرج إحدى يديه منه ، ومع كل واحد فأس وسكين وسيف . . . وكل امرأة منهم على ثديها حق مشدود من حديد أو من نحاس أو من فضة أو من ذهب على قدر حال زوجها » .

وتعد هذه الرحلة أيضاً رمزاً لرحلات العرب في أوروبا ، كما سبقها رحلات في آسيا ، وهي تدل على رغبات مختلفة في نفوس الأفراد والجماعات للضرب في مجاهل الأرض ، واكتشاف ما وراء العالم الإسلامي من أمم وشعوب وأحوال عمران .

البحث عن القرار المناسب ..

لكل إنسان أو مجموعة من البشر في شتى قضايا الحياة أهداف ومصالح يسعون إلى تحقيقها بما لديهم من وسائل وقدرات . وتتباين هذه القضايا في حجمها وأهميتها وفي عدد الأفراد أو الجماعات المؤثرة والمتأثرة بها ؛ فمنها ما يشمل العالم بأسره ، ومنها ما يؤثر في مجموعات محدودة من البشر ، ومنها أيضاً ما يتعلق بالعلاقات اليومية بين الأفراد . وقد تختلف قضايا الحياة هذه في طبيعتها ؛ من سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية أو علمية . وتكون توجهات الأحداث في أية قضية كانت تبعاً لحصيلة ما يجري من تفاعل أو صراع بين الأطراف المتعلقة بها ، حيث يسعى كل طرف نحو توجيه الأحداث بالاتجاه الذي يصل به إلى غايته المنشودة .

وقد دأب الفكر البشري عبر الزمن على وضع القواعد والأسس لدراسة مثل هذه القضايا ، وقد اعتاد الكثير من العلماء والمفكرين على تمثيل أي من هذه القضايا على هيئة لعبة تتكون من لاعبين ، ووسائل لعب ، وأساليب لعب وتوجيه لأحداث اللعبة . فاللاعبون هم الأطراف المؤثرة والمتأثرة بالقضية أو اللعبة ، ووسائل اللعبة هي المعطيات المتاحة لكل من اللاعبين ، أما أساليب اللعب فهي مهارات كل لاعب في استخدام وسائله لتوجيه الأحداث وفق ما يريد . فلعبة الشطرنج مثلاً هي تمثيل لصراع بين طرفين لكل منهما وسائل ذات قدرات متشابهة هي أحجار الشطرنج ، ويعتمد توجه الأحداث في هذه اللعبة على الأساليب التي يتبعها كل لاعب ؛ وتأتي النتائج عادة في صالح اللاعب صاحب الأسلوب الأفضل .

وقد كانت **لعبة الشطرنج** التي ظهرت منذ مئات السنين ، من أوائل اللعب التي وضعت لتمثل حالة حرب بين دولتين ، وكان لهذه اللعبة دور في فهم وتطوير أساليب التخطيط للمعارك ، وقد شهد القرن الثامن عشر تزايداً في استخدام فكرة اللعبة في وضع الخطط ودراسة الأساليب الممكن اعتمادها في المعارك المحتملة ، ومع **الحرب العالمية الثانية** أصبحت هذه الفكرة هي القاسم المشترك في دراسة مختلف التحركات السياسية والعسكرية ذات الأهمية الحيوية ، ومنذ ذلك الوقت وخصوصاً في السنوات العشر الأخيرة حدثت قفزات كبيرة في استخدام فكرة اللعبة في مختلف مجالات الحياة ، وقد جاء ذلك نتيجة تضافر علوم كثيرة في تطوير استعمال هذه الفكرة وفق منهجية عامة صالحة للتطبيق على العديد من المسائل .

وأهم العلوم التي عملت على وضع القواعد والأسس لدراسة قضايا الحياة باستخدام فكرة اللعبة ، الرياضيات وبحوث العمليات التي تستخدم الوسائل العلمية في تحليل ودراسة الأنظمة المختلفة . **وهناك الآن نظرية علمية ، تتزايد أهميتها في التخطيط والبحث وصناعة القرارات ، تدعى بنظرية اللعبة ، وتشمل تطبيقات هذه النظرية دراسة الأسواق التجارية ، والخطط العسكرية ، والقرارات السياسية ، والتفاعلات الاجتماعية ، والمسائل العلمية ، وطرق التعليم ، ومشاكل الحياة اليومية** . وغاية هذا البحث هو إعطاء صورة مبسطة عن هذه النظرية وكيفية استخدامها والاستفادة منها .

قواعد أساسية

لدراسة أية قضية وفق مبادئ نظرية اللعبة لا بد أولا من جمع كل ما يمكن من معلومات وحقائق عن كل جوانب تلك القضية . فغياب بعض من هذه المعلومات قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى بناء القرارات على أسس خاطئة وهذا ما يجب تجنبه ، ولا بد بعد ذلك من استخدام هذه المعلومات في وضع الهيكل العام للقضية المطروحة بما يشمل أطراف المشكلة ووسائل كل طرف وأهدافه المحتملة .

وبعد بناء هيكل اللعبة يجب العمل على دراسة كافة القرارات المتاحة لجميع اللاعبين أو الأطراف المشاركة في اللعبة ، ثم ومن خلال ذلك يجب تحديد النتائج المتوقعة عن كل مجموعة من القرارات التي يتخذها مختلف اللاعبين ، ويتناسب عدد النتائج المتوقعة عادة مع عدد اللاعبين وعدد القرارات المتاحة لأي منهم ، فأي تغير في قرار أي من الأطراف المشاركة يؤدي إلى نتيجة جديدة حتى وإن لم يختلف [illegible] الأطراف ، ويزداد مدى تغير النتائج في مثل هذه الحالة تبعاً لفاعلية وسائل اللاعب ومدى تأثيره في اللعبة .

وتجري بعد ذلك عملية مفاضلة بين النتائج المحتملة لاختيار أقربها إلى الأهداف المنشودة ، وتوضع النتائج المحتملة هذه في قائمة أولويات تبدأ بالنتائج الأكثر تناسباً مع الأهداف وتنتهي بالاحتمالات غير المرغوبة ، وتكون عملية المفاضلة هذه سهلة واضحة المعالم في حالة وضوح الأهداف لدى الطرف أو اللاعب الباحث عن القرار السليم .

لكنه يحدث في كثير من الأحيان أن لا يعرف مثل هذا اللاعب ما يريده بالتحديد ، أو ان لا ترضي أي من النتائج المحتملة غايته المرجوة ، عندئذ لا بد له من أن يحاول تحديد ما لا يريد كي يستبعد في قراره أكثر النتائج ضرراً . وتجدر الملاحظة هنا أن المفاضلة الواضحة للنتائج المحتملة

بقلم: د. سعد الحاج بكري

ونظرية اللعبة

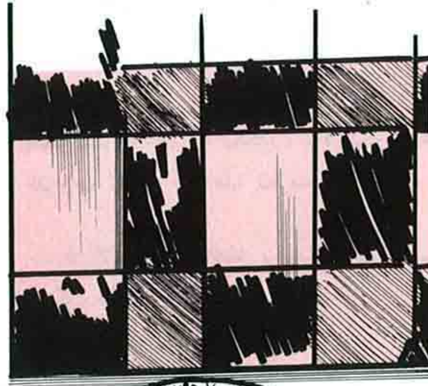
في نظرية اللعبة هي معظم الطريق نحو اتخاذ القرار السليم.

وقد تأتي نتيجة المفاضلة أحياناً رغبة في استبعاد كافة النتائج المحتملة لأنها تسبب خسارة وأضراراً متقاربة المدى، ويكون القرار السلم في مثل هذه القضية أو اللعبة هو محاولة الانسحاب من اللعبة كلياً أو جزئياً، بانتظار معطيات جديدة، وقد تشمل هذه المعطيات الحصول على معلومات جديدة أو إيجاد الوسائل التي ربما تغيّر من هيكل القضية المطروحة والنتائج المحتملة لها.

ولتوقيت القرار أهمية كبيرة في نظرية اللعبة، فقد يكون من المناسب في بعض الحالات الانتظار وتأخير القرار لمعرفة ما ستكون عليه قرارات عدد من الأطراف أو اللاعبين الآخرين، فذلك يؤدي إلى حصر عدد النتائج المحتملة وبالتالي يسهل عملية اختيار القرار السليم، ولا بد في مثل هذه الحالة من محاولة إيجاد الأسلوب المناسب الذي يضمن تأخير القرار وكسب الوقت.

وقد يتطلب القرار في حالات أخرى مبادأة سريعة لا تحتمل التأخير، والهدف في هذه الحالات هو محاولة فرض موقف معيّن على الأطراف الأخرى، ويحدث مثل ذلك غالباً عندما يكون لعنصر المفاجأة أهمية خاصة في القضية المطروحة.

ولربما يخطر على بال البعض، أنه لا مكان في نظرية اللعبة للعواطف الإنسانية بسبب التركيز الشديد على الحسابات العقلية، وذلك في الحقيقة غير صحيح، فإذا كان القرار في النهاية يعتمد على دراسة القضية أو اللعبة من مختلف جوانبها، فهو يعتمد أيضاً على الأهداف التي يسعى إليها اللاعبون أو أطراف اللعبة. وتختلف طبيعة الأهداف تبعاً لعواطف وأخلاقيات كل طرف. فمنها ما يكون ذو اتجاه إنساني عادل ومنها ما يكون، عكس ذلك،





عدوانياً يسعى إلى الاستغلال لتحقيق مصالح غير أخلاقية. فنظرية اللعبة هي وسيلة لاتخاذ أفضل القرارات الممكنة ضمن معطيات القضية وأهداف أصحاب العلاقة، فهي خادم أمين، تجنب مستخدميها الخطأ وتقدم إليهم ما يسعون إليه من نتائج.

وقد تكون خير وسيلة لتوضيح فوائد نظرية اللعبة وكيفية تطبيقها، هي في مناقشة ما يمكن أن تؤديه هذه النظرية في قضية من قضايا الحياة اليومية. والقضية المختارة هنا مألوفة لدى الكثير من الناس في مختلف أنحاء عالمنا المعاصر، من لم يقع فيها ربما سمع بمثلها. ولهذه القضية مرحلتان،

يصل الباحث عن القرار المناسب في المرحلة الأولى إلى نتيجة معيّنة وفق معطيات وأهداف محددة، لكنه يقوم بتغيير قراره بعد ذلك في المرحلة الثانية عندما تتكشف له معطيات جديدة تؤدي إلى اختلاف أهدافه.

أعرف انه سارق.. ولكن..!

تعرف (**مازن**) المتخرج حديثاً من كلية التجارة على الأستاذ (**كامل**) المدير العام لإحدى المؤسسات الكبرى، وكان مازن يبحث عن عمل، وكانت فرصة مناسبة أن يسأل في ذلك هذا الأستاذ الكبير، وكان كامل متجاوباً جداً في هذا الموضوع لما رأى في مازن من حيوية ولمحات ذكاء تلمع في عينيه. وهكذا حصل مازن على وعد بتأمين عمل مناسب في المؤسسة الكبيرة.

وبدأ الشاب عمله وكان عند حسن ظن مديره يؤدي ما يطلب إليه بسرعة وفاعلية، ولم تمض أشهر قليلة حتى اختاره الأستاذ مديراً لمكتبه وأفسح له مجال العمل الإضافي ومنحه المكافآت المالية وأحسن معاملته.

وكان مازن سعيداً بما وصل إليه مخلصاً لعمله ولرئيسه، يحاول أن يثبت كل يوم أنه جدير بمركزه، لكن هذه السعادة لم تدم، فقد بدأ يلاحظ أن مديره يستغل منصبه، ويقبض الرشوة من الوسطاء وأصحاب المشاريع؛ ويقوم أيضاً بتزوير قوائم مصروفات مؤسسته بما يضمن له سرقة جزء منها.

صُدم مازن باكتشاف هذه الحقائق، لكنه لا يستطيع أن يكذب ما يقرأ وما يسمع كل يوم، واحتار المسكين في أمره.. ماذا يفعل.. وكيف يبحث عن القرار السليم.

وعلى ذلك اختار مازن أن يلجأ إلى قواعد

البحث عن القرار المناسب ونظرية اللعبة

نظرية اللعبة في بحثه عن ما يريد ، وكان لا بد له أولا من أن يحدد الهيكل العام للقضية . فهذه القضية أو اللعبة هي عملية سرقة ذات ثلاثة أطراف ، هي : الأستاذ كامل ، السارق ؛ والدولة ، حامية القانون ؛ والشاب مازن الممزق بين إخلاصه لمديره الذي مد له يد المساعدة وبين رفضه للعمل غير المشروع .

وكان أمام الطرف الأول في القضية وهو السيد المدير العام خياران ، أولهما أن يكون مخلصاً ويقوم بعمله بأمانة وشرف ، وفي ذلك رضى النفس وراحة الضمير ، ولكن فيه أيضاً قبول بدخل محدود هو راتبه الشهري فقط . وثانيهما : ان يكون لصاً يبحث عن السرقات والرشوة ، وهذا وإن أدى إلى تعذيب النفس وتأنيب الضمير ، فهو يؤدي أيضاً إلى توفر المال وزيادة الممتلكات . وقد حدد الأستاذ كامل قراره واختار أن يكون لصاً واتجه نحو العمل غير المشروع في سبيل المال . هذا ما يعرفه مازن وما يعرفه أيضاً أصحاب الأموال الذين تعاملوا مع السيد المدير .

أما فيما يتعلق بالدولة ، وهي الطرف الثاني في هذه القضية ، فالمفروض أن هدفها في مثل هذه المسائل واضح وجلي ، وهذا الهدف هو الكشف عن المخالفات ومعاقبة مرتكبيها بما يحكم القانون ، لكن ذلك لا يتحقق إلا بعد أن تتوفر المعلومات وتتواجد الشكوك ، وتجرى التحريات ، وقد تأتي المعلومات عن السارق في القضية المطروحة عن طريق مازن أو بواسطة أشخاص آخرين تسرب إليهم ما يجري وراء الأبواب الأنيقة . وقد يحدث أن لا تصل المعلومات على الإطلاق وأن يفوز السارق بما يريد . وعلى ذلك فالمتوقع من الدولة في هذه القضية احتمالان اثنان هما :

* أن تعرف ما يجري وتقوم بالتحقيق لمنع العمل غير المشروع ومعاقبة مرتكبيه .

* أن لا تعرف ما يجري وبالتالي أن تمضي الرشى والسرقات بدون عقاب .

والطرف الثالث والأخير في اللعبة وهو الشاب مازن ، حائر في أمره ، يعرف أن مديره سارق لكنه يشعر أيضاً أنه مدين له بالكثير ، والاختيارات أو القرارات المتاحة أمام هذا الطرف ثلاثة هي :

* الاستمرار في العمل وخدمة السيد المدير بالشكل المألوف كأن شيئاً لم يكن .

* الاستقالة وترك العمل .

* إبلاغ الدولة عن العمل غير المشروع .

ويؤدي أي من هذه القرارات إلى نتائج ، تبعاً لما يمكن أن تكون عليه أوضاع بقية الأطراف . فالنتائج التي يحتمل أن تحصل في حال تبني القرار الخاص بالاستمرار في العمل هي :

* أن تكون الدولة قد عرفت بما يجري أو ان يتم إبلاغها بعد ذلك عن طريق أحد المتعاملين مع السيد المدير ، ويؤدي هذا إلى محاسبة مازن مع مديره لأنه يكون قد أصبح جزءاً من هذه المخالفات بسبب استمراره في خدمة المخالف والتستر عليه ، وهذا أسوأ ما يمكن أن يحصل لمازن .

* أن تظل الدولة جاهلة لما يحدث وبالتالي أن يبقى المدير متمتعاً بمركزه وسرقاته وخدمات مازن ، وهذا أفضل ما يناسب السيد المدير .

أما فيما يتعلق بقرار الاستقالة وترك العمل ؛ فيؤدي هذا إلى نتيجة واحدة هي انسحاب مازن من اللعبة ، وليكن بعد ذلك ما يكون . وهذه النتيجة هي الحل الوسط بين الاستمرار في خدمة المدير والتورط معه وبين إبلاغ الدولة عن مخالفاته .

ويؤدي قرار إبلاغ الدولة عن العمل غير المشروع إلى نتيجة محددة هي إجبار المدير على مواجهة العدالة وسقوطه من مركز المسؤولية الأول في المؤسسة الكبرى ، وقد استبعد هنا احتمال ربما كان قائماً في بعض الأحيان في مثل هذه القضايا ، وهو أن يكون للسيد المدير نفوذ كبير يتجاوز الدولة وقوانينها ، فالقضية المطروحة هنا تعتمد على ما يجب أن يكون من أن الدولة هي الأم الحنون التي تحمي كل الأبناء كبيرهم وصغيرهم وفق مبدأ العدالة فوق الجميع .

هناك إذن أمام مازن أربع نتائج محتملة ، ولا بد لاتخاذ القرار المناسب من تحديد الأهداف بوضوح والمفاضلة بين هذه النتائج لاختيار أقربها إلى تحديد الأهداف ، وأمام هذا الوضع ، شعر مازن أنه بالرغم من استنكاره لمخالفات مديره فهو مدين له بفضل يجب أن يرده إليه . وعلى ذلك حدد غايته في اللعبة بالتستر على المدير مع عدم توريط نفسه بالعمل غير المشروع . وانطلاقاً من هذه الغاية أجرى مازن عملية مفاضلة بين النتائج المحتملة واختار منها نتيجتين مقبولتين لديه ونتيجتين يجب تجنبهما . والنتيجتان المقبولتان هما :

● أولا : الاستمرار في خدمة المدير ، إذا كانت الدولة جاهلة بما يجري .

● ثانياً : الانسحاب من اللعبة .

أما النتيجتان الواجب تجنبهما فهما :

★ أولا : وضع المدير في مواجهة العدالة .

★ ثانياً : الاستمرار في خدمة المدير والتورط معه في كل شيء .

والقرار الذي يمكن أن يؤدي إلى النتيجة المقبولة الأولى هو البقاء في العمل إلى جانب المدير . لكن هذا القرار ، كما أوضحت المناقشة السابقة ، ربما يقود أيضاً إلى النتيجة الثانية المرفوضة ؛ وعلى ذلك فلا بد من استبعاده .

أما القرار الذي يؤدي إلى النتيجة المقبولة الثانية فهو الاستقالة وترك العمل ، وليس لهذا القرار محاذير أو نتائج يجب تجنبها . إذن فهذا هو القرار المناسب ضمن المعطيات والأهداف المنشودة .

معطيات جديدة

عزم مازن أمره على الاستقالة وترك العمل ومضى إلى رئيسه يبلغه بذلك . ابتسم الأستاذ كامل ونظر إلى مازن نظرة استغراب وتساؤل ممزوجة بالشك بأن هذا الشاب قد بدأ يلاحظ ما يجري حوله . وفي محاولة لإقناع مازن بالعودة عن استقالته راح السيد المدير يثني عليه ويذكره بما خصه من اهتمام وما أعطاه من صلاحيات ومسؤوليات وما يمكن أن يقدم إليه في المستقبل .

لكن مازن أصر على الاستقالة ، وأمام ذلك أدرك الأستاذ كامل أنه لا بد أن يكون الحديث أكثر صراحة لوضع النقاط على الحروف . وهنا أخذ المدير يتكلم مقدماً الأعذار وشارحاً المبررات التي تجعل من الرشى والسرقات عملاً مقبولا يقوم به كل ذو فطنة وذكاء في هذا العصر عندما يتاح له ذلك . ثم قام المدير بتقديم عرض محدد إلى مازن بتخصيص جزء من الرشى والسرقات له ، مقابل استمراره في العمل وفق ما تقتضي المصلحة .

خرج مازن من غرفة رئيسه والكلمات التي سمعها تهز وجدانه . وشعر أن الأستاذ كامل حاول ويحاول أن يضعه في مصيدته بأسلوب ظاهره الرعاية وباطنه الاستغلال ، وأن هذا الأستاذ قد وصل به الآن إلى مرحلة بات يطالبه فيها بالتخلي عن المبادئ الإنسانية ونسيان شرائع الحق والعدالة ومخالفة قوانين الدولة . كل ذلك في سبيل وثن جديد يعبده المدير ، ألا وهو .. المال .

وكان لا بد لمازن بعد هذه المعطيات الجديدة من أن يعيد النظر بالأهداف التي وضعها لنفسه والقرار الذي توصل إليه ، فقبل هذه المعطيات ، كان يريد التستر على المدير رداً على أفضال هذا المدير عليه . لكن ظهر الآن أن المعاملة الحسنة التي تلقاها لم تكن إلا مرحلة إعداد له كي يكون مخلباً من مخالب الأستاذ في نهب الأموال . ولئن كان الظن في البداية أن للمدير وجه كريم أحياناً يخفف من سيئات وجه الجشع فيه ، فقد بان الآن أن ذلك الوجه الكريم كان مصطنعاً ، وأنه لم يكن إلا وسيلة لخدمة وجه الحقيقة القبيح .

وعلى ذلك حدد مازن هدفه الجديد في أن المذنب يجب أن ينال جزاء عمله . ومن أجل تحقيق هذا الهدف عاد مازن إلى وضع ترتيب جديد للنتائج المحتملة . فالنتيجة المرغوبة الآن والتي كانت مرفوضة سابقاً هي : وضع المدير في مواجهة العدالة .

والقرار الذي يؤدي إلى هذه النتيجة دون نتائج أخرى محتملة في القضية المطروحة هو إبلاغ الدولة عن العمل غير المشروع .

ولتوقيت هذا القرار هنا أهمية خاصة ، إذ لا بد من تنفيذه فوراً لمنع المدير من اتخاذ الاحتياطات المضادة كمغادرة البلد أو اختفاء الوثائق . وهكذا اتجه مازن دون انتظار إلى أقرب مركز أمن ليدلي بدلوه ويريح ضميره .

لاعب المستقبل

ليست قصة مازن مع رئيسه بالقضية النموذجية التي تطبق فيها كل جوانب نظرية اللعبة ، لكنها مسألة مبسطة توضح على الأقل كيفية استخدام منهجية اللعبة في البحث عن القرار السليم . وكثيراً ما تطبق هذه النظرية على قضايا معقدة تتكون من العديد من الأطراف والمراحل ، ويكون أمام كل طرف اختيارات كثيرة في كل مرحلة تؤثر على جميع الأطراف الأخرى . وعلى ذلك يتطلب اتخاذ القرار في مثل هذه القضايا جهداً كبيراً في دراسة كافة الاحتمالات .

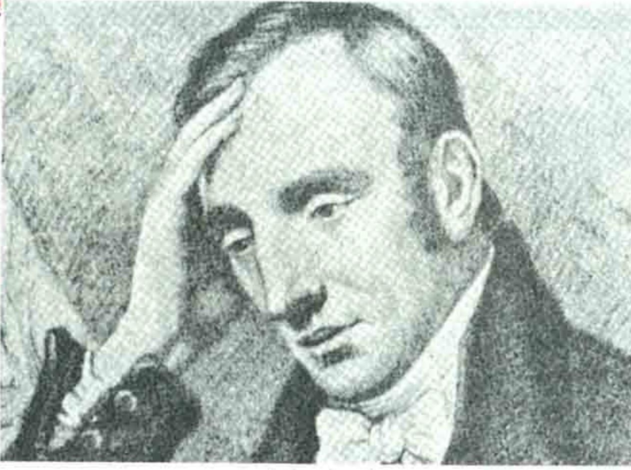
ويقوم الخبراء في مواجهة القضايا المعقدة بالنظر إلى جوانبها المختلفة وفق قواعد تحليل الأنظمة ، ويتطلب ذلك في كثير من الأحيان استخدام أسس نظرية الاحتمالات وقواعد المحاكاة والتمثيل ، ووضع العديد من المعادلات والجداول الرياضية ، ويساعد الحاسب الآلي اليوم في إجراء العديد من العمليات وفق متطلبات أساليب التحليل والدراسة ومنهجية نظرية اللعبة .

وهذا الحاسب قادر على تخزين كميات كبيرة من المعلومات ؛ ويستطيع أيضاً استخدام هذه المعلومات وفق أي أسلوب يطلب إليه أن يتبعه ، ويوضع الأسلوب المطلوب عادة على هيئة برنامج عمل يقوم الحاسب بتنفيذه بسرعة هائلة ، وقد يتغير العمل المطلوب تبعاً للأهداف ، ويمكن للحاسب أن يستجيب لمثل ذلك عن طريق تغيير أو تعديل برنامج العمل .

وعلى ذلك ففائدة الحاسب إلى جانب العقل البشري هي سرعة البحث عن القرار السليم وفق المعلومات المتاحة وأسلوب العمل المطلوب ، وإمكانية تكرار طريقة العمل بسهولة ويسر بالنسبة للحالات المتشابهة ، وهي كثيرة في قضايا الحياة . فالعقل يجمع المعلومات ويحدد الأسلوب ، والحاسب الآلي ينفذ ما يطلب إليه ويقدم النتائج المنشودة .

ولئن كانت نظرية اللعبة هي وسيلة فعالة في يد الخبراء للبحث عن القرار السليم ؛ وإذا كان الحاسب الآلي يقف مساهماً في أهمية هذه الوسيلة ؛ فإن تأثيرها كتأثير العديد من الوسائل المدمرة ، ذو حدين على مصالح بني البشر . فهي في أيدي الخير ، مصباح يقود إلى العدالة والسلام ، وهي في أيدي الشر ، سيف يعصف بالمبادئ . ومهما كانت أهمية تقدم العلم وأساليبه الفكرية ووسائله الصناعية ، فإن المطلوب في عصر العلم اليوم ، هو أن تسمو النفس الإنسانية وأن تتجه نحو مبادئ الحق ، وأن يحب كل إنسان لأخيه ما يحب لنفسه .

الشعر والشاعر



★ وردز ورث ★

كثيراً ما تكون مقدمات الشعراء لدواوينهم ومجموعاتهم الشعرية حافلة بالآراء والملاحظات والمعلومات، التي تفيد المتذوق والدارس على السواء.

والحق أن شعراءنا العرب قلما اعتنوا بتقديم إنتاجهم، برغم أن كثيرين منهم ـ **من المحدثين خاصة** ـ لجأوا إلى النقاد أو الأصدقاء ليتولوا عنهم مهمة التقديم والدراسة. وأحسب أنه من الأهمية للمتذوق والدارس، أن يقدم الشعراء إنتاجهم بأنفسهم، فهم وحدهم الذين يملكون قدرة إلقاء الضوء على عالمهم الشعري الذي لا يشاركهم في اصطناعه أحد. **فما أجدر شعرائنا بمراجعة أنفسهم حين يجمعون إنتاجهم بين دفتي ديوان، وما أحوجنا ـ متذوقين ودارسين ـ إلى معرفة الظروف التي أحاطت بولادة تجاربهم وشاركت في تكوينها وولادتها، زماناً ومكاناً. وكذلك فهمهم للشعر ووظيفته.**

والمقدمة التي سنطالعها بنصها بعد قليل، كتبها الشاعر الإنجليزي المعاصر **سيسيل د. لويس** لمجموعة من مختارات شعره. وفيها يسرد بتواضع كبير كثيراً من الآراء في الشعر ونقده، وهي آراء مفيدة في الوقت نفسه، وتكشف عن حس نقدي مرهف لدى الشاعر.

وقد ولد الشاعر في عام ١٩٠٤م، لأبوين يجمعان بين الدماء **الإنجليزية والأيرلندية**، وأنهى دراسته العالية في **اكسفورد**، وعمل ناظراً لمدرسة، لكنه ما لبث أن استقال ليتفرغ للكتابة في عام ١٩٣٥م.

وقد كتب ـ **بالإضافة إلى الشعر** ـ عدداً من كتب الأطفال والروايات البوليسية باسم مستعار هو: **نيكولاس بليك**.

كما ألف عدة كتب في النقد أحدثها كتابه «**الصورة الشعرية**» وهو محاضرات ألقاها في كامبريدج عام ١٩٤٦م.

وهو يعمل حالياً مستشاراً أدبياً لإحدى دور النشر الإنجليزية، وعضواً في عدة جمعيات للأدب والشعر.

يقول لويس:

طلب مني الناشر[1] أن أكتب مقدمة لهذه المجموعة من قصائدي المختارة. وليس لدي ما أقوله حول طريقة اختيارها، سوى أنها اختيرت ـ بنسب متساوية إلى حد معقول ـ من مؤلفاتي الباكرة التي أصدرتها **دار هوجارث**، وكذلك من مؤلفاتي الأكثر حداثة من هذا التاريخ التي أصدرتها **دار جوناثان كاب**. وقد ضمت الأخيرة أولا في المجموعة الحالية، متبوعة بقصيدتين قصصيتين ظهرتا في منتصف أواخر الثلاثينات مع بعض قصائدي الباكرة في القسم الثالث.

وليس في مقدوري أن أحدد إلى أي مدى «**تمثلني**» هذه المجموعة، ولا أن أعيِّن ما إذا كانت تمكن القارئ من «**تتبع مراحل تطور الشاعر**» أم لا. ذلك لأنني عندما عدت إلى شعري الذي نظمته في السنوات العشرين الماضية، صدمني ـ كما صدمني من قبل ـ **افتقاره إلى التطور**، بمعنى أن مرحلة شعرية تنبع من مرحلة سابقة، مؤدية بالضرورة إلى مرحلة تالية: أي أن تكون كلها متناسقة بدرجة كبيرة، وشديدة التوافق مع المواضعات النقدية، وهذا ما ليس هنا.

غير أن شعري يبدو لي سلسلة من البدايات الطازجة، أكثر مما يبدو خطاً مستمراً، وبإمكاني أن أرى التغير: إنني أتغير لكنني أرجو ألا أخبو وأتحلل. فإنتاجي الأخير يمثل ـ **قدر ما يجوز لي الحكم** ـ قسطاً طيباً أكثر تنوعاً، إن في الموضوع، وإن في الشكل، وكذلك يمثل استجابة أكثر حسية، ومرونة أعظم في السطر الشعري، إذا قيس بإنتاجي الباكر.

وليس من شك في أن هذا مرده ـ جزئياً ـ إلى أن اهتماماتي قد تغيرت، وربما لأن مجال عاطفتي قد اتسع. وليس من بأس في الوقت نفسه أن أخبر القارئ بأن شعري، في رأي بعض النقاد، قد ساء وفسد ـ منذ الأيام الأولى «**لمدرسة الوعي الاجتماعي**»[2] ـ وتحول إلى معاداة المجتمع، أو إلى انشغال اجتماعي بالماضي والأشكال التقليدية، بدرجة ما.

والحق أنه قد أصابني تغير في الشخصية. وليست تلك الأشعار في الغالب هي النتاج الفوري المباشر لهذه التغيرات. فالذي حدث ـ **مهما وسعني القول** ـ هو أنني مررت بتجربة عنيفة وعميقة قذفت ـ **كالبركان** ـ بطبقات من ماضيَّ لم تكن في متناول يدي من الناحية الشعرية حتى ذلك الحين. مثال ذلك أنني وجدت نفسي إبان الحرب

بقلم: د. علي شلش



★ ييتس ★



★ بول فاليري ★

الماضية قادراً على استخدام صور في شعري ـ **لأول مرة** ـ من عهد طفولتي.

وقد تحتاج المادة الجديدة التي انقذفت، والمعالم الجديدة التي تظهرها الحياة بتأثير التجربة البرانية، إلى قصيدة من نوع جديد. وهنا يظهر التغير في التكنيك (**فن المعالجة والأداء**) فلو أن الشاعر ـ **كما أصبح ييتس**[3] ـ شاعر أصيل، فإن هذا التغير سيكون نشاطاً واسع النطاق بين خياله ومادته الجديدة. ولو أنه، مثلي، كاتب ما زال واقعاً تحت تأثير الشعراء الآخرين فسوف يجد في الغالب أنه استخدم ـ بوعي تقريباً ـ شاعراً آخر ليكون وسيطاً بين مادته وخياله.

ولقد تأثرت ـ **أنا نفسي** ـ من ناحية التكنيك بشعراء مختلفي المشارب والأذواق من أمثال **ييتس، ووردز ورث، وروبرت فروست، وفرجيل، وفاليري، وو.. هاودن، وهاردي**. كما مكنني هؤلاء من تنقية أفكاري. ذلك لأنهم أتاحوا لي الوسائل التي مكنتني من أن أقول ما كنت أريد قوله.

وليس من اللازم أن تكون القصيدة المعطاة أي الناتجة من التأثر، قصيدة مطروقة أو مستعملة. وأحسب أن من الممكن لقارئ ذي أذن حساسة ووجهة نظر منزهة عن الهوى عارف بشعر **هاردي**[4] أن يضع يده على وجه الاختلاف أو المشابهة بين قصيدة لي ـ بتأثيره ـ وأخرى لهاردي نفسه.

غير أن هذا ليس هو المقصود. فالمهم أنه ينبغي على القارئ أن يصبح على دراية بصفة التفرد في قصيدة ما، وكذلك مشابهها العائلية. فينبغي عليه كي يتحقق من تفردها ـ **وهي الصفة التي تجعلها مختلفة عن كل قصيدة عداها** ـ أن يستجيب لها مباشرة وتلقائياً، وبشكل إيجابي. ذلك لأن من العته القول بأن شرط ولوج عالم قصيدة جديدة هو أن نتسلح بكافة الأدوات التي استجدت في النقد، وأن نطلب من هذه الأدوات أن ترشدنا إلى الطريق الواجب سلوكها إزاء القصيدة، **إن إعجاباً وإن نبذاً**، ويستوي في ذلك أن نطبق هذا المبدأ ونذيع تطبيقه.

فما ينبغي علينا هو أن نكون قادرين على الاستماع قبل أن نكون قادرين على تعلم التميز وإقامة الفواصل.

والقيمة الرئيسية للنقد بالنسبة للقارئ العادي هي أن يعمق فهمه للقصيدة التي يستجيب لها بالفعل، وذلك عن طريق الإشارة إلى مشابهها العائلية ـ واقترانها بالقصائد الأخرى من ناحية الأسلوب والتفكير والتجربة، **وكذلك مكانها في التراث.**

غير أن التراث ليس متحفاً للآثار: فهو بمثابة حركة مرور ذات طريقين. فالشعراء الشوامخ الذين يضيفون إلى التراث ويثرونه، لا يفتحون الطريق أمام شعر جديد فحسب، ذلك لأن إنتاج الشعراء الأدنى منهم في الدرجة الذين يتأثرون بهم يلقي الضوء على إنتاجهم وينيره ويعكسه من جديد. ومن ثمة لا ينبغي علينا قط أن ننظر إلى «**الشعر الحديث**» باعتباره شيئاً يعيش في فراغ، أو شيئاً بدأ في عام ١٩٠٠ أو ١٩١٧ أو ١٩٣٠م. فكل قصيدة جيدة قد نمت وتولدت من مزيج من حصيلة الشعر كله منذ أن كتب، تماماً مثلما حدث بالنسبة لكل شاعر أصيل، إذ اتهم في عصره ـ كما يتهم الشعراء اليوم ـ **بالغموض وتحطيم القواعد**، وازدراء التراث والاستهزاء به. **وما الشعر الحديث إلا كل قصيدة لا زالت تحتفظ لنا بمعنى باق، سواء كتبت في السنة الماضية أم منذ خمسة قرون خلت.**

وما من عصر خلا من أناس يثرثرون حول شعر معاصريهم وما به من ركاكة وسقم وغموض، ومن آخرين يعدونه أعلى ذروة بلغتها المأثرة الشعرية، ومن ثمة لم تخل كل العصور من أناس آخرين يقفون في وجه الشعراء مبينين لهم ما ينبغي عليهم أن يكتبوه، وما ينبغي عليهم أن يتخذوه من سلوك في حياتهم.

وقد تؤدي هذه المضايقات إلى قدر معين من الخسارة بشكل مؤقت. لكن الزمن كفيل بعلاجها وتمييز الغث من السمين. وفي ذات الوقت ينبغي على كل شاعر أن يمضي في الكتابة وأن يواصل كل ما بوسعه من تجويد، وأن يتعلم من أخطائه، وأن يكف عن الانشغال بقامته ورتبته في إمارة[5] الشعر (**لأنه لا مجال للمنافسة والتسابق**)، وأن يصبح أكثر استغراقاً في أداء الواجب الفوري الذي ينبغي أن يركز عليه اهتمامه تمام التركيز.

الشعر والشاعر

لقد ذكر (**روبرت فروست**) أن القصيدة «**تبدأ بالسرور وتنتهي بالحكمة**»، ويصدق هذا بطريقة ما على الكاتب أيضاً، فالشعر وظيفة وعادة وسعي وراء الحق. ونحن نبدأ شباباً لا عدة لنا سوى حب الكلمات ومزاج من لون خاص. ثم نمضي نكتب الشعر، إذا أردنا أن نمضي في ذلك، لأن الأمر قد أصبح عادة أن نلعب بالكلمات، ونعتمد عليها في ترتيب اهتماماتنا وتوجيهها. وحين نجمع التجربة ونكومها فإننا نشرع — **إن عاجلاً أو آجلاً** — في إدراك أن كل قصيدة هي محاولة لتأليف ذاكرتنا ولتفسير هذه التجربة وشرحها وتقريبها من أجل أن نرتوي نحن، ذلك لأننا نكتب بغرض أن نفهم أنفسنا، لا بغرض أن يفهمنا الآخرون، ومع ذلك فكلما ازداد نجاح القصيدة في تفسير معنى تجربة الكاتب الخاصة لنفسه، ازداد اتساع نطاق «**فهمها**» في المدى الطويل.

وشبيه ذلك ما يحرزه القارئ من تقدم. ففي طفولته سيكون صدره قد انشرح بالكلمات والإيقاعات لذاتها. وفي مرحلة المراهقة — **وربما بعد ذلك بسنوات** — فإنه إذا طالع الشعر إنما يسعى بشكل أساسي إلى ما يلائمه ويفتش عما يتوافق معه توافقاً شخصياً! **فهو يريد القصيدة التي تتوافق مع نوع التصورات التي يحملها للحياة أو التي ستدعم معرفته المجزأة لها.**

وما من شك أننا لا نستطيع بأية حال أن نميز الشعر الذي تستقر في أعماقه الحقيقة الأخلاقية والحسية ما لم نكن قد فعلنا وعانينا الكثير. وعند ذاك تكون مظاهر تعاطفنا الأدبي قد تعسرت في الأغلب. ومن ثمة يحول مصطلحه غير المألوف بيننا وبين معرفة هذه الحقيقة في الشعر الجديد حين نراه.

وينبغي على كل من الشاعر والقارئ أن يتصرف تصرفاً مبدئياً إزاء الحقيقة الشعرية، وتعني إعادة ترتيب التجربة الإنسانية، وإعادة إيجادها وتفسيرها من خلال الشعر. كما ينبغي على كل منهما أن يؤمن بأن في الحياة أنواعاً معينة من الحقيقة، يمكنها أن تتسلل — **أو تكتفي بأن تنقل** — بواسطة الفن، وكذلك أن يؤمن بأن الشعر لم ينحه أي فن آخر عن القيام بهذه الوظيفة. **وتلك عقيدة عسيرة اليوم**.

لكن من المحقق أن القصيدة في كل زمان، بما تتلقاه من تسليم القلب والعقل معاً ورضوخهما إليها، تجعلنا نحس بالحياة، ونزداد قرباً منها أو بعداً، حتى لو كان ذلك لساعة فحسب. وقد تكون تعميمات كهذه — **في مقدمة** — في غير محلها. فلست أبغي من القارئ أن يحسب أن القوانين المطلقة يمكن أن توضع وتقرر تنظيماً لكتابة الشعر أو قراءته. أو لم يكن ينبغي — **بدلا من ذلك** — أن أصحبه في رحلة إرشادية مع القصائد التي بوسعه أن يعثر عليها في كتبي، مشيراً إلى مواضع الجمال فيها ومواضع النقص والعيب؟.

بوسعي أن أضع عينيه على المواطن التي أتت فيها العاطفة — **وهي مستخدمة بشكل فج للغاية** — على الثقوب في نسيج إحدى القصائد، والمواطن التي ظهرت فيها — **بنجاح أكثر** — بعيداً عن أن تكون عاطفة شخصية: حيث نجد قصيدة قد شذت — **بتأثير التعجل** — عن الطريق السوي، وانحرفت، وانتهت إلى زقاق مسدود، أو مكاناً أمدني فيه شيء ظاهر العفوية — **هو الحاجة إلى قافية أو إيقاع ووزن معينين** — بخط قام بتحويل سياق القصيدة بأسره إلى الاتجاه السليم. وكان بوسعي أن أبين كيف دار معظم شعري في الحقيقة إبان الفترة «**السياسية**» المزعومة التي مرت بي — حول الحب أو الموت وكيف أن «**قافية ووزن**» كل قصائدي تقريباً — على عكس المعروف من آراء حول الشعر الحديث، وعلى عكس ما يعتنقه البعض من آراء متخيلة سلفاً — ليسا دائماً أقل تجريباً في الطبيعة، إذ يكونان أكثر تقليدية في المصطلح، وكيف أن حقلاً أكثر ارتباطاً بالشخصية وأوسع مجالا في الصور والتشبيه قد حل تدريجياً محل الاستخدام المفرط في الحماسة — **وغالباً ما يكون فجاً** — للبديع «**الحديث**»، وكيف أن خصائص معينة تتخلل إنتاجي بأسره وتحكمه — مثل الإعجاب بالبطل، والخوف، الحنان، الذهن المشتت، المعنى السائد لزوال الأشياء، وكيف أن أموراً مثل السياسة أو ميلاد طفل، أو حب لامرأة، أو ذكريات الشباب، أو الفزع من الحرب، أو وقعها يجري فيها كلها — **أياً كانت البؤرة الظاهرة للحظة** — السعي وراء الهوية الشخصية، والإلزام الذي لا هوادة فيه المفروض على الشاعر من أجل أن يعرف نفسه، وهذا السعي يمثل خيطاً متصلاً لا ينقطع في كل هذه الأمور، مع أن أسلوبها قد تغير كثيراً من وقت لآخر بسبب احتياجات تفرضها تجربة جديدة أو عاطفة غلابة.

غير أنه من الأفضل أن يكتشف القارئ لنفسه نقاطاً كهذه وهو سيجد الكثير منها قابلاً للتطبيق — **بشكل مساو** — بالنسبة لأي شاعر آخر على قيد الحياة. وعلاوة على ذلك، فالشاعر ليس أفضل عارض ومفسر لإنتاجه، لأنه إذا كان ثمة شيء واحد يعلو على حمية التركيز في كتابة القصيدة فإن هذا الشيء هو المعنى النهائي للانفصال الذي يحس به إزاءها حين يجد أنه قد كتبها وفرغ منها. وليس هذا الضرب من الانفصال على شاكلة الانفصال الذي يكون خاصاً وأصلياً في الناقد. فالصانع (**الشاعر**) هو الذي ينبغي عليه — إذ يعرف أن «**كل محاولة**

هي انطلاقة جديدة كل الجدة، ونوع مختلف من أنواع الاخفاق» ـ أن يتحرر من كل إخفاق من أجل أن يقوم بالمحاولة التالية.

* * *

تأتي بعد هذه المقدمة مختارات الشاعر، وقد اخترت منها هاتين القصيدتين:

«أبعيد هو الذهاب؟»

أبعيد هو الذهاب؟
ـ خطوة، لا أكثر.
أمن الصعب أن أذهب؟
ـ سلي البرد الذائب، والريش الدوار.
ماذا يمكنني أن أصحب إلى هناك؟
ـ لا خيط، ولا شعرة.
ماذا عساي أن أخلف ورائي؟
ـ سلي الريح المسرعة، والنجم المتواري.
هل سأغيب طويلاً؟
ـ للأبد، وليوم واحد.
ولمن أنتمي هناك؟
ـ سلي الحجر يجيب، سلي أنشودتي.
من عساه يقول الوداع؟
ـ الجرس الدقاق.
أثمة أحد سيفتقدني؟
ـ هذا ما لا أجرؤ أن أجيب عنه. عجلي يا وردتي.

الألبوم

أراك طفلة ،
في بستان يؤوي البراعم وأوقات اللهو ،
تصغين كما لو كان خدعك خيال ،
يطوف بما وراء عمرك ، فيما وراء الربيع المزهر .
لقد ذوت البصمة : وعما قريب لن يكون ثمة أثر لذلك الوضع المثير ،
لا ولا للصدى الخفي لصوتي الذي ينادي على البعد :
« انتظري ! انتظريني »

* * *

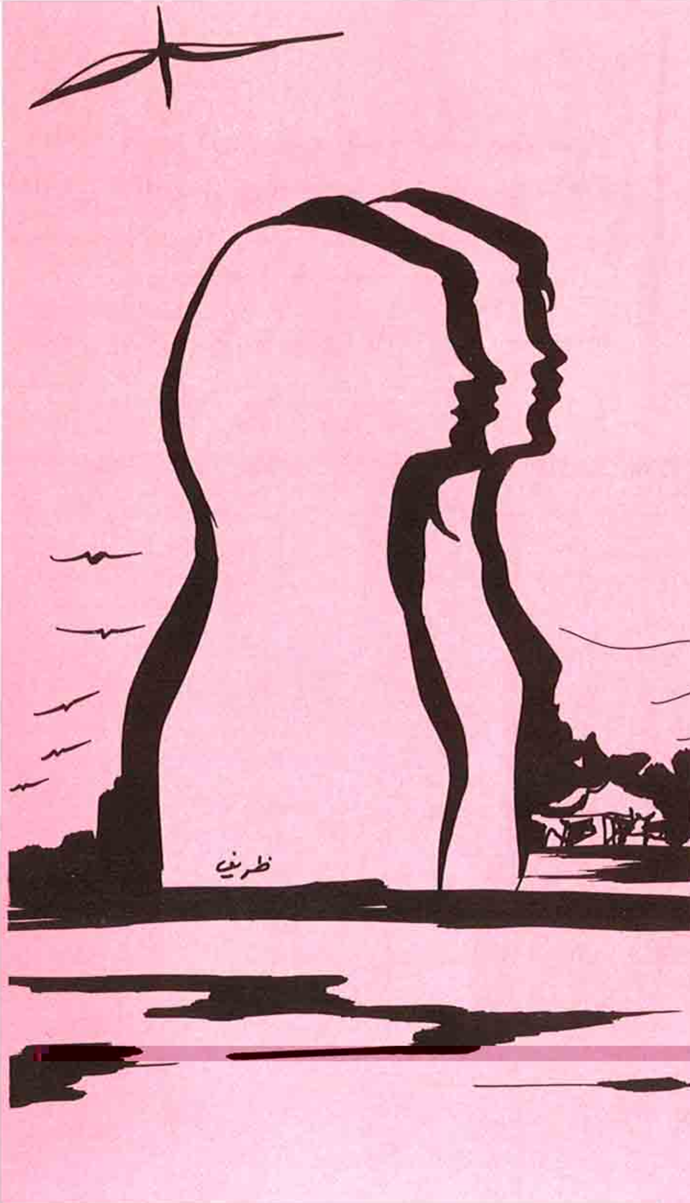
ثم أقلب الصفحة ،
فإذا فتاة تقف كسوسنة متسائلة ،
على حافة الماء ، في عُمْر
يهيب بكل مرآة أن تجيبه عما تكون رغبة الفؤاد .
وتجد الجواب في ذلك الجدول الذي ينزل فيه الإلهام .
وليس شيء ، سوى الزمن ، يثبت أو ينفي .
لكن ، ليتني كنت هناك كيما أجازف بتحذير : **« الحب ليس ما تحلمين »** .

* * *

صورة واحدة ناقصة ـ
هي الأخيرة . لعلها تريني شجرة مزقتها وعرتها
ريح صرصر عاتية ، أفسدت ظلتها العجيبة في الظهيرة
لكنّي ارتعش ، وأنا اتفحص هذه المشاهد
إبان أوجك المسلوب ، كواحد يجب أن يرى في البللور هلاكا
لم يستطع قط أن يزيغه ـ أجل ،
فأنا أيضاً مأخوذ مهزوز صفر اليدين .

* * *

وأطوي المجلد ،
لكنما الماضي ينزلق من أوراقه
كيما يغشاني ،
وأينما نظرت تؤاخذني أشباح السعادة المارقة .
وفي ساعات استجد هبوبها أراها بجواري ـ
فتتمتم : **« كل ما عشقته هناك قد أزهر من جديد ،**
وكل ما افتقدته هناك قد نما ليكون لك » .



الحواشي

(١) سلسلة التنجوين ١٩٥١ م . والمجموعة مقسمة إلى ثلاثة أقسام : قسم غنائي وتأملي من ١٩٣٧ ـ ١٩٤٧ م ، وقسم ثان يشمل قصيدتين ، ثم قسم أخير غنائي وتأملي أيضاً من ١٩٢٩ ـ ١٩٣٦ م .

(٢) يشير الشاعر إلى ما يسمى في الأدب الإنجليزي أيضاً باسم المدرسة الحديثة التي ظهرت في ثلاثينات هذا القرن ، وكانت تهتم ـ فيما تهتم ـ بالعامل الاجتماعي في نشوء الأدب وتلقيه .

(٣) وليم بتلر ييتس (١٨٦٥ ـ ١٩٣٩ م) شاعر ايرلندي معروف . فاز بجائزة نوبل للأدب في عام ١٩٢٣ م .

(٤) توماس هاردي (١٨٤٠ ـ ١٩٢٨ م) روائي وشاعر إنجليزي معروف .

(٥) لفظ إمارة هنا هو أقرب المعاني ـ في لغتنا ـ للكلمة الإنجليزية التي تعني الزعامة .

مسابقة الرسم السنوية الخامسة للأطفال

يَسرُّ إدَارَة العلاقات العَامَة بأرامكو أنْ تُعْلن عَنْ إجْراء مسَابقتها السَّنويَة الخامسَة في الرَسْم للأطفَال من البَنين والبنات . إسْهامًا منهَا في تَشجيع القدرَات والمَواهب الفنيَة لدى الأطفَال في المملكة العَربيَة السَعُوديَة.

موضوع المسَابقة : اختيَار موضوع الرَّسم مَترُوك للطّفل .



شروط المسابقة :

١- يستطيع أي طفل لايزيد عمره عن ١٤ عامًا . ويقيم حاليًا في المملكة أن يشترك في المسابقة .

٢- يتقدم المتسابق برسم واحد فقط .

٣- يراعى أن لاتقل مساحة ورقة الرسم عن ٤٥ سم طولاً و ٣٠ سم عرضًا . وأن لاتزيد عن ٧٠ سم طولاً و ٥٠ سم عرضًا .

٤- يرسم المشهد الذي يختاره المتسابق بالألوان أو بالحبر الصيني .

٥- ترسل الرسوم في مظروف مقوى لتفادي أي تلف .

٦- يكتب المتسابق اسمه خلف الرسم بخط واضح بالاضافة إلى عمره وعنوانه واسم مدرسته ليسهل الاتصال به .

٧- يرسل المظروف في موعد أقصاه :
١ جمادى الثانية ١٤٠٤هـ الموافق ٣ مارس ١٩٨٤م
إلى العنوان التالي :
مبنى الإدارة - العلاقات العامة - غرفة رقم ٢٢١٦ - أرامكو - الظهران . ويكتب في أعلى الظرف :
« مسابقة الرسم السنوية الخامسة للأطفال » .

٨- تبقى جميع الرسوم في حوزة إدارة العلاقات العامة مع الاحتفاظ بحق نشر أي منها حسب ماتراه الإدارة .

الجوائز : خصص للفائزين في المسابقة ستون جائزة.
وقد قسمت هذه الجوائز إلى ثلاث فئات توزع على المتسابقين الفائزين كمايلي : عشرون جائزة - للذين تقل أعمارهم عن ٧ سنوات - عشرون جائزة - للذين تتراوح أعمارهم بين ٧ و ١٠ سنوات . عشرون جائزة - للذين تتراوح أعمارهم بين ١١ و ١٤ سنة .

وسوف تنشر أسماء الفائزين في جميع الصحف والمجلات السعودية .



من معالم العراق

بقلم: د. محمد حسين عساف الزبيدي

قصر الأخيضر

من الأبنية الأثرية الشاخصة اليوم في وادي الرافدين **قصر الأخيضر** ذلك الحصن المنيع الذي يقع في البادية الغربية إلى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء بمسافة ٥٠ كم، وحوالي ١٥٢ كم إلى الجنوب الغربي من بغداد، وتقع **مدينة عين التمر التاريخية** إلى الشمال الغربي من قصر الأخيضر، ويفصل بينهما **وادي الأبيض** الذي يبدأ من مسافات شاسعة في البادية وتجري فيه مياه الأمطار إلى هور أبي دبس. ولهذا الحصن أو القصر أهمية تاريخية إذ إنه يعتبر من أهم المنازل على الطريق الذي يربط جنوب العراق بأعالي الفرات وسورية، ويمر هذا الطريق الصاعد من الكوفة إلى سورية بالأخيضر – عين التمر، وتوجد على امتداده عدة أبنية كانت مراحل مهمة للقوافل والمسافرين، منها: عطشان، وموجدة، إلى



قصر الأخيضر

الجنوب ، وقلعة شمعون وبرداويل إلى الشمال . **وبرزت أهمية الأخيضر كأهم نقطة واقعة على طريق يربط العراق بالعالم الخارجي** ، إذ إن هذا الطريق يصل بين (حلب ـ البصرة) كما يصل البحر الأبيض المتوسط عن طريق الشام بالبحر العربي عن طريق ميناء البصرة واستمر ذلك إلى أن تم اكتشاف رأس الرجاء الصالح وشقت قناة السويس .

اختلف الباحثون المحدثون في التاريخ الحقيقي للحصن . فقد ذهب العلامة الفاضل السيد **شكري الآلوسي** إلى « أن كلمة الأخيضر محرفة من اسم الأكيدر وهو اسم أمير من أمراء كندة ، أسلم في صدر الإسلام . ومعنى هذا أنه قد شيّده الأكيدر قبل الإسلام .

وقد زار هذا القصر أيضاً عدد من المؤرخين والباحثين ووضعوا بحوثاً مطوّلة عنه ، لكنهم اختلفوا في تقديراتهم له ، إلا أن معظمهم ذهب إلى :

(١) أن هذا الحصن من الأبنية العربية التي نشأت في العهود الإسلامية ، وبعضهم اعتقد أنه من الأبنية الساسانية معتمدين على طراز العمارة بأنها بعيدة عن العمارة العربية ، ونسبوا بناءه إلى أحد ملوك الحيرة اللخميين بناه له معمار غير عربي .

(٢) وذهب البعض الآخر إلى أن هذا القصر ربما كان **قصر السدير** الذي تحدث عنه الشعراء .

(٣) وقال آخرون : إنه من الأبنية الإسلامية التي شيدت في العصر الأموي وعرفوه بموقع **دومة الحيرة** .

(٤) ومنهم من قال : إن الحصن شيد في العصر العباسي الأول (في القرن الثاني للهجرة)

من معالم العراق

شيده عيسى بن موسى ابن أخ السفاح والمنصور وولي عهد المنصور في الخلافة وكان يومئذ والياً على الكوفة من قبل المنصور .

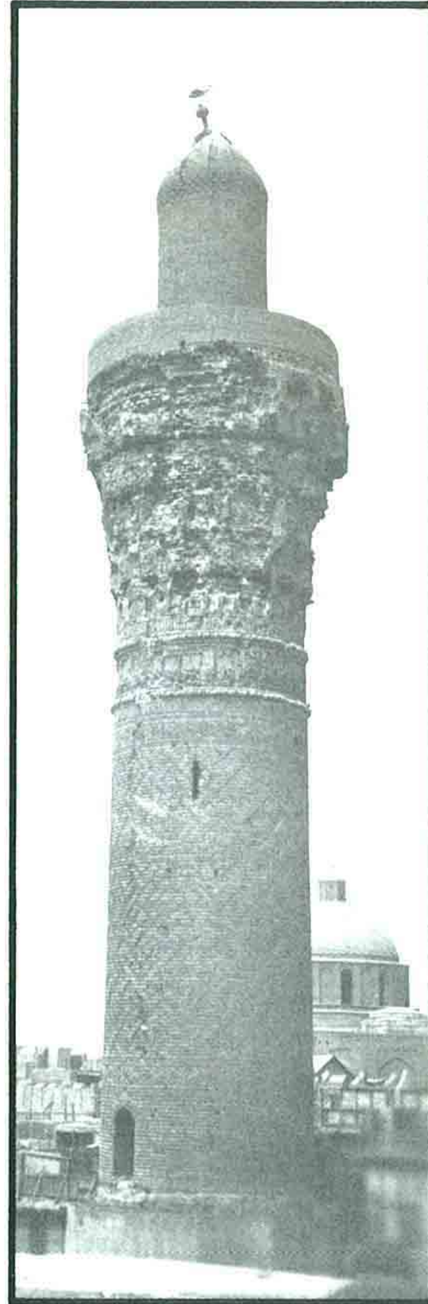
(٥) وهناك رأي آخر يقول : إن اسم الحصن يشير بوضوح إلى أن بانيه هو **إسماعيل ابن يوسف (الأخيضر)** حاكم اليمامة على الكوفة وإن إسماعيل اتخذ هذا الحصن داراً للهجرة .

ولكن التحريات التي أجرتها **مديرية الآثار العامة في العراق** ، ودراسة أجزاء القصر الشاخصة دراسة مستفيضة أثبتت أن هذا القصر تم تشييده في العصر العباسي وبالتحديد في **عهد الخليفة أبي جعفر المنصور** .

لذا فهو يحظى باهتمام كبير من المعنيين فقامت مديرية الآثار بترميمه وصيانته بشكل جميل أعيد إليه نضارته وبهاءه من جديد ، وهو اليوم يشكل أحد المرافق السياحية في العراق .

خان مرجان

من أشهر الخانات الشاخصة اليوم في بغداد **هو خان مرجان** . وقد تم تشييده سنة (٧٦٠ هـ ــ ١٣٥٩ م) ، وقد أمر ببنائه **أمين الدين مرجان** الذي كان حاكماً على بغداد في عهد **السلطان (أوميس بن الشيخ حسن الايلخاني)** وكان يعرف هذا الخان أيضاً بخان (الأورتمة) أي الخان المسقوف باللغة التركية لكونه مسقفاً بخلاف سائر الخانات الموجودة في بغداد . وقد أسس مرجان في الوقت نفسه مدرسة ومستشفى .



★ منارة جامع الخلفاء ★

وينفرد هذا الخان بهذه الميزة المعمارية عن باقي الخانات الأخرى المكشوفة الوسط . ويعتبر خان مرجان من أجمل الخانات العراقية حيث تتجلى فيه روعة عمارته وجمال زخارفه ، وعلى الرغم من سعة وارتفاع هذا الخان إلا أنه سقف بطريقة معمارية فائقة تدل على المقدرة الفنية .

ومن الجدير بالذكر أن واردات هذا الخان أوقفت إلى هذه المدرسة (المرجانية) والمستشفى بالإضافة إلى عدد من الخانات الأخرى والدكاكين في بغداد ومزارع وبساتين في ضواحي بغداد وفي بعقوبة وجلولاء وبوهريز والبندنيجين . جاء ذلك في الكتابة التي تعلو باب الخان الرئيسي الكائن **في سوق البزازين في محلة (باب الآغا)** حالياً ، أن الذي أمر بإنشائه هو أمين الدين مرجان الأولاقايتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربية وكذلك ناحية عقرقوف والنصف من القائمة وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالمخربية وبساتين بقرية الترك والزادمان وخرماباد ، ورباط جلولا المعروف بقزل رباط وزرين جوى ونصف دوري وبساتين بعقوبة وبرهريز والبندنيجين وخان ودكاكين بالحلبة وأربعة خانات ودكاكين بالجوهريين وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم كما هو محدود مشروح في الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله منه الطاعات في الدارين وبلغه نهاية المراد وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم . كتبه الفقير إلى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه .

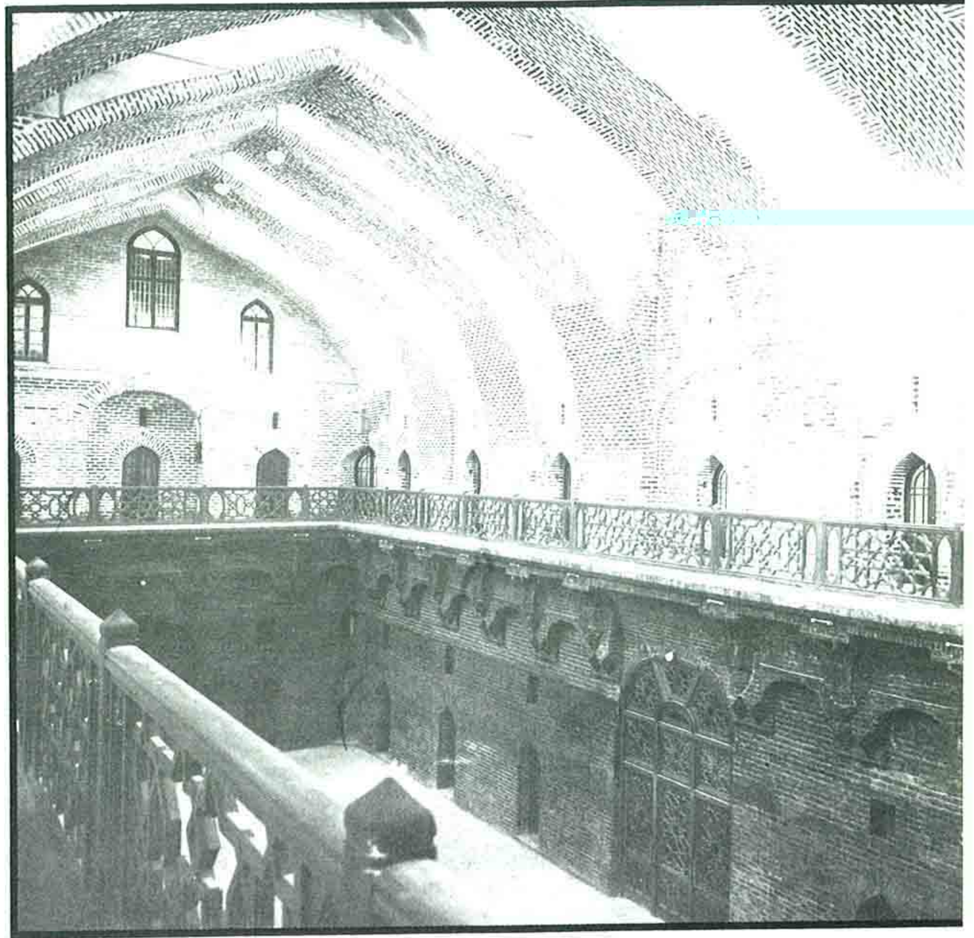
يتكون الخان من طابقين ، الأول يحتوي على ٢٢ غرفة والثاني على ٢٣ غرفة وكان التجار والمسافرون يحتلون غرف الخان ، وكان يجري فيها وفي الساحة عملية البيع والشراء مدة ما يقارب السبعة قرون .

مئذنة جامع بغداد

من المآذن التاريخية الشاخصة في بغداد حتى اليوم مئذنة جامع الخلفاء ، أو (منارة سوق الغزل) كما يسميها العامة .

ولهذه المنارة مكانة كبيرة في تاريخ العمارة العربية الإسلامية حيث بنيت في العراق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) ، وإنها تمثل في بنائها الخصائص الفنية والمعمارية لطراز تلك المآذن .

كانت هذه المئذنة تابعة لجامع القصر أو مسجد دار الخلافة الذي بناه **الخليفة العباس المكتفي بالله** سنة (٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ) (٩٠٢ ــ



★ خان مرجان ★

٩٠٨م) ، وكان السبب في بناء مسجد دار الخلافة كما يقول صاحب تاريخ بغداد[1] هو أنه «.. لم تكن صلاة الجمعة تقام بمدينة السلام إلا في مسجدي المدينة والرصافة إلى وقت خلافة **المعتضد** . فلما استخلف المعتضد أمر بعمارة القصر المعروف بالحسيني على دجلة سنة ثمانين ومائتين ، وأنفق عليه مالا عظيماً وهو القصر الموسوم بدار الخلافة ، وأمر ببناء مطامير في القصر رسمها هو للصناع فبنيت بناء لم ير مثله على غاية ما يكون من الإحكام والضيق وجعلها محابس للأعداء ، وكان الناس يصلون الجمعة في الدار ، وليس هناك رسم لمسجد ، وإنما يؤذن للناس في الدخول وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها ، فلما استخلف المكتفي في سنة تسع وثمانين ومائتين ، نزل القصر وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد بناها ، وأمر أن يجعل موضعها مسجد جامع في داره ليصلي فيه الناس ، فعمل ذلك وصاروا يبكرون إلى المسجد الجامع في الدار يوم الجمعة فلا يمنعون من دخوله ويقيمون إلى آخر النهار» .

وقد تهدمت هذه المئذنة وأعيد بناءها في سنة (٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م) في ربيع الآخر[2] . وقد جددت هذه المئذنة في سنة (٦٧٠ هـ - ١٢٧١ م) أمر **علاء الدين عطا ملك الجويني** صاحب الديوان في أيام **الملك أباقا ابن هولاكو الايلخاني** فانجزت في آخر شعبان من هذه السنة ، ثم سقطت في شهر رمضان بعد فراغ الناس من صلاة التراويح ويذكر أنه لم يتأذ أحد ممن كان في المسجد أثناء تأدية الصلاة[3] .

ويذكر **ابن الفوطي** أيضاً أنه في سنة (٦٧٨ هـ - ١٢٨٩ م) ، أعيد تشييدها من جديد[4] وقد تهدم جامع القصر وأحرقه المغول ولكن المئذنة ظلت قائمة حتى عصورها الحديثة[5] ، ثم اقتطعت أرض الجامع وأنشئ في إحدى القطع الشرقية منه سوق لبيع الغزل ، وفي العهد التركي شيد **أبو سعيد سليمان باشا الكبير** والي بغداد سنة (١١٩٣ - ١٢١٧ هـ) (١٧٧٩ - ١٨٠٢ م) ، جامعاً في غربي المئذنة عرف **بجامع سوق الغزل** ، أزيل سنة ١٩٥٧ م ، لافتتاح شارع الخلفاء .

حاول **السر برسي كوكس** (الحاكم البريطاني ببغداد سنة ١٩١٧ م) ، نسفها بالبارود خشية سقوطها على سكان المنطقة التي تقوم فيها ، وقد حمل العلاّمة الشهير السيد **محمود شكري الآلوسي** المستر كوكس على ترك الموضوع لأهله ، فعدل عن نسفها فسلمت المئذنة من الخراب ، ثم قامت بلدية بغداد بتقوية قاعدتها ، وكان المشرف على البناء **المهندس الفرنسي (المسيو شافانيس)** .

وقد جرت محاولة أخرى لهدم القسم الأعلى من المئذنة حيث قرر **المهندسان المعماريان ديليو تيودور جاكس وجيمس ارباكستر** هدم الجزء الأعلى من المئذنة ولكن مديرية الآثار العامة في العراق حالت دون ذلك وتولت صيانتها وهي اليوم تنهض على شارع الخلفاء في بغداد تمثل روعة البناء وجمال الطراز وتحكي لنا في الوقت نفسه تاريخها الطويل



الهوامش

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ البغدادي ، ج١ ، ص ١١٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٤٧٩ هـ .

(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٣٧١ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

(٥) محمود شكري الآلوسي ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، ص ٢٩ .

معركة الأرك

إحدى الملاحم الإسلامية

بقلم: عبد الكريم مشهداني

يعتبر الخليفة الموحدي يعقوب المنصور عالماً مجاهداً أديباً ، وكانت أيامه من أزهى وأزهر العصور الإسلامية بالمغرب والأندلس . استلم الخلافة بعد أبيه يوسف ابن عبد المؤمن بن علي ، فهو ثالث خليفة في الأسرة المؤمنية ، وهو رابع الخلفاء الموحدين . بويع بالأندلس إثر الفاجعة التي مني بها الجيش الموحدي في غزوة (شنترين) التي قادها والده الخليفة المجاهد يوسف أبو يعقوب سنة (٥٨٠هـ ـ ١١٨٤م) ، تلك الفاجعة التي كان سببها التسرع والاستبداد في التخطيط والانسحاب غير المنظم .



وبما أن الحديث الآن عن معركة الأرك فلا مجال للحديث عن معركة شنترين . . المهم أن الخليفة الجديد وهو شاهد عيان للمعركة ـ فقد خاض غمارها إلى جانب والده الشهيد ـ ورأى عن كثب السلبيات والأخطاء التي وقعت فيها فأضمر في نفسه الثائر ، وقرر أن يخوض ضد أعدائه معركة حاسمة تمحو أمجادها الذكريات الفاجعة لمعركة شنترين ، غير أن الأمر يحتاج إلى الروية والدراسة والتخطيط

وإعادة بناء الجيش الموحدي أولا وقبل كل شيء ، لذلك سارع بعد بيعته بالأندلس إلى المغرب لاستكمال البيعة وليعاد بناء الخطط للجولة ـ بل الجولات ـ المقبلة . . فالأمر ليس بالسهل بل يحتاج إلى سنوات طويلة ، وجهود مضنية ، خاصة أن الثائرين والخارجين كانوا يشكلون للدولة متاعب ليست بالسهلة .

خلال ذلك كان الإسبان لا يكفون عن التخريب والإفساد بالأندلس ، فهم يشنون الغارات على المدن والقرى الإسلامية في الجنوب ، منطلقين من **قشتالة** تبعثهم الروح الصليبية فصمموا على متابعة القتال حتى إخراج آخر مسلم من الأندلس .

وبينما كان يعقوب المنصور في مراكش ـ عاصمة دولته ـ يتهيأ للمسير إلى بعض جهات إفريقيا لإخماد ثورة قامت ضده ، توالت عليه الكتب والبعوث من الأندلس باشتداد وطأة العدو عليهم ، فغير مخططه بسرعة واكتفى بإرسال بعض الفرق لإخماد الثورة ، وقرر الإسراع إلى الأندلس . . وأعلن في المغرب النفير العام واشتدت الحركة ثم بدأ العبور ، وكان أول العابرين « القبائل العربية ثم القبائل البربرية (زناتة فالمصامدة فغمارة) ثم الفرق المتطوعة ثم الموحدون ، وبعدها عبر الخليفة في أشياخ الموحدين والفقهاء »[1] .

الاستعداد للمعركة

وعلى خلاف أبيه الذي كان يسيِّر الأمور برأيه المنفرد ، استشار المنصور أركان حربه عن التعبئة والحشد وترتيب الجيش قبل المعركة ، فأشار عليه **القائد الأندلسي أبو عبد الله ابن صناديد** ، وكان ذكياً عارفاً بمكائد العدو مطلعاً على أنظمته العسكرية والقتالية ، أشار هذا القائد أن توضع الجيوش تحت قيادة قائد عام يرجع إليه قادة الفرق في كل شيء ، ثم تختار قادة « الوحدات من أجناسها فيكون قائد جند الأندلس أندلسياً ، وقائد جند المغرب مغربياً ، وهكذا . . وأن تجعل الجيوش المغربية طليعة الهجوم المقرر ، واعتبار الفرق الأخرى فرقاً احتياطية »[2] .

ترتيب الجيش

وفي يوم الأربعاء التاسع من شعبان سنة **٥٩١ هـ** ، كانت الجيوش الموحدية على قدم الأهبة ، وقد عبئت تعبئة حرب ، وعقدت الرايات لسائر القبائل والطوائف ، واختار الخليفة للقيادة العامة وزيره الشجاع **أبا يحيى ابن أبي حفص** ؛ فجعل جند الأندلس في الميمنة ، وزناتة وسائر القبائل المغربية والعرب في الميسرة ، وجعل المتطوعة والرماة والأغزاز في المقدمة ، واحتل هو القلب مع قومه من قبيلة هنتاته ، وبقي المنصور في خاصته وفي جند الموحدين في المؤخرة على أهبة للتدخل في اللحظة الحاسمة[3] .

اللجوء إلى الله

ثم وقف القائد العام أبو يحيى وصاح في الناس : « إن أمير المؤمنين يطلب إليكم أن تغفروا له فإن هذا موضع غفران ، وأن تتغافروا فيما بينكم ، وأن تخلصوا نياتكم لله » فتأثر الناس وصاحوا من جانبهم بطلب العفو من الخليفة ، وأنهم بيمن نيته وصدق طويته ، يرجون النصر من الرحمن ، ثم قام **القاضي أبو علي ابن حجاج** فألقى خطبة مؤثرة تفيض حماساً وإيماناً في الحث على الجهاد وفضله عند الله ، وكان لهذا التوجيه آثاره الطيبة في تنقية السرائر وإذكاء العزائم[4] .



وصف المعركة

نشبت المعركة في ضحى ذلك اليوم ـ الذي ذكرناه ـ قرب **حصن الأرك في إقليم بطليوس** ـ وهو نفس الإقليم الذي وقعت فيه **معركة الزلاقة** العظيمة قبل أكثر من مائة عام ـ وكان القشتاليون وهم يزيدون على ثلاثمائة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل حينما رأوا جيوش الموحدين تزحف نحوهم ببطء ، وقد عبئت للهجوم أحسن تعبئة قد نزلوا من حملتهم في صفوف كثيفة قاتمة « وهم كالليل الدامس والبحر الزاخر أسراباً تتلو أسراباً ، وأمواجاً تعقب أمواجاً ، كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرد » ، ثم اندفعت فرسانهم حتى لطمت خيلهم أطراف رماح المسلمين أو كادت ، ثم تقهقرت قليلاً وعادت للاقتراب من المسلمين ، ثم ارتدت وتهيأت للهجوم الفعلي . وفي أثناء ذلك كان القائد العام أبو يحيى وقائد جند الأندلس ابن صناديد ، يحث كل منهما الجند على الثبات وإخلاص النية والعمل لله عز وجل ، وتركز هجوم القشتاليين على قوات القلب التي يقودها القائد العام معتقدين أنه جناح الخليفة ، وكان المنصور قد أمر بالفعل أن ترفع الأعلام الخليفية في القلب ، فقاتل أبو يحيى وجنوده أشد قتال وأصدقه ، لكن الصدام كان عنيفاً فقتل أبو يحيى ، وعندئذ تقدمت قبائل العرب والمتطوعون والأغزاز والرماة وأحاطوا بالنصارى من كل جانب ، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس إلى المعركة ، وزحفت معه قبائل زناتة وسائر قبائل البربر ، واندفعت الجيوش الموحدية بجملتها نحو القشتاليين ، واشتد القتال بين الفريقين وسالت الدماء بغزارة ، وكثر القتل في مقدمة القشتاليون الذين اضطلعوا بالهجمة الأولى ، واستمر القتال على

هذا النحو بعنف وشدة حتى اضطر القشتاليون إلى التقهقر والفرار نحو الربوة التي كانوا متمركزين فيها ، وبدت عليهم بوادر الهزيمة .

وينقل الأستاذ **محمد عبد الله عنان** رواية أخرى لصاحب كتاب **« البيان المغرب »** مفادها أن هجوم القشتاليين تركز أولا على ميسرة الجيوش الموحدية ، وأنه أسفر عن تقهقر جماعة من المتطوعة . . فلما رأى المنصور ذلك نهض بنفسه وترك فرقته وتقدم منفرداً يحث الجند على الثبات والهجوم على العدو ، فكان لحركته هذه أعظم وقع في نفوس الجند فاضطرمت هممهم وعزائمهم ، واندفعت سائر الحشود والقبائل نحو القشتاليين بشدة والتحم الجيشان ، واشتد القتل في صفوف القشتاليين فاضطروا في النهاية إلى التقهقر والفرار ، ودامت المعركة من ضحى اليوم حتى غروب الشمس ، وأسفرت عن مقتل جموع عظيمة من النصارى ، واستطاع ملك قشتالة أن يفر في نحو العشرين من فرسانه ، فسار تحت جنح الظلام إلى **طليطلة** لا يلوي على شيء . واعتصمت معظم فلول النصارى بحصن الأرك ، وأحاط المسلمون بالحصن يظنون أن **ألفونسو الثامن ملك قشتالة** قد اعتصم به ، لكن تبيّن أنه لاذ بالفرار من أحد أبواب الحصن الخلفية ، فدخل المسلمون الحصن عنوة واستولوا على جميع ما فيه ومَنْ فيه[٥] .

ويذكر صاحب **« نفح الطيب »** أن عدد قتلى النصارى في ذلك اليوم بلغ مائة وستة وأربعين ألف قتيل ، وأن الأسرى قد أربوا على أربعة وعشرين ألف أسير ، أما الغنائم فكانت مائة وخمسين ألف خيمة ، وثمانين ألفاً من الخيل ، ومائة ألف من البغال ، وأربعمائة ألف من الحمير ، جاء بها النصارى لحمل أثقالهم لأنهم لا إبل لهم . . أما الجواهر والأموال فلا تحصى إلى الحد الذي بيع فيه السيف بنصف درهم ، والفرس بخمسة دراهم ، وقسم المنصور الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع[٦] .

وقد امتنّ يعقوب المنصور على أسراه فأطلقهم جميعاً بلا فداء تمنناً وتفضلاً وإظهاراً لتسامح الإسلام ورحمته ، وهو خطأ استراتيجي بالغ الخطورة جعل أشياخ الموحدين يعلنون عن تذمرهم وعدم رضاهم وهو ما اعتبر تاريخياً « سقطة من السقطات » ، بل إن المنصور نفسه قد أعلن في آخر أيامه ندمه على هذه الفعلة مدركاً أن هؤلاء لا بد أن يتحفزوا يوماً للثأر .

أما الملك القشتالي المهزوم فلم يكد يصل طليطلة حتى أعلن حالة الحداد ، فحلق رأسه ولحيته ، ونكس صليبه ، وحلف ألا ينام على فراش ، ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرساً أو دابة حتى يأخذ بالثأر ، وصار يجمع الجموع من البلاد البعيدة ويستعد[٧] ، وكان المنصور له بالمرصاد فراح في العام التالي يشن الغارات ويتوغل شمالا في أرض العدو ، فاتحاً القلاع والحصون ، حتى وصل طليطلة وحاصرها وضربها بالمنجنيق . ويذكر صاحب « نفح الطيب » أنه لم يبق له إلا فتحها « فخرجت إليه والدة الأذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألنه إبقاء البلد عليهن ، فرق لهن ومنّ عليهن بها ، ووهب لهن من الأموال والجواهر ما جل ، وردهن معززات مكرمات »[٩] .

ولكن الأستاذ محمد عبد الله عنان يرفض هذه الرواية ويعلل رفع الحصار عن طليطلة بسبب تفشي المرض بين المسلمين ، واشتداد الجوع لقلة المؤن ، إذ كان الإسبان خلال هزيمتهم يحرقون ويدمرون كل شيء ، وكذلك ما ترامى إلى المنصور عن حدوث اضطرابات بالمغرب مما جعله يتعجل الرجوع وهذا ما حال دون مواصلة الجيش الإسلامي زحفه ، إذ إن كل الدلائل كانت تشير إلى عزم المنصور على استئصال شأفة النصارى ، وقطع دابرهم[١٠] .

وليس هناك ما يدعو إلى رفض رواية صاحب « نفح الطيب » خاصة أن يعقوب المنصور قد أقدم على ما هو أغرب من ذلك حين أطلق في ساعة واحدة أربعة وعشرين ألف أسير ، كما أنه لا يوجد ما يمنع وجود هذه الأسباب مجتمعة .

خاتمة

وبعد ، فقد ظلت الأندلس وحماية الإسلام فيها الشغل الشاغل ليعقوب المنصور ، وليس أدل على ذلك من وصيته لأشياخ الموحدين حين حضرته الوفاة « فجمع بنيه والموحدين ووصاهم قائلاً : أوصيكم بالأيتام واليتيمة . فقال له الشيخ **عبد الواحد الهنتاني** : وما الأيتام واليتيمة ؟ قال : اليتيمة الأندلس والأيتام أهلها ، فإياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الأسوار ، وحماية الثغور ، وترتيب أجنادها ، وتوفير رعاياها ، ولتعلموا أعزكم الله تعالى أنه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها ، ولو مد الله لنا في الحياة لم نتوان في جهاد كفارها حتى نعيدها دار إسلام ، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى وحسن نظركم فيها فانظروا للمسلمين وأجروا الشرائع على منهاجها »[١١] .

وكانت وفاته بمراكش سنة **٥٩٥ هـ** . . رحم الله الخليفة المؤمن العالم المجاهد العادل أبا يوسف يعقوب المنصور بطل معركة الأرك الخالدة التي تعتبر واحدة من كبريات المفاخر في تاريخ الملاحم الإسلامية .

الهوامش

(١) عصر المرابطين والموحدين بالمغرب والأندلس ، محمد عبد الله عنان ، القسم الثاني ، عصر الموحدين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، عام ١٣٨٤ هـ ، ص ١٩٧ .

(٢) مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، محمد عبد الله عنان ، ص ٣٧٨ .

(٣) الأغزاز جاءت من الغز بطون تركية كانت تشكل فرقاً عسكرية مرتزقة تضع خدماتها تحت يد من يبذل لها العطاء ، كما أنها تعتبر عملها هذا جهاداً في سبيل الله .

(٤) عصر الموحدين ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ ، فضلاً عن « روض القرطاس » و « نفح الطيب » .

(٥) المصدر نفسه ، نقلاً عن « البيان المغرب » .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٧) نفح الطيب ، المقري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الجزء الأول ، ص ٤١٨ .

(٨) نفح الطيب ، نفس الصفحة .

(٩) المصدر نفسه .

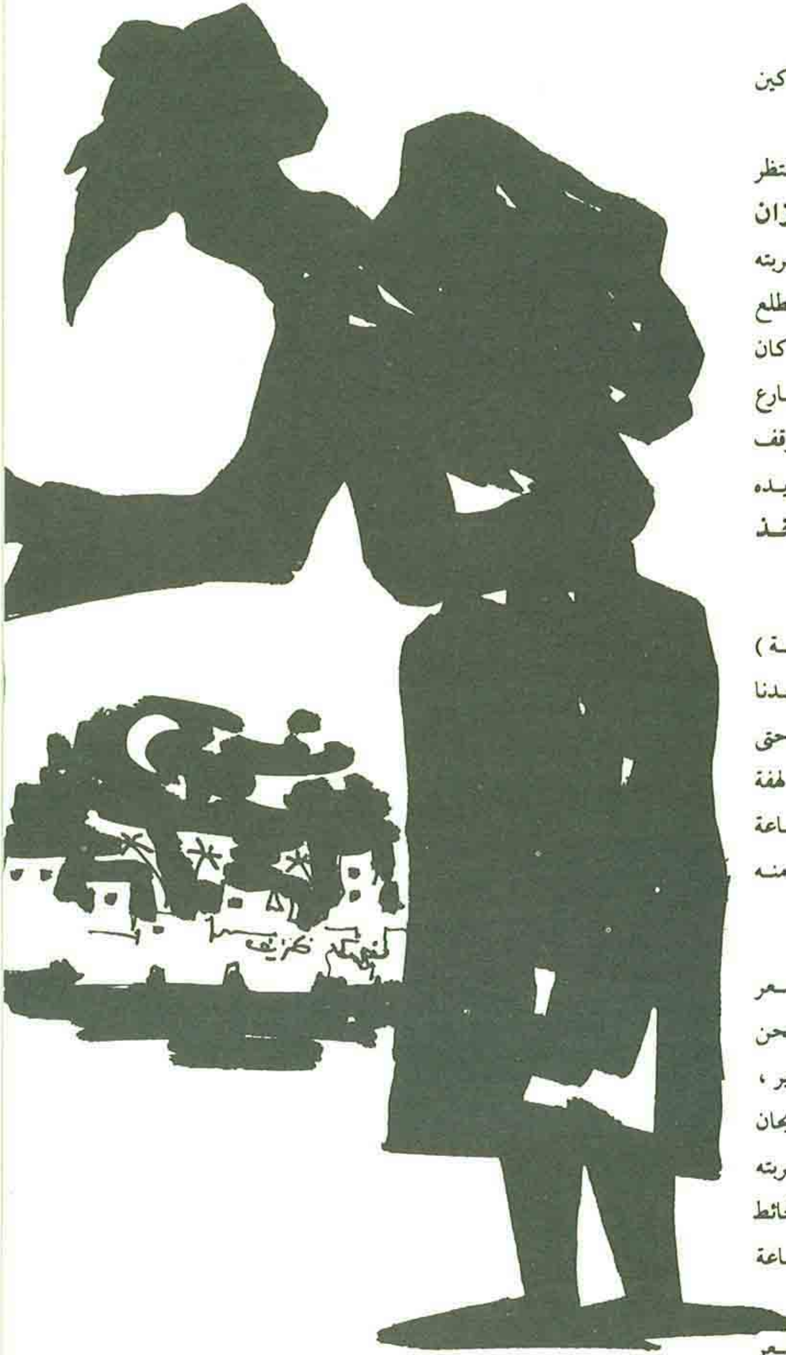
(١٠) مواقف حاسمة ٣٧٩ ، وكذلك عصر الموحدين ، معركة الأرك ، مصدران سبقت الإشارة إليها وكلاهما لعنان .

(١١) الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، المغرب ، ص ١٦٠ .



أبو ريحان السقا

بقلم: أحمد السباعي



كنا نشهده ونحن مصعدون في ضحوة النهار المبكر إلى مدرستنا (**الراقية**) على كتف جبل هندي .

نشهده في أغلب أيامنا منحنياً تحت **قربته (الشعاري)** الكبيرة ينقل خطاه في تثاقل تحت وطأتها متوكئاً على عصاه القصيرة كأنها رجل ثالثة أرادها ليخالف بها من يمشي على رجلين أو على أربع .

وربما بلغ أبو ريحان منتصف « الدحديرة » الصاعدة إلى جبل هندي قبلنا ، فيقف إلى دكة هناك هيأها السقاةُ لراحتهم وهي على ارتفاع خاص يسامت ظهورهم إذا وقفوا إليها وجعلوها كمحطة تستريح عليها « قربهم » ليما تهدأ أنفاسهم من عناء التصعيد ثم يستأنفون صعودهم .. إلى بيوت الجبل .

وكنا شلة من صغار الطلبة تجمعنا الشقاوة وحب العبث بعم ريحان دون جميع السقاة الصاعدين أو الهابطين في جبل هندي .

كان أبو ريحان يمتاز بقربة تتعدد ثقوبها بشكل غريب فلا تفتأ ترش الشارع خلفه وجميع ما يتصل بالشارع من مشاة أو بضائع تحتل الطريق أمام دكاكين أصحابها .

وكان من عبثنا أن ننتظر عم ريحان آتياً من « **بازان الشامية** » يحمل قربته الرشاشة .. ننتظره في مطلع الجبل إلى جوار دكان هناك كان يفترش جزءً من الشارع ببضاعته .. حتى إذا أقبل وقف أحدنا لاصقاً بالحائط وفي يده شيء من النبق ماداً يده : « **خذ يا عم ريحان** » .

وعم ريحان (نفسه رتعة) لا يكاد يرى النبق في يد أحدنا أو قطعة من « الجزر اليماني » حتى يميل بخطوة ناحية الواقف في لهفة فيتصوب الرشاش إلى بضاعة الدكان وينال زنبيل الدقيق منه الكثير الذي يعجنه .

ولا يكاد أبو ريحان يشعر بالمقلب الذي نسوقه إليه ، فنحن نعرف أن صاحب الدكان شرير ، وأنه يكفي لإثارته ضد عم ريحان أن نسوق عم ريحان بقربته الرشاشة إلى ما يقرب من الحائط ليتصل رشاش القربة ببضاعة عمنا الشرير .

لا يكاد أبو ريحان يشعر بمقلبنا فالقليل من النبق يذهله



وينسيه ما قاساه أكثر من مرة من أهوال الرجل .

ويمضي أبو ريحان في تصعيده ، فتتكتل خلفه معرضين أثوابنا النظيفة ودفاترنا وكتبنا لرشاشه اللذيذ ، وربما تدافعنا خلفه ووقع بعضها بين رجليه فتعثرنا واختل توازنها فيصرخ فينا مهدداً متوعداً ، ولكن قطعة من الجزر نضعها في فمه وهو يمضي منحنياً أمامنا تحت القربة كافية لأن تنبسط أساريره وربما استغرق في الضحك .. وهو يقضمها بشرو .

ويزيد ضحكه إغراقاً إذا « مسكنا الزومان » خلفه على حركة أيدينا وهي تصفق : **« أبو ريحان .. يا ساقي العطشان .. شفتك في الدرجان .. تفالط رمضان » .**

أنا شخصياً أشهد أن الرجل لا يفطر رمضان رغم ما يعاني من ثقل القربة ومشاوير الجبل ولكنه طيب إلى أبعد حدود الطيبة والتغفيل ، ولا يهمه من أمر هذه الحياة إلا أن يجمع الهللة فوق الهللة ، وأن تسخو يد الصغار له بشيء من **« الفشار »** أو **« طبطاب الجنة »** أو حق **« فوفلة »** يضعها بين فكيه في غير وقت الصيام فتسببه وتسري عنه كل الهموم التي يعانيها من شقاوة الأطفال ..

وكان لفرط سذاجته كثير الإساءة إلى عملائه وزبائنه .. إنه لا يقصد إساءة الناس ، ولكن سذاجته كثيراً ما تسوقه إلى أذى الناس كما شهدناه يرش دقيق صاحب الدكان بدافع من شراهته لقطعة من الجزر لوحنا له بها .

وقد يشاغبه طفل فيرميه بعصاه التي يتوكأ عليها فتصادف رأس الطفل أو أنفه فيمضي باكياً إلى أهله ، أو ترتطم عصاه بأحد المارة ، أو ببضاعة أحد الباعة ، أو بمرآة معروضة في السوق ، فيركبه الخطأ ، وتنهال عليه الشتائم ، ثم تتصل الشكاوى **بشيخ السقاة « بعلولة »** فيطبق عليه القوانين دون أن يثبت له شيء لفرط عيه وضعفه في الدفاع .

وكان السقاة في مكة جلهم أو كلهم بالأصح عبيد أو عتقاء أو مولودون من العبيد والعتقاء على غرار عم ريحان ، وقلما يوجد بينهم من بدو الحجاز الذين التحقوا بهم فيما بعد ليحملوا الماء في صفائح .. كان حمل القربة وقفاً على هؤلاء السود ، فحملها لا يرق لاحترافه البدو الطارئون .. يكفي أن يبيحوهم العيش على هامش البازان ، دون أن يربطوهم بقواعد السقيا وقوانينها .

ربما أخطأ البدوي على زبون فحسب **شيخ البازان** توبيخه أو منعه من السقيا ، أما إذا أخطأ الأسود من أمثال عم ريحان فعلى شيخ البازان أن يعامله معاملة الأصيل فلا يستبيح توبيخه أو منعه من السقيا حتى يحيل قضيته إلى **الجمعية العمومية** لتسمع له أو عليه ثم تقرر ما يفرضه القانون .

وتتكون الجمعية العمومية من سائر سقاتنا السود ، ولا يجوز لحامل صفائح ، مهما بلغ شأنه ، أن يحضرها فهو ليس من فصيلة العبيد الأصلاء في البازانات .

وتتكون الجمعية عند اللزوم بدعوة من شيخ البازان في حلقة على التراب مستديرة على خطوات من البازان يتصدرها شيخ البازان على يمينه وشماله أعضاء الميمنة والميسرة حسب أصالتهم وأقدميتهم في البازان ثم يأتي بعدهم بقية السقاة يحتلون مقاعدهم حسب ما يعرفون من مراكزهم ، وربما أبيح لبعضهم أن يأخذوا مقاعدهم من بعض الحجارة التي يصادفونها إذا كانوا كبار السن أو المقام ، ويتورك الباقون على بساط الله فوق التراب .

وتتوسط الحلقة فروة مسجاة يقف **نقيب البازان** بجوارها على العصا .. عصا القانون الخاصة بالتنفيذ ، وعندئذ تفتح الجلسة .

يفتتحها الرئيس : **« هذا اخوكم أبو فرج الله ، أو أبو سنكيت ، أو أبو ريحان ، أخطأ في حق الشيخ فلان .. أخر عليه (المويه) أو كسر له الزير أو داس في بطن الغنمة أو أطال لسانه على الولد الصغير .. وقد وصلني الشيخ يطلب الحق .. ايش تشوفوا » .**

وهنا يميل أعضاء اليمين ليتهامسوا ، وأعضاء اليسار ليتخافتوا ثم يهيب أحد الكبار : **« طيب يا شيخ نسمع منه .. » .**

وهم يقصدون أن يسمعوا من المتهم لأن المدعي لا يلزم بالحضور وحسبه أنه رفع حجته إلى الشيخ البازان وعلى المتهم أن يدافعها .

والغريب في أمر المدعي أنهم يفرضون صدقه في أكثر الأوقات

لأنه زبون وللزبون حرمته وقيمته، ولأن قانونهم لا يحب التهاون في ملاحقتهم ولو للشبهة أو الظنة مبالغة في تربيتهم على الأدب في معاملة الزبائن وغير الزبائن من آحاد الناس.

بهذه الروح تستمع الجمعية إلى دفاع المتهم فلا تقتنع إلا بتأديبه وعندئذ يدعى إلى **الفروة التي تتوسط الحلقة** فيتوسدها مبطوحاً على وجهه ويشرع النقيب عصاه ويبدأ الجلد.

وأي جلد هو؟؟ لقد كنت أتمنى إلى مشايخنا في المدرسة أن يتعلموا تقليده.. فليس ثمة خيزرانة لدنة تترك أثرها في الجلد بين اللازوردي والأزرق كما كان الحال في مدارسنا، بل هي **قطعة من الغاب** أو ما يشبه الغاب يوازي ثخنها ثخن المواسير ذات البوصة لو ضرب بها الأطفال من أمثالي يومها عشر لما وازت لسعة واحدة مما كنا نذوقه من أيدي مشايخنا.

ولهم في الجلد أساليب رحيمة.. إن يد الضارب لا تنفصل عن إبطه وهو إذا ضرب ثلاثاً في الألية اليمنى انتقل إلى الجانب الآخر ليضرب مثلها في الألية اليسرى، ولا يطول الجلد في الغالب إلى أكثر لهذا فقانونهم الصارم يبيح للمتفرجة حول الحلقة أن يقدموا إلى الحلقة أي عود أخضر ولو من حزم البرسيم ليشفع العود الأخضر للجاني فيتوقف الجلد.

وكان قانونهم بقدر ما أراد أن يكون صارماً محتاطاً للشبهة أبى إلا أن يمد للرحمة في أسلوب الجلد وتعطيله عند أي رمز يقدم للشفاعة.

وكان صاحبنا أبو ريحان وافر الحظ في حلقة التأديب فلا يكاد يقضي يوماً أو اثنين حتى نسمع أنه مطلوب «للبداية»، والبداية في عرفهم هي الجمعية العمومية التي تدينه لأتفه الشكاوى ويعجز لفرط عيه وقسوة القانون عن الدفاع فيفترش الفروة وسط الحلقة مستعيناً بالله على حكم الجلد،



ولكنه لا يكاد يذوق الجلدة الأولى أو الثانية حتى تتهافت أعواد البرسيم على الحلقة من المتفرجة وأكثرهم يعطفون على بلاهته ويعرفون أن شراهته لما في أيدي الصغار من حلوى أو «نقل» وحرصه على ملاحقة الكسب الرخيص وإمساكه على (الهللة) بعد الأخرى، كلها أشياء تعرضه بالإضافة إلى بلاهته إلى الشغب وعبث الناس به حتى يقابحهم أو يتورط رغم ضعفه في مضاربتهم.

ومضت سنوات طويلة ابتعدت أثناءها عن المدرسة ونسيت (أبا ريحان) حتى كنت في أحد الأيام أزور **مستشفى أجياد** فإذا جلبة عالية.. وإذا أناس يتجمعون حول سيارة الإسعاف عند باب المستشفى فوقفت أنظر، فإذا أبو ريحان منقول على حمالة الإسعاف في حالة يبكي لها الفؤاد، وإذا طائفة من كبار السقاة على رأسهم **شيخهم (بعلولة)** يتبعونه في أسى صامت فوجدتني أتابعهم بدافع من علاقة الطفولة حتى إذا استوى فوق أحد الأسرة فتح عينيه في ضعف فلما رآني بين الوقوف انفرجت شفتاه في ألم بالغ: «**يا ولد سيدي.. شوفي الله يخليكي ليش جابوني هنا.. أنا ما سويت شي!!**».

مسكين.. لقد اصطلحت عليه السذاجة وهذيان الألم فاختلطت عليه الأمور.

وملت إلى أحد «**سناديله**» أستفسره الأمر، فراح يشرح لي ما أصابه، عاش أبو ريحان محروماً من لذة العيش يجمع الهللة إلى الهللة، ولا يسخو لنفسه بلقمة طيبة يشتهيها فاستغل أحد الشطار لؤمه وراح يدعوه إلى أطايب الأكل في براءة جازت على سذاجته حتى إذا تمكن من قلبه، وسيطر على عقله، استطاع بأسلوبه الخلاب أن يستولي على ذخيرة أبي ريحان حصيلة العمر على أن يحفظها له ويقدم له من أرباحها ما يشتهي من لذائذ العيش، فلما باتت في يده لم يبرح حتى تنكر له ومنعه حتى رغيف العيش الحاف.

واحتدم أبو ريحان غيظاً وارتفعت عقيرته فألهب حماس الشاطر وصاح به:

«**روح.. مالك عندي شي**».

فكانت صدمة نقلت أبا ريحان إلى المستشفى ليواجه ذهول الموت.

بينما السيارة تنتظر



بقلم : أو . هنري
ترجمة : فرج حكيم

عندما بدأت فترة الغروب ، وبدون إبطاء ، جاءت الفتاة التي ترتدي الملابس الرمادية مرة أخرى ، إلى ذلك الركن الهادئ من هذا المتنزه الصغير الهادئ . جلست فوق المقعد الخشبي ، أخذت تقرأ كتاباً ، فقد كان أمامها حوالي نصف الساعة من الضوء يمكنها أن تقرأ خلالها .

كانت ترتدي ثوباً رمادي اللون بسيطاً ، لكنه كان رائعاً وملائماً يدل على ذوق رفيع ، أحاطت رأسها ووجهها بقبعة يلفها خمار على شكل شبكة تتدلى حتى تغطي الوجه كله الذي كان يبدو مشرقاً من خلال الخمار في جمال هادئ طبيعي .

جاءت إلى هذا المكان في نفس الموعد الذي جاءت فيه أمس ، وأول أمس .

أما الفتى الذي كان على علم بهذا الموعد اليومي فكان منتظراً قرب المكان . وقد كوفئ من أجل صبره ومثابرته ، **إذ وهي تقلب صفحات الكتاب ،** ألقت الكتاب من بين أصابعها ووقع بعيداً عن المقعد بمقدار ياردة كاملة .

فأمسك الشاب بالكتاب في جرأة تكاد تقرب من الوقاحة ، وأعاده إلى صاحبته ، وقد بدا في عينيه نظرة كلها شهامة وأمل ، وهي نظرة لا يجيد تمثيلها إلا خبير ، اعتاد على التودد إلى النساء . وفي صوت لطيف تقدم وأبدى ملاحظة بسيطة عن الجو – ذلك الموضع التقليدي الذي استخدمه الكثيرون كوسيلة للتعارف ، وكان مسؤولا عن تعاسة الكثيرين في العالم – ووقف الفتى لحظة ينتظر قدره .

أخذت الفتاة تفحصه في روية ، وهو في سترته الأنيقة العادية ، وملامح وجهه التي لا تظهر تعبيراً معيّناً .. ثم ما لبثت أن قالت في تؤدة وبصوت رنّان :

– يمكنك الجلوس إذا كنت ترغب . وفي الحقيقة أفضل أن تفعل ذلك ، فالضوء أصبح لا يصلح للقراءة ، وأفضل التحدث إلى شخص ما .

فانزلق بجوارها على المقعد وهو في غاية الأدب .

وجه إليها الحديث مستخدماً الصيغة التي يفتتح بها رؤساء مجالس الإدارة اجتماعاتهم الهامة :

– اتعلمين أنك أجمل فتاة شاهدتها منذ وقت طويل ؟ كنت أراقبك أمس ، لم يدر بخلدك أن هناك إنساناً صرعته هذه العيون الجميلة المشرقة ؟ هل أحسست بهذا الإنسان ، أيتها الزهرة العطرة ؟

فأجابت الفتاة في لهجة يشوبها البرود :

– أيًّا كنت يا هذا ، يجب ألا تنسى أني سيدة محترمة ، ولسوف ألتمس لك العذر على هذا الكلام

أو – هنري

أو – هنري ، هو الاسم المستعار لوليم سيدني بورتار (١٨٦٢ – ١٩١٠ م) ، وهو واحد من أشهر كتّاب القصة الأمريكيين ، وهو ابن طبيب ، لكن حياته كانت مضطربة لم تعرف الاستقرار ، فقد عمل مساعداً لأبيه كصيدلي ، ثم مشرفاً على الماشية في إحدى المزارع ، ثم صرافاً في بنك . هاجر إلى أمريكا الجنوبية ، لكنه عندما عرف بمرض زوجته ، فعاش في فقر مدقع ، كتب القصة القصيرة ليمول نفسه ، وأخيراً مات بداء السل .

ويرغم أن حياته كانت في حد ذاتها ، مأساة إلا أنها زودته بقدر واف وعميق عن أخلاق البشر ، خاصة سكان المدن الكبرى ، الذين هم ، في حقيقة الأمر ، أناس تعساء .

وككاتب قصة ، يتميز وليم سيدني بورتار ببراعته في استخدام سخرية القدر ومفارقاته العجيبة ، وعرف أيضاً بمهارته في نسج « الحبكة القصصية » . وفي عام ١٩١٨ م ، كرّمته الجمعية الأدبية الأمريكية ، فأنشأت باسمه جائزة سنوية تمنح لأحسن كاتب قصة قصيرة في أمريكا .

وفي هذه القصة « بينما السيارة تنتظر » تظهر براعة أو – هنري في رسم النهاية التي لا يتوقع حدوثها أحد .



الذي قلته تواً، فما لا شك فيه، أنك في الوسط الذي تنتمي إليه، تعتبر مثل هذا الخطأ شيئاً عادياً. فإذا كنت قد ظننت أن دعوتي لك للجلوس، تجعلني في نظرك عشيقتك، فاعتبر أني قد سحبت هذه الدعوة.

فقال الفتى متوسلاً:

– من صميم القلب، أرجو أن تصفحي عني: لقد كانت غلطتي أنا. أنت تعرفين أن هناك دائماً فتيات في المتنزهات العامة، بالطبع أنت لا تعرفين، أقصد، ولكن...

– من فضلك. اترك هذا الموضوع جانباً. بالطبع إني أعلم كل شيء.. والآن خبرني، عن هؤلاء الناس الذين يمرون ويتدافعون بالمناكب في ممرات الحديقة، أين هم ذاهبون؟ لماذا هم في عجلة؟ وهل هم سعداء؟

ولم يكن بوسع الفتى أن يحزر الدور المتوقع منه أن يقوم به، بيد أنه قال:

– إنه من الممتع حقاً مراقبة هؤلاء الناس. إنها مسرحية الحياة العجيبة. البعض ذاهب لتناول العشاء، والبعض إلى.. إلى.. أماكن أخرى. إن الإنسان ليعجب ما هي حكاية كل منهم.

فأردفت الفتاة:

– ليت أدري، فأنا لست فضولية إلى هذا الحد. إني أحضر للجلوس هنا، حتى يمكنني أن أكون قريبة من قلب الإنسانية الكبير النابض، لعامة الشعب العادي. إن القدر اختار لي، أن أقوم بدوري في الحياة، حيث لا يشعر أحد بدقات القلب.

هل بوسعك أن تعرف لماذا تحدثت إليك يا سيد...؟

فأجاب الفتى على الفور:

– باركين ستيكار.. اسمي باركين ستيكار.

ثم نظر إليها في لهفة نظرة مفعمة بالأمل. فقالت الفتاة وهي تشير بإصبع نحيل، وعلى وجهها ابتسامة هزيلة:

– كلا، سوف تعرف السبب في الحال.. أصبح من المستحيل أن أخفي اسمي عن الصحافة ولا حتى صورتي.. هذا الخمار، وهذه القبعة. وقد استعرتهما من وصيفتي، يمكن أن تخفيا شخصيتي الحقيقية. لا بد أنك قد شاهدت سائق سيارتي الخاصة وهو يحملق في القبعة، ويظن أني لا أراه.. بصراحة: يوجد خمسة أو ستة أسماء هي الأسماء البارزة في المجتمع، وبحكم مولدي، فإن اسمي هو أحد هذه الأسماء. لهذا تحدثت إليك يا سيد ستاكينيوت.

فقاطعها الفتى في تواضع مصوِّباً الاسم:

– باركين ستيكار.

– كنت أقول يا سيد «ستيكار»، إني تحدثت إليك، لأني كنت أرغب في أن أتحدث، ولو مرة واحدة، إلى رجل على سجيته، رجل لم تفسده الثروة، ويعتبر من علية القوم. أوه. أنت لا تعلم كم أعاني من هذا.. لقد مللت الأمر كله.. أينما نظرت لا تجد إلا المال والحديث عن المال.. والرجال الذين يحيطون بي، إنهم يرقصون كالعرائس الخشبية، كلهم نموذج واحد لا يتغير.. إني أشعر بالغثيان.. لقد مللت من الملذات، من الجوهرات، من الرحلات، من المجتمع ومن الترف بكل أنواعه.

فقال الشاب في تردد:

– كنت دائماً أعتقد أن المال لا بد أن يكون شيئاً لطيفاً.

– إذا كان لديك المال الذي يكفي لأن تعيش مستريحاً رضي البال، فهذا شيء مرغوب فيه، ولكن عندما يكون لديك الملايين الكثيرة جداً لدرجة أنك.. وختمت جملتها بإيماءة تنطق باليأس.

ثم استطردت:

– إن الرتابة في هذا الترف المتصل هو الذي يضجرني: تصور حياة كلها قيادة سيارات فاخرة، حفلات عشاء إلى جانب حفلات المسرح، والحفلات الراقصة.. وكل هذا يتحرك مغلفاً بالثروة المفرطة التي تحيط به. أحياناً نفس رنين قطع الثلج في كأس العصير يكاد يدفعني إلى الجنون.



وعندما قالت هذا بدا على وجه **باركين ستيكار** الاهتمام بشكل واضح ، وبادر بالقول :

ـ أحببت دائماً أن أسمع وأقرأ عن الأثرياء وعلية القوم وكيف يعيشون ، فإني أسعى لأن أتمثل بهم قليلاً ، إذ إني معجب بحياتهم وطرق معيشتهم ، لكني أود أن تكون معلوماتي عنهم مضبوطة .. لقد كنت أعتقد أنهم يثلجون العصير في القنينة ، وليس بوضع الثلج في الكوب .

فأطلقت الفتاة ضحكة ممتعة ، فيها جرس الموسيقى ، وأخذت تشرح له في طول أناة :

يجب أن تعلم ، أننا نحن أفراد الطبقة العاطلة ، نعتمد في لهونا على التغيير والتبديل .. إن الطريقة المتبعة الآن في أوساطنا الراقية هي وضع الثلج في العصير .. والذي ابتدع الفكرة هو ذلك الضيف العظيم ، **أمير تارتاري** ، بينما كان يتناول العشاء في فندق **وولدورف** ، ومن ثم ، سوف ينتهي استخدام هذه الفكرة قريباً جداً ، لتحل محلها فكرة جديدة أخرى ، تماماً كما حدث في حفل عشاء هذا الأسبوع في شارع **ماديسون** ، فقد طلعوا علينا بفكرة جديدة ، إذ وضعوا قفازاً أخضر أمام كل ضيف ، كي يرتدي القفاز في يده أثناء تناوله حبات الزيتون .

فسلّم الفتى في تواضع قائلاً :

ـ فهمت .. فهذه التسليات الخاصة بعلية القوم ليست معروفة لعامة الشعب .

فاستطردت الفتاة ، وهي تعبّر عن شكرها له لاعترافه بجهله ، بإيماءة خفيفة :

ـ لقد فكرت في بعض الأحيان ، أنه لو حدث وأحببت رجلاً ، فلسوف يكون واحداً من الطبقة الدنيا ، رجلاً يعمل وليس عاطلاً . ولكن مما لا شك فيه ، فإن متطلبات الثروة ومقتضيات النظام الطبقي المتميز ، والذي يعتمد اعتماداً كلياً على الثروة ، سوف تغلبني على أمري ..

ثم قالت مستدركة :

ـ ما الذي جعلني أصرح لك بمثل هذه الأشياء يا سيد باكينستاركار ؟

فأجاب الفتى برفق :

ـ اسمي باركين ستيكار . في الحقيقة ، لا يمكنك أن تعرفي كم أقدر ثقتك الغالية هذه .

فرمقته الفتاة بتلك النظرة الهادئة المجردة التي تميّز الفرق بين مركزيهما الاجتماعي . ثم بادرته بالسؤال :

ـ ما مجال عملك يا سيد باركين ستيكار ؟

ـ مهنتي مهنة متواضعة جداً ، ولكن عندي أمل أن أبلغ مرتبة أسمى . ولكن اسمحي لي : هل كنت حقاً جادة ، عندما قلت إنه بوسعك أن تحبي ذا مركز متواضع ؟

ـ طبعاً كنت جادة في قولي . ولكنني قلت إنه « من الممكن » . هناك دوق عظيم ، وماركيز يطاردانني . نعم لا يهمني أن يكون مركز الرجل الاجتماعي متواضعاً ، لو كان هو الرجل الذي ترغبه نفسي .

فأعلن مستر باركين ستيكار صراحة :

ـ إني أعمل في مطعم .

فجفلت الفتاة قليلاً ، وقالت مناشدة متوسلة :

ـ لست نادلا بالطبع ، تقوم على خدمة الزبائن أو ما شابه ذلك ؟ حقاً إن العمل شيء نبيل ، ولكن الخدمة الشخصية ، أنت طبعاً تعلم .. خادم خصوصي و ...

ـ لست نادلا . إني أعمل أميناً للصندوق في (فيما وراء الجانب الآخر للمتنزه كانا يواجهان لافتة تلمع بالحروف الكهربائية لكلمة « مطعم ») أنا أمين صندوق ذلك المطعم الذي تشاهدينه هناك .

فألقت الفتاة نظرة عجلى على ساعتها الصغيرة المثبتة في سوار معصمها الأيسر . ونهضت مسرعة ، ودفعت بكتابها داخل حقيبة ضيقة لامعة . ثم سألته :

ـ لماذا أنت غير موجود في عملك ؟

فأجاب الفتى :

ـ عندي نوبة عمل

ليلية . أمامي ساعة قبل أن تبدأ فترتي . هل هناك أمل في أن أراك ثانية ؟

ـ لا أعلم . ربما . لكني أخشى أن لا تتملكني الرغبة في أن أراك ثانية .

لا بد أن أذهب بسرعة الآن ، فأمامي حفل عشاء ، والمقصورة في المسرح تنتظرني أيضاً .. و ... أوه ... نفس الجولة المعتادة . ربما تكون قد لاحظت سيارتي الخاصة ، عند الركن القصي من المتنزه ، عند مجيئك ، تلك التي لها الهيكل الأبيض ؟

فسأل الفتى متفكراً وقد عبس وجهه :

ـ والإطارات الحمراء ؟

ـ نعم ، إني دائماً آتي في هذه السيارة . أن بيير ينتظرني هناك . وهو يعتقد أني أتبضع (أتسوق) في المتجر الموجود عبر الميدان . تصور حياة فيها نضطر حتى إلى خداع السائق الخصوصي للسيارة .. تصبح على خير .

فسارع مستر باركين ستيكار يقول :

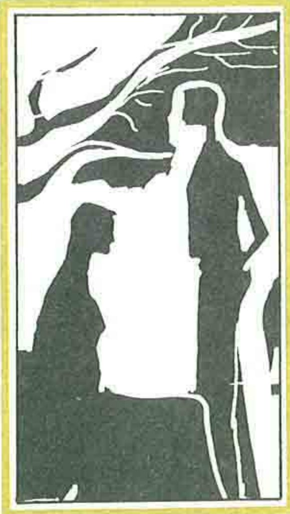
ـ ولكن الوقت ظلام الآن ، والرجال السفلة يملأون المتنزه ، أتسمحين لي بأن أسير ... ؟

فأوقفته في حزم ، وهي تقول له :

ـ إذا كان لديك أقل تقدير لرغباتي الخاصة ، فإنك سوف تبقى هنا ، عند هذا المقعد ، لمدة عشر دقائق ، بعد أن أكون قد انصرفت . إني لا أقصد أن أتهمك بأي شيء رديء ، ولكن ربما تعلم أن السيارات الخاصة عادة ، تحمل كل منها العلامة المميزة لأصحابها (الحروف الأولى من أسمائهم) : مرة ثانية تصبح على خير .

وأسرعت في أبهة تسير خلال الغسق . وظل الفتى يراقب عودها الرشيق ، إلى أن وصلت إلى الطوار عند حافة المتنزه ، وسارت إلى الأمام في موازاة الطوار ، نحو المنعطف حيث تقف السيارة ، ومن ثم في خفية ، وبدون تردد بدأ هو يتسلل بمحاذاة الأشجار ، وفي طريق موازية لخط سيرها ، بحيث لا تغيب عن بصره لحظة واحدة .

عندما وصلت إلى المنعطف ، أدارت رأسها لتلقي نظرة على السيارة ، ثم تجاوزتها واستأنفت مسيرتها عبر الشارع . وظل الفتى يتتبع تحركاتها عن كثب وهو متستر خلف مركبة واقفة . اجتازت الطوار المواجه للمتنزه ، ثم دلفت إلى المطعم ذو اللافتة المضيئة . وقد كان المكان ساطعاً مبهراً ، كله زجاج ودهان أبيض رخيص ، حيث يتناول فيه أي شخص وجبات رخيصة .



دخلت الفتاة المطعم ، واجتازت إلى أقصى مكان في المؤخرة ، ثم عادت منه بسرعة بدون قبعتها وخمارها ، متجهة إلى مكان **أمين الصندوق (الصراف)** الذي كان في واجهة المطعم تماماً . ومن المقعد هبطت فتاة ذات شعر أحمر وهي تنظر عامدة إلى الساعة . وصعدت مكانها تلك الفتاة ذات الرداء الرمادي .

ودفع الفتى بيديه داخل جيوبه ، وعاد وئيداً بمحاذاة الطوار . وعند المنعطف اصطدمت قدمه بمجلد صغير مغلف بالورق ، ملق هناك . ومن الصورة الرائعة التي كانت تغطي الغلاف ، عرف أنه هو نفس الكتاب الذي كانت الفتاة تقرأ فيه ، وهي جالسة في المتنزه ، التقطه بغير اكتراث وقرأ عنوان الكتاب : **« ليالي ألف ليلة وليلة الجديدة »** ، واسم مؤلفه : **« ستيفنسون »** ، فألقاه على العشب ثانية . ووقف متردداً لمدة دقيقة ، ومن ثم تقدم نحو السيارة البيضاء ذات الإطارات الحمراء ، واستلق على الوسائد ، وألق بكلمتين إلى السائق : **« إلى النادي يا هنري »** .

الحائط



بقلم : محمد كمال محمد

قال أبوها منذراً :

ـ تسافرين مع السيدة !

كانت تخفض رأسها للأرض الطينية .. سرقت نظرة لقدمي المرأة الجالسة جوار أبيها على الدكة العارية .. لا يريد أبوها أن تقول لا ..

هزت رأسها دون أن تقدر على كلمة .

كانت أمها خلفها ، تفترش أرض الفناء عند باب حجرتهم المعتمة ..

لم تسمعها تنطق بشيء .

ردد أبوها الكلمة صائحاً .. ارتفعت يده في الهواء ، وهبطت على رأسها .

انتفضت باللطمة .. تراجعت في خوف حتى وقفت بجوار أمها .. ودت أن تسمعها تقول لأبيها كلمة ليلة الأمس :

ـ صغيرة لا تعرف .

احمرت عيناها دون أن تدمع .

كان أبوها يهدر بالصياح : لماذا لا تعرف .. إنها الكبيرة بين أخواتها .. من أين يأتي لهن باللقمة .

كانت أختها الصغيرة في حجر أمها ترضع من ثديها اليابس .

قالت المرأة إنها ستعطيها أجراً مرضياً .. ستأكل عندها طعاماً طيباً .. تنام وحدها في فراش .

رفع أبوها ذيل جلبابه عن ساقيه المتورمتين .. لطمهما بكفيه صائحاً : إنها ترى حاله .. الطريق لم يعد يراه .

قالت له أمها ليلة الأمس :

ـ كانت تحزن لأجلك .. تصحو في الفجر لتخرج خلفك دون أن أراها .. تنادي بدلا منك على المسافرين في موقف العربات .. تجري خلف السائقين لتأخذ أجرك .. تعود معك آخر النهار ، تقول لي بحنان : إنها أجلستك هناك لترتاح ..

قلبت المرأة يدها لتنظر في ساعتها .. قالت تتعجل أباها :

ـ لم يعد غير ساعة على موعد القطار .

كانت عين المرأة على وجه أبيها ، ترقب بلهفة كلمته .

قال أبوها :

ـ البنت مسافرة معك !

التقط عصاه من جواره .. رشقها بنظرة .. هز العصا .. تلوّن وجه المرأة بفرحة ، نهضت واقفة .. وقفت أمها لوقوف المرأة وهي تنقل أختها إلى كتفها .

ـ البنت صغيرة بعد .. دعها بيننا .

تمنّت أن تسمعها ثانية من أمها .

كانت أمها تخفض نظرتها إلى الأرض .

قالت بحزن : **« لا أريد أن أذهب »** دون أن تتحرك شفتاها .





كان كل ما حولها في عربة القطار المهتزة كئيباً بغيضاً .

كانت تجلس في جوار المرأة تتولد الأشياء داخلها .. كانت تحدق قلقة في صورة تخيّلتها للبيت الذاهبة إليه .. وكانت تقلب الكلمات في رأسها كالمرأة خائفة .

زحفت على جلد المقعد الناعم بمؤخرتها الضامرة ، مقتربة من المرأة .. رفعت إليها وجهها الليموني بعد أن صبّت في ملامحه ابتسامة .. فتحت فمها .. أطبقته .

كانت قدماها تلامس الأرض المكسوّة بالمشمّع القاتم .. أحسّت بالشجاعة ستواتيها إن وقفت على قدميها .

شعرت باهتزاز العربة يشتد عندما نهضت .. تطوّحت .. داست قدمها حذاء المرأة ، وهي ترتمي مستندة على المقعد بكفيها .

كانت نظرة المرأة لوجهها قاسية مؤنبة .

هربت ابتسامتها .

جلست منكمشة .. تاركة مسافة بين المرأة وبينها .. أخفضت رأسها ملتفة بخيوط الخوف .

كناسة الدكان بعد انتقال السكان



تأليف: الوزير ابن الخطيب المتوفي سنة ٧٧٦هـ

تحقيق: د. محمد كمال شبانة ● مراجعة: د. حسن محمود
عرض وتقديم: خيري شلبي

● المؤلف ●

لسان الدين ابن الخطيب علم من أعلام الثقافة العربية، تألق في سماء مملكة غرناطة بالأندلس في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. كان شيخ مؤرخي الأندلس دون منازع.

تحدث ابن خلدون عن رسائله السلطانية وإخوانياته النثرية والشعرية فسماها بالغرائب، كما نقل المقري عدداً منها في كتابه «نفح الطيب»، كذلك ترجم له كثيرون من المشتغلين بتاريخ الإسلام في إسبانيا، وفصلوا القول في مؤلفاته كـ «الإحاطة» و «اللمحة البدرية» و «أعمال الإعلام» و «الكتيبة الكامنة».

تقلد منصب رئاسة ديوان الكتابة مع الوزارة، وكان الناطق الرسمي بغرناطة باسم كل من السلطان يوسف الأول النصري (٧٣٣ - ٧٥٥هـ - ١٣٣٣ - ١٣٥٤م)، ثم ولده السلطان محمد الخامس الغني بالله الذي وزر له في الفترة الأولى من توليه السلطة (٧٥٥ - ٧٦٠هـ - ١٣٥٤ - ١٣٥٩م). وكان قد ملك زمام اللغة شعراً ونثراً بفضل شيوخه من أعلام الأندلس وعلى رأسهم أستاذه «أبو الحسن ابن الجياب» الذي كان رئيساً لديوان الإنشاء في عصر أبي الحجاج يوسف الأول النصري، بالإضافة إلى ثقافته الشخصية وتجاربه الذاتية والنفسية، حتى ظهر أثر كل ذلك في رسائله السلطانية وإخوانياته النثرية والشعرية.

وقد جمع ابن الخطيب الكثير من رسائله تلك في كتاب كبير بعنوان «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»، وكانت تحفة فنية إلى الحد الذي جعل «المقري» يؤلف كتابه الشهير «نفح الطيب» ليوقف الجانب الأعظم منه على ابن الخطيب، بل قرن اسم الكتاب به فسماه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب».

وأثناء فترة النفي التي تعرض لها ابن الخطيب مع سلطانه الغني بالله، والتي دامت ثلاث سنوات قضاها بالمغرب (٧٦٠ - ٧٦٣هـ)، جاس أنحاء المغرب والتقى في مدنه بالعلماء، ثم رابط بضاحية اسمها «شالة» بجوار أضرحة بني مرين حيث ألف مجموعة من كتبه هي: «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» و «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» و «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» و «الحلل المرقومة في اللمع المنظومة» و «رقم الحلل في نظم الدول» وأراجيز وأشعار أخرى مختلفة نظمها ابن الخطيب في هذه الفترة أيضاً، علاوة على كتابه «كناسة الدكان بعد انتقال السكان» الذي حققه الدكتور محمد كمال شبانة، وراجعه الدكتور حسن محمود.. ونقوم بعرضه الآن، وهو، فيما يقول المحقق:

قد اشتمل على تراث فكري سبق لمؤلفه أن دونه يوم كان بالأندلس، وأنه بقية من البقايا التاريخية الأدبية التي حمل أشتاتها معه إلى المغرب بعد أن انتقل إليه بحكم ظروف خلع سلطانه الغني بالله محمد الخامس، وقد لجأ إلى تسمية الكتاب بهذا الاسم الغريب قصد التلميح للظروف السابقة والظروف اللاحقة في تعبير مسجوع مألوف شأنه في معظم مؤلفاته.

● المخطوط ●

يقول المحقق إنه لم يجد لكتاب **«كناسة الدكان...»** سوى مخطوطة يتيمة **بمكتبة الأسكوريال بمدريد** تحت رقم ١٧١٢ من فهرس الغزيري، وهي التي نقل عنها، وتقع في إحدى وستين لوحة من الحجم المتوسط، كتبت بخط أندلسي جميل أنيق، ومسطرتها ١٩ سطراً بكل صفحة، بمقياس ١٤,٢ × ٢٠,٥ سم، ومتوسط كلمات السطر ١٢ كلمة.

ويقول المحقق أيضا: إن هناك نسخة موجودة **بدار الكتب المصرية بالقاهرة** مسجلة تحت رقم ١٩٨٧٩ ز، وهي نسخة مصورة بالفوتوستات عن الأصل المخطوط المحفوظ بمكتبة الأسكوريال بمدريد، وقد نوّه في فهرس الدار بذلك وهو الفهرس الخاص بالمخطوطات المطبوع في عام ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

كذلك يقول: إن جزءً ليس باليسير من رسائل المخطوطة قد ثبت ذكره في مؤلف **ابن الخطيب** أيضاً **[ريحانة الكتاب]**.

وقد أشار الناسخ لكتاب الكناسة إلى ذلك أمام كل رسالة وفي بدايتها بقوله: **«مثبوت في**

كناسة الدكان بعد انتقال السكان

الريحانة ، مما جعل المحقق يرجع إلى الريحانة ليكتشف بعض الزيادات هنا وهناك ، وأحياناً بعض النقص في كلا الجانبين ، وكانت النتيجة لهذه المقابلات أن وصل إلى صورة متكاملة في الجملة لمخطوط الكناسة . وقد اعتمد من الريحانة ثلاث نسخ ، اثنتان منها بدار الكتب بالقاهرة ، ورمز للأولى بالرمز (ا) ، ويوجد منها الجزء الأول وبعض الجزء الأخير في مجلدين ، وبخط مغربي ، في أثنائها ثقوب ونقص واضطراب ، وهذان الجزءان مصوران بالفوتوستات عن النسخة الخطية المحفوظة **بمكتبة تونس** ويقعان في ٣٠٩ لوحات ، تحت رقم ١٩٨٧٥ ز .

أما الثانية فرمز لها بالرمز (ب) ، بها نقص يسير من الخطبة ، أولها بعد الديباجة : « **وسميته لتنوع بساتينه المنسوقة وتعدد أفانينه المعشوقة بريحانة الكتاب ونجعة المنتاب** . . » ، في مجلدين كتبا بخط النسخ ، وقد نقلا عن الجزءين المخطوطين المقيدين بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٤ أدب ش ٢ ، ويقعان في ٤٦٠/٦٥٠ صفحة ، ومسطرتها ٢١ سطراً . وقد سجلا تحت رقم ٣٤٥٩ ز .

أما النسخة الثالثة من الريحانة فرمز لها بالرمز (ج) ، وهي نسخة الأسكوريال بمدريد ، والمسجلة تحت رقم ١٨٣٥ فهرس الغزيري ؛ وهي نسخة جيدة للغاية وقد كتبت بخط أندلسي باهت ، وتقع في ٢٨١ لوحة كبيرة أي ٥٦٢ صفحة في كل صفحة ٢٧ سطراً في كل سطر ١٢ كلمة تقريباً ، وقد ذكر في نهايتها أنها كتبت في سنة ٨٨٨ هـ ، وهي عبارة عن مختارات من كتب ابن الخطيب ثم مجموعة كبرى من الرسائل عن السلاطين الذين وزر لهم بالأندلس والمغرب .

● خلفية تاريخية ●

ولكي تحقق هذه الرسائل الأدبية التاريخية الاجتماعية الفائدة المرجوة منها على أكمل وجه كان من الطبيعي أن يقدم المحقق لهذه الوثائق على اختلاف مناسباتها بإلمامة موجزة لمملكة غرناطة النصرية ، وظروف اعتلاء صاحب هذه الوثائق ، **أبي الحجاج يوسف الأول** عرش المملكة ، ثم تبيان للأحداث التي تضمنتها وثائق المخطوطة في الجملة ؛ حتى تلقي ضوءً على ما جاء فيها ، وليكون القارئ على فهم لما تضمنته الرسائل من إشارات قد تكون عابرة أحياناً ويحتاج الأمر معها إلى الإحاطة بالمغزى الذي إليه تشير ، لا سيما ما يتعلق منها بالسياسة الخارجية لدولة **يوسف الأول** ـ الذي أنشئت الرسائل على لسانه ـ تجاه كل من المغرب وإسبانيا النصرانية (**قشتالة وأراجون**) .

كما ذيّل المحقق الكتاب في النهاية بملحق خاص في هذا الشأن ، ضمنه عرضاً موجزاً لفترات الحرب وفترات السلم إبّان حكم هذا **السلطان** (٧٣٣ ـ ٧٥٥ هـ ، ١٣٣٣ ـ ١٣٥٤ م) ، وبذلك وضع تحت أنظار الباحث مرجعاً متكاملاً أكثر منه وثائق مجردة محضة .

وعلى هذا نعرف أن مملكة **بني نصر** نشأت قبيل منتصف القرن السابع الهجري (**القرن الثالث عشر الميلادي**) واتخذت من **مدينة غرناطة** عاصمة لها ، وكانت الدولة يومئذ تشمل الجزء الجنوبي من الأندلس .

ويذكر المؤرخون أن السلاطين الذين تعاقبوا الملك على غرناطة من بني نصر يرجع نسبهم إلى « **سعد بن عبادة الأنصاري** ، **أحد كبار صحابة الرسول وسيد قبيلة الخزرج من الأنصار بالمدينة** مما يضفي على هؤلاء السلاطين عراقة في المجد ونسباً في التاريخ مشهور . ولقد كان أول ملوكهم ومؤسس دولتهم هو « **الغالب بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري** » .

ولكن كيف اعتلى يوسف الأول عرش غرناطة ؟ . .

يقول المحقق : إن ملوك بني نصر قد درجوا على أن يكلوا قيادة الجيش العامة إلى قواد أفارقة مغاربة عرفوا في تاريخ الأندلس بشدة مراسهم في فنون الحرب ، كما عرفوا باسم « **شيوخ الغزاة** » ، ومن أبرز هؤلاء أسرة تنتمي إلى بني مرين الحاكمة بالمغرب ، هذه الأسرة تعرف بـ « **بني العلا** » ، على رأسها شيخها « **عثمان بن أبي العلا إدريس بن عبد الله** » . تعني هذه الخطة من بني نصر التقرب إلى بلاط فاس وتوثيق الروابط العسكرية ـ **على الخصوص** ـ بين الأندلس والمغرب ، ومن ناحية أخرى لما عرف عن القواد المغاربة من شدة المراس لفنون الحرب وطول التجربة في ميادين القتال . وأبو عثمان هذا شخصية عسكرية تحدوها أطماع فوق مستوى القادة من أمثاله .

وحدث أن تولى العرش الغرناطي السلطان « **محمد بن الوليد إسماعيل** » عقب مقتل أبيه عام ٧٥٢ هـ ، فنشب خلاف بينه وبين « **شيوخ الغزاة** » وتمادى هؤلاء في تمردهم إلى حد الاعتصام ببعض الثغور الجنوبية ومنها على الأخص ثغر المرية ، وقد أعانهم على ثورتهم هذه الأمير ، وقد بلغ من قوتهم أنهم استطاعوا أن يكونوا لهم نفوذاً أوصلهم آخر الأمر إلى القضاء على **السلطان الغرناطي محمد بن أبي الوليد إسماعيل** وتابعوا استبدادهم ، وصايتهم على الأمور بغرناطة فتولوا بأنفسهم تنصيب الملك الجديد وأخذ البيعة له من الرعية وكان السلطان الحديث هو « **أبو الحجاج يوسف الأول** » الذي ارتقى العرش ولم يبلغ بعد سن الرشد .

ومنذ أن جلس **أبو الحجاج يوسف الأول** على عرش غرناطة وهو يوطد العلاقات مع المغرب ، فقد كان معاصره في أول الأمر من المرينيين **السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني** الذي خضعت له كل من **تونس وتلمسان** ، ثم ما لبث ابنه **أبو عثمان المريني** أن استولى على **إفريقية وقسنطينة وتونس** وأصبح سلطاناً على كل من المغرب الأدنى والأوسط والأقصى .

ولم تكن علاقة مملكة غرناطة منذ نشأتها ـ على وجه العموم ـ بدول النصارى المجاورة تتسم يوماً بالصفاء القلبي ، فقد كان الهدف النهائي للصراع الإسباني المرير هو استرداد البقية الباقية من الأراضي التي احتلها العرب ، كذلك استرداد **جبل طارق** الذي استولى عليه الأندلسيون في عصر **السلطان محمد الرابع** (ذو الحجة ٧٣٣ هـ ـ ١٣٣٣ م) ، بمعونة من المغرب بعد أن ظل تحت أيدي القشتاليين زهاء أربعة وعشرين عاماً ، وكان للسلطان أبي الحسن المريني أكبر الفضل في استرجاع هذا الثغر المنيع . . مما جعل جيرانه المسيحيين يتابعون غزواتهم لمملكة

غرناطة طبقاً لمخطط حربي من لدن ملكهم «الفونسو الحادي عشر» الذي عول على الإجهاز على آخر معاقل المسلمين بالأندلس، جرياً على سنة أسلافه السابقين، آملاً أن تسقط غرناطة نفسها على يديه.

وكان **السلطان أبو الحجاج يوسف الأول** يحس من قشتالة ـ خصوصاً ـ هذا الشعور المتوارث، ورأى أن الأمر يملي عليه الاستنجاد بملوك بني مرين شأن سابقيه من ملوك بني نصر، فكتب إلى السلطان أبو الحسن المريني يستنجده ويستظهره، فأرسل إليه عاهل بني مرين ملبياً نداءه، وكلف ولده الأمير **أبا مالك** بدخول الأندلس محارباً، وأصدر أمراً إلى الوزراء بأن يضعوا كافة الإمكانات اللازمة تحت أمر ابنه.

إلا أن الأمير أبا مالك ما لبث أن استشهد في أرض الأندلس بعد أن تألب عليه الإسبان والبرتغاليون والقشتاليون.. حيث هزم المسلمون هزيمة شديدة وفجع سلطان المغرب في مصرع ابنه وصمم من جانبه على الثأر مهما كلفه ذلك، وفعلاً أصدر أوامره إلى وزرائه بالنهوض إلى السواحل المغربية الشمالية وتجهيز الأساطيل للسير إلى الأندلس مرة أخرى، وأغدق عطاءه للجنود، كما استنفر أهل المغرب قاطبة وسافر بنفسه إلى أصهاره **الحفصيين** بتونس، لتجهيز أسطولهم إليه فأجابوه، ووافى **سبتة** في ستة عشر أسطولا من أساطيل إفريقية، كان فيها من **طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية**.

وفي الوقت نفسه، توافت أساطيل المغرب بمرسى سبتة تناهز المائة، وعقد السلطان عليها **محمد بن علي العزفي**، الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام **السلطان أبي سعيد**. ورافق السلطان أبو الحسن الحملة إلى الأندلس أوائل عام ٧٤٠هـ ـ ١٣٤٠م، حيث نزلت القوات البرية بأرض **طريف** وتقاربت القوات البحرية بأساطيلها حتى بلغت أساطيل النصارى ثم ما لبث الطرفان أن التحما ودارت رحى المعركة التي تمخضت في النهاية عن فوز المسلمين، وكان ذلك يوم السبت السادس من شوال سنة أربعين وسبعمائة.

هذا.. ولا تعتبر تلك المعركة إلا رد فعل حتمي للمعركة التي سبقتها، والتي استشهد فيها **الأمير أبو مالك**، وذلك لا يعني أنها كانت المعركة الفاصلة بين طرفي النزاع ولكنها ـ على كل حال ـ تعتبر مقدمة مباشرة **لمعركة طريف الكبرى** التي تلتها، تلك التي يؤرخ بها الإسبان لانتصاراتهم في حروب الاسترداد التي خاضوها ضد كل من المغاربة والأندلسيين على السواء.

مضمون المخطوط

بعد المقدمة الصغيرة جداً التي وضعها المؤلف لكتابه والتي لا تضيف شيئاً إلى ما تقدم ذكره، يقول المحقق: إن «الكناسة» تنتظم أقساماً ثلاثة. نتصفح القسم الأول الذي يدرجه المحقق تحت اسم **الاجتماعيات**، وفقاً للمضمون، حيث إنه عبارة عن وثيقة أو **عقد زواج نصري**، جرت رسومه في **قصر الحمراء بغرناطة** في ٢٤ صفر ٧٥٣هـ، بين **السلطان أبي الحجاج يوسف الأول** ابن الأحمر ملك غرناطة بصفته ولياً على أخته وبين **الرئيس أبي الحسن ابن جعفر بن نصر**. بعد ذلك ننتقل إلى القسم الثاني الذي سماه المحقق بـ(**التاريخ المغربي ـ رسائل ذات أحداث مغربية**) لنجده يتضمن تسع وثائق، لتسع رسائل موجهة من السلطان يوسف الأول ملك غرناطة، وسابع سلاطين بني الأحمر في غرناطة إلى سلطان المغرب أبي عنان فارس بن أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، حررت من إنشاء الوزير المؤرخ **ابن الخطيب** ما بين عام ١٣٥١م ـ ١٣٥٤م.

وقد تناولت الرسائل عدداً من المناسبات، منها شكر السلطان يوسف الأول، أبا عنان المريني لبعض الهدايا التي كان قد بعث بها الأخير إليه، ومنها معونة المغرب الحربية لصالح الجهاد المقدس بالأندلس، وكذلك تهنئة إلى أبي عنان لاسترداده مدينة **تلمسان** من بني زيان، وأخرى لاستيلائه على مدينة **بجاية**، من بني زيان أيضاً، ومنها اغتباطه لانتصار أبي عنان على الولايات التي ثارت ضده في شمال إفريقيا، ومنها إعلامه بالأحداث القشتالية الداخلية، ومنها استعدادات مملكة غرناطة بالتعاون مع المغرب لرد غارات النصارى البحرية المفاجئة.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى القسم الثالث الذي أعطاه المحقق عنوان (**التاريخ الأندلسي ـ رسائل ذات أحداث أندلسية**) وهي مكاتبات صادرة من بلاط غرناطة إلى بلاد المغرب، معظمها في شأن العلاقات السياسية لمسلمي الأندلس بدول النصارى في الشمال (**قشتالة وأراجون**).. حررت ما بين عام ١٣٤٤م، وعام ١٣٥٧م، ويتضمن القسم الثالث إحدى عشرة وثيقة تبدأ من الوثيقة العاشرة حسب الترتيب العام لوثائق الكتاب. وقد ذيل المحقق الكتاب في النهاية.

• تعليق •

إذا صح أن المكتبة الأندلسية في اللغة العربية فقيرة بالقياس إلى أهمية الأندلس بالنسبة للعرب فإن تحقيق هذه المخطوطة يبين لنا إلى أي حد نحن محتاجون إلى معرفة تلك الفترة الهامة من تاريخ العرب في تلك المنطقة. وإذا كانت بعض الدراسات الجامعية تصول وتجول بين أحداث تلك الفترة فإن جهود أصحابها لم تكن مثمرة بالقدر الكافي لأنها ظلت مجرد رسائل أكاديمية تحقق غرضاً علمياً ولا تحقق غرضاً ثقافياً عاماً. ولعل جهود الأستاذ **محمد عبد الله عنان** في دراسة الفترة الأندلسية تكون هي الأبرز والأفضل إن لم تكن الوحيدة في هذا الصدد. على أية حال فإن المطلع على المخطوطة التي نحن بصددها لا شك يدرك مدى الجهد الخارق الذي بذله الأستاذ **الدكتور محمد كمال شبانة** في تحقيق هذه المخطوطة، وفي وضع هوامش لها، لدرجة أن الهوامش وحدها يمكن أن تكون كتاباً مستقلاً قائماً بذاته.

وتكشف لنا هذه المخطوطة الطريفة والهامة في آن، إلى جانب المسائل التاريخية، عن الجانب الفني الروائي في شخصية الأديب لسان الدين ابن الخطيب. لقد كان ناثراً وشاعراً لا يشق له غبار في عصره، ولم يكن فن الرواية معروفاً لدى المسلمين في ذلك الوقت، إنما كان المعروف هو السير والملاحم الشعبية التي أخذها الغرب، وطورها بعد

كناسة الدكان بعد انتقال السكان

أن سحرته بخيالها وخصوبة معانيها إلى فن جديد مختصر هو ما استوردناه بعد ذلك باسم الرواية.

ولكن لأن هذا الفن هو في الأصل فن عربي شرقي فإننا نجد في شخصية الأديب **ابن الخطيب** بذوراً ناضجة لروائي كبير، يتبدى ذلك أول ما يتبدى في عنوان هذه المخطوطة، ليس لأنه عنوان مسجوع فمعظم العناوين إن لم تكن كلها في ذلك الوقت عند **ابن الخطيب** وغيره كانت مسجوعة، ولكن لأن العنوان ينطوي على صورة فنية رائعة ذات طابع روائي.

فكناسة الدكان بعد انتقال السكان يوحي بالمعادل الموضوعي الذي يقوم خيالنا على الفور بتركيبه لدى قراءة العنوان، فنحن نستشف من **كناسة الدكان** وجود أشياء كثيرة قد تناثرت وتغرينا بالتقليب فيها، ثم نستشف من العبارة التالية وهي: **بعد انتقال السكان**، الكثير من الأسرار التي يمكن أن يكون قد نسيها أصحابها.

وربما كان المؤلف صادقاً مع نفسه حينا قصد بهذا العنوان تجميع أوراق تناثرت منه ولم يضمنها في كتب سابقة فعاد إليها بعد أن دالت دولتها ليعيد النظر فيها ولكن إحساسه بها كما يتضح من عنوانه يشير إلى حسه الروائي الذي لم تتح له فرصة النضج والممارسة، وعموماً فإن مجموعة الوثائق هذه تكون في الذهن عالماً روائياً خالصاً رغم أصله التاريخي.

ولنقرأ معاً **الوثيقة الأولى** وهي عقد زواج نصري، ليتبين لنا كيف أنها تكشف عن عالم إنساني مثير أكثر منها تسجيلاً لحادث تاريخي. سوف نتجاوز عن المقدمة إذ هي طويلة وسهلة، ثم نبدأ من هذه البداية:

«أما بعد هذه المقدمة التي كرمت اختتاماً وافتتاحاً، ووجدت في ميدان الرضا والسعد وبلوغ الأمل وإحراز القصد مغدى ومراحاً، وأوسعت العيون قرة والصدور انشراحاً، فإن من المعلوم الذي لا يحتاج إلى دليل، والمسلم الذي لا يتطرق إليه بتعليل، ولا يخاف على محكمه وارد نسخ ولا عارض تأويل، فقد وضح منه كل سبيل، وحل توأم الإيمان في قلب كل قبيل، ما خول الله هذه الدولة النصرية، كتب بفضله نصر كتائبها، وجعل محامدها قلائد تجملها الأيام فوق نحورها وترائبها، من الكمال الذي وردت غير مدافعة حياضه، والمجد الذي تفيأت أنق رياضه، والعدل الذي رفعت فوق العباد ظلاله، والفضل الذي استشعرت شيمه وخلاله، والجهاد الذي تلفت رايته بالاستحقاق، وقامت بفرضه كفاية عمن دونها من ملوك الآفاق.

وماذا عسى أن يبلغ القول وإن اطرد، أو ينتهي المدح وإن شرد، في أبناء صحابة الرسول وأنصاره، وسلالة سعد بن عبادة وزيره الذي لا يضاهى في رفعة شأنه وعلو مقداره، ووليه الذي أعلن بإجلاله في قومه الأنصار وإكباره، وقال لهم لما أطل: قوموا لسيدكم تسجيلاً لعقد افتخاره، إلى أن ألبس الله طوق هذه الخلافة النصرية أشرفها في العشيرة جيداً، وأكرمها أباً وجدوداً... مولانا السلطان الكبير، الشهير، الخطيب، العادل، الفاضل، الماجد، الكامل، الأورع، الباسل، المجاهد، الحافل، الماضي الصفاح في ذات الله والذوابل، هضبة الثبات إذا هفت من الروع الهضاب، وسيف الله الماضي إذا همت للسيوف العضاب، الذي استهل بالطهارة يافعاً وكهلاً، وكان مذ كان لخلافة المسلمين أهلاً، المجاهد السعيد، الشهيد أبي الوليد، ابن مولانا الهمام الأخطر، العلم الأشهر... أبي سعيد فرج، بن إسماعيل، بن يوسف، بن نصر، المباه من نضار الانتساب، الرفيع بغير الزائف ولا البهرج، المنتمي في ذؤابة كرام الخزرج، جدد الله عليه ملابس الرحمة، وجزاه الله أفضل ما جزى الصالحين من ملوك هذه الأمة.

فلله من سنة أحياها، وسيرة عدل أطلع محياها، وسبيل بر أوضحها، وحديث مجد عن سلفه من صحابة الرسول أثبتها وصححها، وصير الله ملكه إلى قرارة رضاه واختياره، وخلاصة حسه من بين سائر بنيه وإيثاره، بدر أقماره وندرة نضاره، وعنوان سعده وبركة داره... أمير المؤمنين أبي الحجاج يوسف أبقاه الله وأيامه عن غرر السعد سافرة، وأقسامه من النصر والعضد وافرة، وكتائبه ظاهرة ظافرة، والحوادث عن مقامه شاردة نافرة.

فمن ذا له مجد كمجد هذه الدولة التي لها الفخر الحقيق والنسب الصريح العريق، والسبب المتين الوثيق؟ واقتدى بهذه الشجرة النصرية الشماء، الذي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فروعها من الأقارب والرؤساء، فكانوا نجوماً أمدتهم شمسها المنيرة بالسناء... حفظ الله عليهم من عز هذه الإيالة النصرية اليوسفية مادة سعدهم وعنصر مجدهم، وإن من أفضل من أنجبتهم هذه البيوت الرياسية من أبنائها، وأنبتته من فروع عليائها الرئيس الكذا أبو فلان، ابن الرئيس الكذا أبي فلان، وصل الله سعده، وحرس مجده، فإنه نشأ والعفاف يظله والمجد ينهله والطهارة تضفي عليه سابغ أذيالها.. إلخ».

والمتأمل في هذه الصفحة التي نقلناها بشق النفس من عقد الزواج المذكور يجد أن هذه اللغة تمثل عصر انحطاط اللغة العربية، حيث تحولت إلى تراكيب بلاغية وبيانية جامدة يحاول الكتاب تقليدها شكلياً، وبعضهم درس أسرار اللغة حتى أصبح قادراً ومسيطراً عليها ولكنه لا يملك الحس بها ولا يملك فنونها فنرى لغته مجرد تراكيب لا معنى لها أو حافلة بالمعاني البعيدة الغامضة، مما يقنعنا أن بعض الأدباء ممن درسوا اللغة دراسة نحو وصرف فقط إنما هم يستدعون الألفاظ والتراكيب أولا وقبل استدعاء الصور والمعاني، ناهيك عن ولعهم بإيراد المترادفات والمحسنات البديعية وما إلى ذلك.



دائرة المعارف

مصطلحات الحفر

ا

انفجار Blow out :

يطلق هذا التعبير عندما تتدفق كميات هائلة من البترول والغاز الطبيعي من أحد الحقول التي حفرت ، أو التي يجري حفرها ، ويكون ذلك عادة نتيجة لخطأ فني أو تكنولوجي في عملية التحكم في **بئر البترول** ، ويكون ذلك غالباً أثناء الحفر حينما يكون الضغط الداخلي للبترول في خزاناته الموجودة تحت سطح الأرض أكبر بكثير من الضغط الخارجي ، مما يؤدي إلى اندفاع **البترول والغاز** بقوة إلى عنان السماء ، مما يسبب اشتعال الحريق في البئر البترولية أو في جهاز الحفر .

ب

البرميل Barrel :

يعتبر البرميل وحدة لقياس حجم معيّن من البترول أو منتجاته ، وهو يساوي ٤٢ **جالوناً أميريكياً** أو ٣٥ جالوناً عادياً أو حوالي ١٥٩ لتراً .



التحكم الأوتوماتيكي Automatic Control :

اصطلاح يطلق على النظم والعمليات التي من خلالها يتم ضبط بعض العوامل والمعدلات المتغيرة في أي صناعة أو أي عملية بترولية كالحفر أو الإنتاج أو معالجة زيت البترول الخام ، ومن أمثلة ذلك **عملية التحكم في الضغط أو الحرارة** ، أو معدل السريان للسوائل البترولية داخل جهاز معيّن بحيث لا تزيد هذه العوامل عما هو مخطط لها من قبل نظرياً . . ويرجع الفضل في استمرار الإنتاج وزيادته دائماً إلى كفاءة الأجهزة المستخدمة في **التحكم الأوتوماتيكي** .



ثنية مقعرة Syncline :

اصطلاح يستخدم في **جيولوجيا البترول** ليدل على أي تركيب جيولوجي تأخذ الصخور المكونة لطبقات الأرض فيه شكل الثنية المقعرة إلى أسفل ، وتفيد معرفة تلك الثنايا في تحديد الأماكن التي يحتمل أن يوجد البترول فيها .





جهاز إنذار Alarm :

جهاز يتم تركيبه على أي آلة أو ماكينة ليعطي تحذيراً صوتياً أو ضوئياً ، أو هما معاً للعاملين ، وذلك إذا حدثت أي ظروف غير طبيعية في المعدة المركب عليها ، مثل زيادة الضغط أو درجة الحرارة ، لذلك فإن على الأفراد المكلفين بمراقبة هذا الجهاز اتخاذ الخطوات اللازمة لتفادي أي مشاكل أو كوارث قد تنجم عن التأخير في حلها فوراً .



الحفر الموجه Directional Drilling :

يفضل **حفر آبار البترول عمودياً** ، لكن هناك بعض الحالات التي تستدعي حفر البئر بزاوية ، كتواجد البئر في مناطق بحرية ضحلة بالقرب من الشواطئ ، بحيث يكون من الأفضل إقامة الحفار على البر ، وبدء الحفر الموجه ، أو في حالات الحفر تحت سطح مياه البحار والخلجان العميقة ، حيث يكون من الأفضل أن تجمع رؤوس الآبار في مكان واحد ، وبذلك يسهل تجميع الزيت والغاز الطبيعي ، وتسهل عملية الإنتاج والضخ .



خزان Reservoir :

اصطلاح يطلق على **الطبقة الأرضية الحاملة للزيت والغاز** ، التي تكون مكونة من صخور رسوبية مسامية تسمح بنفاذ البترول والغاز خلالها ، إلا إنها تكون محاطة بصخور غير مسامية أو بمياه فطرية تمنع هجرة البترول ، وغالباً ما يكون التركيب الصخري للخزان من الحجر الجيري أو الحجر الرملي أو هما معاً .



دلائل الغاز Gas Show :

تسمى الغازات الطبيعية المصاحبة لطفلة الحفر أثناء خروجها من البئر أثناء عملية الحفر بدلائل الغاز ، وهي ذات أهمية قصوى في التعرف على خزانات البترول الموجودة في باطن الأرض .



بئر ذو تكملة مزدوجة Dual Completion :

يطلق هذا التعبير على أي بئر بترولية منتجة للزيت من طبقتين مختلفتين في نفس الوقت ، يفصل بين كل طبقة والأخرى حاجز صخري غير مسامي ، ويعزل إنتاج كل طبقة عن الأخرى بواسطة إنزال سلسلتين من أنابيب الإنتاج .



ترميم البئر Workover :

القيام بعمليات التنظيم والتنظيف والإصلاح في الآبار المنتجة لزيت البترول ، وذلك بغرض زيادة أو استعادة الإنتاج .



زاوية الانحراف Angle of deflection :

اصطلاح يطلق في الحفر الموجه ليدل على ميل البئر وانحرافها عن الاتجاه الرأسي .



السيزموجراف Seismograph :

جهاز **لقياس الزلازل** ، ويستخدم في عمليات الاستكشاف عن البترول ، وذلك بتحديد التكوينات الجيولوجية الصخرية المحتمل وجود بترول بها ، ولاستخدام هذا الجهاز لذلك الغرض يتم وضع بعض الشحنات المتفجرة من المفرقعات في داخل حفر تعمل في التراكيب الأرضية ، ثم تفجر الشحنات ، وتستقبل الذبذبات الأرضية الناتجة عن هذا التفجير باستخدام السيزموجراف ، الذي يقوم بتحديد شكل وطبيعة

الطبقات التي مرت بها الذبذبات بناء على اختلاف طبيعة وسرعة الذبذبات أثناء مرورها في الأنواع المختلفة من الصخور .

ش

الشعلة Flare :

مجموعة أنابيب ومشعل وذلك **للتخلص من الغازات الزائدة** غير المرغوب فيها في الآبار المنتجة للزيت أو الغاز ، أو في محطات معالجة زيت البترول ، أو في معامل التكرير .

ص

صمام الأمان Safety valve :

صمام أوتوماتيكي **يستخدم بكثرة في آبار البترول** ، ويركب على أجهزة معالجة الزيت والغاز ، وهو ينفرج تلقائياً إذا زاد الضغط داخله عن حد معيّن ، بحيث يضمن سلامة الأجهزة والمعدات والعاملين .

ض

إضافات Additives :

مواد أو مركبات كيميائية تضاف إلى أحجام كبيرة من مواد أخرى ، وذلك بهدف تغيير خصائصها ، وفي الصناعات البترولية تضاف مثل هذه المواد إلى زيوت التشحيم ، وزيوت الوقود ، وإلى طفلة الحفر ، كما تضاف إلى زيت البترول الخام لفصل الشوائب الموجودة به .

ط

طبقة أرضية Bed :

اصطلاح جيولوجي **يطلق على أي طبقة صخرية مختلفة في تكوينها عن الطبقات الصخرية المجاورة لها** ، أو التي تعلوها ، أو التي توجد تحتها ، ويوجد البترول في الطبقات الأرضية المكوّنة من الصخور الرسوبية ، التي دفنت فيها بقايا الكائنات الحية البحرية منذ ملايين السنين .

ظ

ظواهر بترولية Show :

هي **الشواهد من زيت البترول والغاز الطبيعي** التي توجد في عيّنات الفتات الصخري التي يحصل عليها أثناء عمليات الحفر .

ع

عمليات التثقيب Gun Perforating :

بعد أن تم معرفة وجود البترول في منطقة ما ، يقوم عمال ومهندسو الحفر بإنزال مواسير تبطين إلى الطبقات الأرضية الحاملة لزيت البترول ، ويتم تثبيت هذه المواسير بنوع خاص من الأسمنت في جدران البئر ، ولكي يتم إنتاج البترول ـ يتم تثقيب مواسير التبطين بجهاز خاص يسمى **«مدفع التثقيب»** ، حيث يدلى في البئر إلى العمق المقابل للطبقات الحاملة للبترول ، ثم يقذف طلقات صلبة إلى الجوانب تمر من خلال مواسير التبطين والطبقات الصخرية الحاملة لزيت البترول ، وبذلك يتم خلق مسارات يسيل الزيت من خلالها إلى البئر ، وبالتالي إلى السطح .

غ

الغطاء الغازي Gas Cap :

نظراً لأن الغاز الطبيعي أخف من زيت البترول ، فهو يتواجد فوقه على شكل غطاء ، وذلك في الطبقات الأرضية المحملة بالزيت والغاز .

ف

فتحة إنتاج Choke :

أداة توضع في خط تدفق السوائل الخارجة من آبار البترول والغاز وذلك لتقليل التدفق ، والتحكم في معدل الإنتاج .



ق

قـــاع البئـــر Bottom Hole :

اصطلاح يطلق على أعمق نقطة يتم الوصول إليها أثناء حفر بئر من آبار البترول .

ك

كتـم البئـر Killing a Well :

تعبير يطلق في عمليات حفر الآبار ، وهو **يعني منع انفجار محتمل نتيجة للضغوط الكبيرة** التي تقع على الزيت الخام والغاز داخل البئر ، ويتم ذلك بعمل احتياطات معيّنة للتغلب على هذه الضغوط وذلك باستخدام **طفلة الحفر** أو الماء ، أو أي سوائل عالية الكثافة . كما يستخدم هذا التعبير أيضاً أثناء عمليات الإنتاج ليدل على وقف إنتاج الزيت والغاز من البئر لحين إعادة إصلاحها .

ل

لـوحة التحكـم Control board :

لوحة تستخدم في **محطات المعالجة ومعامل التكرير ومراكز الإنتاج ، وأجهزة الحفر** ، حيث يتم تجميع أجهزة التحكم من مفاتيح وخلافها ، وأجهزة البيان عليها .

م

مصيـدة بتروليـة Oil trap :

تعبير يطلق على **التكوينات الصخرية الجيولوجية** المكوّنة من تكوينات وطبقات الأرض ذات المسامية والنفاذية التي لها القدرة على اصطياد الزيت والغاز الطبيعي والاحتفاظ بهما تحت سطح الأرض ، وقد تكوّنت **المصايد البترولية** نتيجة للتغييرات التي طرأت على القشرة الخارجية للأرض خلال العهود الجيولوجية ، والتي أحدثت تصدعات وثنيات وشقوق وفوالق وصدوع بها ، وأدى ذلك إلى تكوين مصيدة تجمع السوائل النازحة من **الهيدروكربونات** المكوّنة للبترول فيها .

ن

نفــايـة Junk :

اصطلاح يطلق على **المخلفات المعدنية** التي تفقد في البئر أثناء عمليات الحفر أو الإنتاج .

هـ

الهيدروكربونات Hydrocarbons :

خليط من **مركبات كيميائية عضوية** تتكوّن من اتحاد عنصري **الهيدروجين والكربون** بنسب متفاوتة ويتكوّن البترول من خليط من عديد من مركبات الهيدروكربونات .

و

ورديــة Tour :

فترة زمنية ترمز إلى **ساعات العمل المحصورة بين ساعات معيّنة من الليل أو النهار** ، ويجزأ اليوم الواحد إلى ورديتين كل منهما ١٢ ساعة وذلك في عمليات الحفر التي تتم في البحر ، أما بالنسبة للعاملين في معامل التكرير فإن اليوم يجزء إلى ثلاث ورديات .

ي

يعـالج بالأحمـاض Acidize :

تعبير يرمز **لعملية معالجة الصخور الجيرية الحاملة لزيت البترول** الموجودة تحت سطح الأرض بواسطة **حمض الهيدروكلوريك** ، ويتم ذلك بوضع الحامض في البئر ، وذلك لإذابة الحجر الجيري في المنطقة المنتجة للبترول حتى تتكوّن ممرات يتدفق الزيت من خلالها إلى البئر .

مناقشات و تعليقات

كيف سرقت «الجوكندا»؟

نشرتم في **مجلة** «**الفيصل**» الغراء في **العدد** (٤٠) مقالا حول لوحة الفنان ليوناردو دافنشي (الجوكندا) مع أن المجلة لم تذكر سرقة هذه اللوحة والقصة تروى كالآتي:

في شهر أغسطس (آب) سنة ١٩١١م، اهتزت أسلاك البرق والهاتف من **باريس** ناقلة إلى أرجاء العالم خبر سرقة الصورة الزيتية الشهيرة «**الجوكندا**» من متحف **اللوفر**، تلك اللوحة التي لا تقدر بمال لقيمتها الفنية والأثرية، ولم تمض شهور على ذلك الحادث حتى مات مدير متحف اللوفر غماً وكمداً.

ومع أن الحكومة الفرنسية كانت معتقدة اعتقاداً راسخاً بأن السارق أو السارقين لن يستطيعوا الإقدام على بيع الصورة علناً لأنها معروفة ومشهورة في أنحاء العالم كافة، إلا أنها كانت تخشى ويخشى معها علماء الآثار ومحبو الفنون الجميلة، أن يعمد اللصوص إلى إتلاف ذلك الأثر الفني النفيس الذي لا يقوّم بمال. ومضى على اختفاء الصورة عامان من دون أن توفق الشرطة ولا الباحثون إلى العثور عليها أو تتبع آثار سارقيها إلى أن دخل شاب إيطالي في أواخر سنة ١٩١٣م، إلى محل يبيع العاديات في **مدينة فلورنسا بإيطاليا** وأعلن لصاحب الحانوت بأن لديه تحفة فنية رائعة يريد بيعها، وأبرز الشاب من بين اللفائف التي يحملها «الجوكندا» وقدمها إلى التاجر يطلب إليه أن لا يبخسه في تقدير ثمنها.

وعرف الرجل الصورة المسروقة فأوعز خفية إلى أحد موظفيه أن يستدعي البوليس، وبقي التاجر يساوم الشاب في ثمنها لتضييع الوقت إلى أن أقبلت الشرطة فقبضت عليه وتسلمت الصورة الأثرية النفيسة. ولما تحققت الحكومة الإيطالية من أن الصورة هي نفس صورة «الجوكندا» المسروقة من متحف اللوفر في باريس أبرقت إلى الحكومة الفرنسية تبلغها بالأمر، فأوفدت فرنسا جماعة من علماء الآثار وكبار المصورين إلى فلورنسا ليتأكدوا من حقيقة الأمر ويأتوا بالصورة. على أنه ما كاد يذاع نبأ العثور على صورة الجوكندا في إيطاليا حتى أقبل الناس من كل حدب وصوب لمشاهدتها. ولا عجب فهي صورة إيطالية الأصل من ريشة **ليوناردو دافنشي** أشهر الفنانين الإيطاليين بلا منازع. ورأت الحكومة الإيطالية أن تنتهز هذه الفرصة لتضرب عصفورين بحجر واحد، ذلك بأن تشبع رغبة الجمهور المتلهف على مشاهدة هذه الصورة الخالدة من جهة وأن تربح بعض المال من جهة أخرى، وكان ذلك بعرض الصورة في **متحف فلورنسا**، وفرض رسم للدخول مقداره ليرة إيطالية في ذلك الحين، وتدفق الناس على متحف فلورنسا فلم تنقطع وفودهم ليلاً ونهاراً ولولا إسراع المندوبين الفرنسيين في العودة بالصورة إلى فرنسا لجمعت الحكومة الإيطالية مبلغاً هائلاً من ورائها، فقد بلغ ما دفعه الناس رسماً لدخول متحف فلورنسا ومشاهدة صورة الجوكندا في تلك الفترة الوجيزة زهاء خمسة ملايين ليرة إيطالية آنذاك، وقد قدم الفتى الذي عرض الصورة للبيع إلى المحاكمة وهو يدعى (بيروجيا) فاعترف بأنه هو الذي سرق الصورة من متحف اللوفر، ولكنه رفض أن يفضي بأسماء شركائه في الجريمة وقرر أنه إنما فعل ذلك «انتقاماً» لوطنه من فرنسا لأن **نابليون** نقل من بلاده ـ حينما اكتسحها أيام مجده الحربي ـ جميع تحفها وصورها الفنية.

وقضت المحكمة بسجن بيروجيا سنتين، لكن الحكومة الفرنسية توسطت في أمره لدى الحكومة الإيطالية فأفرج عنه بعد بضعة أشهر. ولكن ظل السر الحقيقي مكتوماً إلى منتصف الثلاثينات، إذ ظل الناس يعتقدون أن بيروجيا لم يسرق الصورة إلا انتقاماً لوطنه من نابليون المغتصب!

وأخيراً أزاح الستار عن الحقيقة العجيبة «شريف» إسباني اسمه (**المركيز دي لافالي دانفير**) بعد أن أمن شر العقاب بمرور مدة طويلة على انفضاض العصابة التي كان يرأسها وتوقفها عن العمل. ولقد نشر هذا المركيز الإسباني حديثاً مطولا عن العصابة التي كان يرأسها منذ سنوات بعيدة، وكان همها الأول تزوير الصور والرسوم الزيتية الشهيرة وتقليدها وبيعها للهواة على أنها هي الرسوم الأصلية النفيسة.

ويقول المركيز إن العصابة كانت مؤلفة منه ومن مصور قدير يدعى (**شودرون**) ومصورين آخرين، وكانوا جميعاً يعملون تحت إمرة شودرون وإرشاده، وكان مركز عمل العصابة في أمريكا الجنوبية، لكنها كانت تتنقل في العواصم الكبرى حيث توجد المتاحف ذات الصور والرسوم الأثرية النادرة.

وطريقة العمل تتلخص في أن تتفق العصابة مع حراس المتاحف على أن يتركوا لها حرية العمل متعهدة بأن لا تمس الرسوم بأي أذى، فكانت تأتي بكبار الأغنياء وأصحاب الملايين من هواة الصور الأثرية النفيسة، وتعرض أمام أنظارهم صور التحف لينتقوا من بينها ما يشتهون الحصول عليه! وتعلن العصابة لهؤلاء الهواة أن في استطاعتها أن تحمل الصورة أو الصور المطلوبة إلى الهاوي الغني إذا دفع الثمن المعقول، حتى إذا ما تم التراضي على الثمن شرعت العصابة في العمل. ولما كانت

مناقشات

وتعليقات

العصابة تبلغ طالب الصورة أنها سوف تضع مكان الصورة المسروقة صورة زائفة تشبهها تماماً فإن أولئك الهواة كانوا يضعون توقيعاتهم وإشارات خاصة على ظهر الصورة الأصلية التي ينتقونها ليتعرفوا عليها حينما تحمل إليهم لئلا يبيعهم اللصوص لوحات مقلدة! ولا تمضي أيام حتى يحصل الهواة على الصور النفيسة التي يتوقون إليها ويقبض اللصوص الثمن الباهظ، وبعد ذلك ينطلق اللصوص لبيع نفس الصورة أو غيرها إلى غني آخر.

ولم تكن الصور التي تباع إلى الهواة الأغنياء بالأموال الباهظة صوراً أصلية حقاً كما يتوهم المشترون... فقد كانت العصابة تضع مع الحراس المرتشين قطعاً من القماش المشدود خلف الصورة الأصلية بحيث يبدو أنه ظهر الصورة، فإذا أعجب الثري «الهاوي» بالصورة وراق له شراؤها وضع توقيعه والعلامات المميزة على ظهرها وهو إنما يوقع على ذلك القماش المشدود الذي يعمل شودرون ومساعدوه على نقل الصورة الأصلية فوقه بدقة وعناية فائقة بحيث لا يفرق بين الأصل والتقليد إلا الخبير الأخصائي، وقلما كانت العصابة تعامل أحداً من هؤلاء!

ويقدم المركيز الصورة الزائفة إلى المليونير الذي يبادر إلى التحقق من وجود إمضائه والعلامات الأخرى التي وضعها على ظهر الصورة، وهي لما تزل في المتحف، فلما يتأكد من ذلك يدفع الثمن للمركيز ويزهو باقتناء إحدى طرائف الفن القديم، واستطابت العصابة في **الولايات المتحدة** ورأت في ذوي الملايين الأميركيين خير من تستطيع الاحتيال عليهم وخديعتهم فربحت أموالاً طائلة لكنها شعرت بالخطر وافتضاح أمرها فشدت رحالها إلى باريس وكثرت طلبات «العملاء» على الجوكندا وعرضت على العصابة الأثمان المغرية، لكنها لم تستطع أن تنفذ طريقتها السالفة الذكر في الجوكندا، وذلك لأن متحف اللوفر يحظر نقل الصور بأحجامها الطبيعية خشية أن تستبدل الصور الأصلية بأخرى زائفة منقولة عنها.

ولم تجد العصابة إزاء ذلك إلا أن تسرق الصورة الأصلية فتنقل عنها بضع نسخ تبيعها إلى عملائها، الذين لا يتشككون في أن الصور المباعة لهم هي الأصلية ما داموا قد علموا رسمياً أن الصورة قد سرقت فعلاً من مكانها في المتحف... وكانت مهمة سرقة الجوكندا من أشق المجازفات، لكن بيروجيا استطاع أن يخرج بها من متحف اللوفر، وتمكن شودرون من نقلها بمعاونة مساعديه بحجمها الأصلي، وبيعت النسخ الزائفة في أميركا على أنها حقيقية، ووسوس الشيطان لبيروجيا أن يخون رفاقه، فسرق الجوكندا واختفى بها إلى أن قبض عليه حينما حاول بيعها في فلورنسا على النحو السالف الذكر.

وخشي أفراد العصابة أن يبوح الشاب بيروجيا بأسمائهم وأن تقتص منهم يد العدالة على سرقاتهم فأسرعوا إلى الفرار وضربوا في آفاق الأرض وشعابها، فتفرق شملهم وانحلت عصبتهم، ولم يعلم الناس من سرهم شيئاً إلا بعد أن تطوع بإفشائه قريب المركز الإسباني زعيم العصابة القديم!

فهد مكانسي
حلب ـ سوريا

الرايات والأعلام

في العدد (٧٥) من شهر رمضان، نشرت «**الفيصل**» للأستاذ **أحمد المكينسي** بحثاً رائعاً عنوانه «الرايات والأعلام»، ولكن الأستاذ غفل عن نقطة هامة تكاد أن تكون أساسية في الموضوع، وأقصد بها التلوين أو «ألوان» الأعلام، فلماذا لونت الأعلام هكذا؟ لا بد من سبب، هل لونت بشكل اعتباطي؟ أم مزاجي؟ أم بسبب معين؟.

ولكي أوضح، لا بد أن نأخذ مثالاً (علم **جيبوتي** مؤلف من مستطيل مقسّم إلى شبه منحرف في الأعلى، لونه أزرق ويقابله في الأسفل شبه منحرف أيضاً، ولونه أخضر إضافة إلى ذلك مثلث بجهة اليسار رأسه نحو الداخل ولونه أبيض وبداخله نجمة حمراء خماسية)، فالسؤال، لماذا اختير الشكل الهندسي شبه المنحرف؟ لماذا لوّن من الأعلى بالأزرق ومن الأسفل بالأخضر؟ لماذا كانت النجمة خماسية حمراء؟ لماذا لون المثلث باللون الأبيض؟ ألا يمكن أن تختار الدولة غير هذه الألوان؟ لماذا لم تستخدم اللون الأسود؟ وقيل إن اللون الأسود يدل على عهود الظلام والاحتلال، وجيبوتي دولة استقلت منذ سنوات قليلة، إذن ما الغاية وما السبب في اختيار الألوان والأشكال وترتيب الألوان؟.

مثال ثانٍ: علم دولة **البحرين** مؤلف من مستطيل استخدمت فيه اللونين الأحمر والأبيض ومثلثات متداخلة مع بعضها وعددها ثمانية؟. السؤال، لماذا اختير اللونان الأحمر والأبيض؟ ألا يجوز أن تختار الدولة اللون الأخضر مثلاً أو اللون الأصفر... إلخ؟.

لماذا كانت هناك مثلثات ثمانية متداخلة؟ ألا يجوز أن تكون المثلثات عشرة أو ستة؟! إذن لا بد من سبب لهذا.

فأرجو أن يتلافى الأستاذ هذا النسيان، في العدد (٧٦) من هذه المجلة كي يكون واضحاً لدى القارئ، أو بأعداد تالية.

وفي الختام، أوجه التحية لأسرة التحرير كافة، وأرجو أن لا تهمل

مناقشات و تعليقات

هذه الرسالة والإجابة بأقرب وقت ممكن . وشكراً .

القارئ الطالب
غسان الراوي
سورية ـ الميادين

● **المجلة** : بحث الكاتب عن الرايات والأعلام عني بالناحية التاريخية أكثر من النواحي الأخرى . . وموضوع الألوان قضية تكاد تكون موضوعاً طويلاً يصعب تحقيقه . . فلكل دولة فلسفتها في قضية الألوان . . مع تحياتنا .

الرايات والأعلام

قرأت **العدد الخامس والسبعين** من مجلتكم الزاهرة التي هي في الواقع مجموعة نوافذ يطلُّ كلٌ منها على باحة من باحات هذا العالم الفسيح من المعرفة ، وهي في نظري تلائم كافة الأذواق والأمزجة ، فما على (صاحب الذوق) إلا أن يفتح النافذة التي يريد أو يرغب فَيَغتَرِف أو يكتال . بل إنها تستجيب كذلك حتى هؤلاء الذين ليس لهم (مزاج) . . يكفيهم أن يجلسوا على كرسي هزاز ويراقبوا العالم من خلال زجاجها الشفيف .

أقول ، فتحتُ نوافذ العدد الخامس والسبعين بشغف ودون خوف أن تقتلعني الرياح من جذوري كما يقول **غاندي** ، **وعندما صرت أمام هذه النافذة « الرايات والأعلام ، تاريخها قديماً وحديثاً . .** للأستاذ **أحمد المكينسي** » رجوتُ أن أقف شيئاً من الوقت لأعقب على بعض ما قرأت . . وهذا التعقيب لا يغمط الكاتب الفاضل جهده المشكور في البحث والتقصي وإنما هو من باب التفاعل الخَيِّر والمشاركة الإنسانية في البناء وإظهار الحقيقة .

يقول الكاتب الفاضل : « أما حامل البيرق فيسمى **لغة** البيرقدار » .

أقول ليس في اللغة العربية كلمة بيرق ، فهذه اللفظة من الدخيل فلم ترد في **القاموس أو الصحاح** مثلاً وقد ذكرها أدي شير في « الألفاظ الفارسية المعربة » وقال : البيرق فارسي محض وهو العَلَم والراية وهو براق بالتركية والكردية . كما أن تركيب « بيرقدار » غير عربي أيضاً ، يقول **دوزي** في « **تكملة المعاجم** » : بيرقدار فارسية معناها حامل العَلَم . أما **معلوف** فيقول في « **المنجد** » إنها تركية .

وعندما يتعرض الكاتب الفاضل إلى تعريف **الطوطم** يذكر ما يلي : « والطوطم **وثن** يمثل حيواناً ذي صلة (كذا ، والصواب ذا صلة) بشخص معين أو بجماعة اثنية وثيقة العرق والأصل إلخ . . . » في الحقيقة إن تعريف الطوطم بالوثن فيه بعدٌ كبير عن الدِّقة العلمية . فليس الطوطم وثناً ولا علاقة له بالوثنية ، وإنما **الطوطم حيوان أو نبات على الأعم** الأغلب ، تعتقد القبائل البدائية بوجود علاقة دموية بينه وبينهم . فهو أبٌ للقبيلة أجمع وأنهم من نَسْله وهم يؤلفون وإياه وحدة اجتماعية كالأسرة الواحدة فلذلك لا يحلُّ لأيِّ فردٍ من أفراد العشيرة التي يكون طوطمها الذئب مثلاً أن يتزوج من هذه العشيرة بل عليه أن يتزوج من عشيرة أخرى تحمل اسم طوطم آخر . (انظر : الطوطمية ـ د. علي عبد الواحد وافي ، اسخيلوس وأثينا ـ تومبسون ص ١٧ ، الأساطير عند العرب ـ د. محمد عبد المعيد خان) .

ثم يقول الكاتب في الهامش رقم (١) : الطوطم : كلمة لعلّها جاءت من تَمائِم أو تميمات وهي جمع لكلمة (تميمة) وهي خرزة أو نحت صغير أو أي شيء منقوش أو غيره كان الأعراب يضعوه (كذا) على صدور أولادهم . . إلخ . . . » . أقول لا علاقة لهذه الكلمة بالعربية إطلاقاً **فهي** من لغة **الهنود الحمر** وبالذات السكان الأصليين لأمريكا الشمالية . وقد عرفها العالم عن طريق كتاب إنجليزي ألّفه **جون لانج** تحت عنوان « **أسفار ورحلات لترجمان هندي** » طبع في لندن سنة ١٧٩١ م ، حيث كان المؤلف يعمل ترجماناً في **شركة الهند** ذات الماضي الاستعماري المعروف . وتلفظ الكلمة هكذا « تُوتم Totem » ولكن عندما ترجمت إلى العربية من قبل **سلامة موسى وجرجي زيدان** قلبت التاء طاءً وهما في هذا سابقة في تراثنا التاريخي ، فقبائل **(الجات) الغجرية الهندية** التي سكنت بطائح العراق سماها المؤرخون العرب باسم (**الزط**) . أما التمائم فإنها تنضوي تحت عالم السحر ، فما دام أنها تستخدم دفعاً للأذى عن صاحبها أو لوقايته من الأمراض فإنها تمثل العصر البدائي للطب الذي بدأ أول ما بدأ بالسحر كما هو مشهور ومعروف . (انظر : علم الفولكلور ، كراب ، ص ٣٠٧) .

ثم جاء في الهامش رقم (٧) تعريف بالإمام علي عليه السلام ، فيه أنه (اغتيل من طرف خارجي كنيته أبو تراب سنة ٤٠ هـ) وهذا أمر يدعو إلى الاستغراب فـ (أبو تراب) كنية الإمام علي كنّاه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر تذكره أغلب كتب التاريخ ، وكانت أحب الكنى إليه ، أما الخارجي الغائل فكنيته (ابن ملجم) واسمه عبد الرحمن .

هذا ما وددت أن أعقب به توضيحاً لبعض ما جاء في هذا المقال القيّم ، وأرجو معذرة الكاتب الفاضل ، والسلام .

حسين علي الجبوري
كربلاء ـ العراق

مع الأصدقاء

المجلة في العراق

تحية طيبة أبعثها من أرض العراق إلى القطر العربي السعودي، أبعثها إلى مجلة «الفيصل» (الغراء) المجلة العربية بقيمتها الثقافية والعلمية التي تحث قارئها على المزيد من القراءة لكي ينعم بما كتب في هذه المجلة العظيمة ذات الأسلوب الرائع في التنسيق والتنظيم.

أنا شخصياً أقترح اقتراحاً يفيد كل قارئ عربي، لكي تستكمل المجلة أبوابها (وهي الآن كاملة ممتازة) وهو أن تضيف إلى صفحات المجلة الشيقة **صفحة «تسلية» أو «راحة القراء»** يكتب لها الطرائف والمسائل والكاريكاتير، والنوادر في الأقوال.. وغيرها.

وأحب أن أشير أن الكمية التي ترسل للعراق من «الفيصل» غير كافية لأنها تنفد بمجرد عرضها في المكتبات.. كما أنها تصل متأخرة.

نأمل زيادة الكمية المرسلة إلى العراق، والحرص على وصولها حين صدورها.

بشير رزيك نصار
هيت ـ العراق

● **المجلة**: نشكر للأخ بشير مشاعره الكريمة نحو المجلة.. سائلين الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والفائدة لبلادنا وأمتنا العربية والإسلامية.. ومع تقديرنا لاقتراحك الذي رددنا عليه كثيراً فإننا نرى أن مثل هذه الأبواب لها مجلاتها التي تهتم بتسلية القارئ.. وهو دور له قيمته.. ومع ذلك فإن اقتراحك يدرس على ضوء اقتراحات قراء المجلة.

أما بشأن الكمية المرسلة إلى العراق فنحن يسعدنا أن نتلقى طلب الزيادة من شركة التوزيع.. وهو مطلب عزيز علينا.. ونأمل أن يطالع المسؤولون في الشركة ملاحظتك.

ويعود السبب في تأخير وصول المجلة إلى العراق الشقيق، إلى ظروف الحرب التي يمر بها العراق.. نأمل أن تعود الحياة إلى طبيعتها لتصل المجلة إلى قرائها في العراق وقت صدورها.

اقتراحات قارئ

لقد أعجبني في مجلتكم أشياء كثيرة منها:

(١) تمسكها باللغة العربية ومحاولة التقدم بها بإحياء تراثها العتيد.

(٢) محاولة تقديم الجديد دائماً، بصورة تمكن الشباب مع اختلاف أعمارهم على قراءة ما تنشره المجلة...

(٣) صلاحية موضوعات المجلة لكل درجات الثقافة، فهناك موضوعات يستلزم على قارئها أن يكون ذا ثقافة عالية وأخرى على النقيض منها...

أما ما كنت أتمناه في هذه المجلة:

أ ـ أن تحاول جاهدة للتمسك بالمواضيع التي تخص ديننا الحنيف.

ب ـ محاولة تحويل المجلة من شهرية إلى أسبوعية.

جـ ـ تقديم أعمال شعراء الجاهلية من مثل: امرؤ القيس والمتنبي وعمرو بن كلثوم وغيرهم.

د ـ عدم نشر الأعمال التي هي دون المستوى الفكري والثقافي.

هـ ـ تخصيص باب لتقديم أصول الشعر والأدب حتى نستفيد منه نحن الشباب الذين لا نعرف كيف نكتب القصة أو القصيدة دون أن نقع في أخطاء لغوية أو وزنية.

عبد الحميد أحمد
محمد خضر
ـ المنصورة ـ
جمهورية مصر العربية

● **المجلة**: نشكر للأخ عبد الحميد ثناءه وإعجابه بالمجلة.. ونحن نسعى دائماً أن تكون المجلة طَبَقاً ثقافياً يناسب كل المستويات الثقافية بما يثري عقولهم ونفوسهم بالمفيد والنافع إن شاء الله.

ونحن في كل عدد ننشر دراسات إسلامية تناقش قضايا عصرية هامة مثل قضية التأمين، والاقتصاد الإسلامي، وحقوق الإنسان رجلاً وامرأة وعجوزاً وطفلاً في الإسلام، كما ننشر دراسات عن أبطال المسلمين، والأدب الإسلامي، ولا يخلو أي عدد من أعداد المجلة من الدراسات الإسلامية.

أما شعراء العرب سواء في الجاهلية أو صدر الإسلام وما تلاهما من عصور، فالمجلة تعنى بهم من خلال الدراسات التي تنشرها من حين لآخر بأسلوب ورؤية تمتزجان بروح العصر.. أما أعمال بعض هؤلاء الشعراء فهي موجودة في دواوينهم المنتشرة في كل مكتبات الوطن العربي.. ويستطيع القارئ الاطلاع عليها بسهولة ويسر.. ومع ذلك سوف ندرس موضوع اختيار قصيدة لكل شاعر في المستقبل.

أما فيما يختص بالفقرة (هـ) من رسالة الأخ عبد الحميد فيستطيع من خلال الدراسات العامة التي تنشرها المجلة أن يلم بما يريد من معلومات.. وللقارئ شكرنا مرة أخرى.



أخي المواطن :

التدخين سبب رئيسي لأمراض القلب وانسداد الشرايين



مع تحيات

سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية

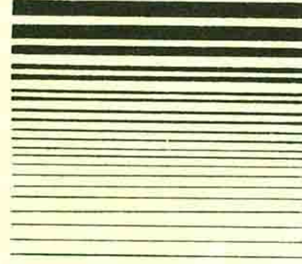
والشركات التابعة لها







مسابقة مجلة الفيصل



شـروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي.. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي:

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة.. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص. ب (٣) المسابقة).
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.

أجوبة مسابقة العدد (٧٤)

ج ١ مكتبة الأسكوريال: في غرناطة ـ إسبانيا، مكتبة الظاهرية: في دمشق ـ سورية، مكتبة الظواهرية: في الجامع الأزهر، القاهرة ـ مصر، مكتبة عارف حكمت: في المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

ج ٢ الشيخ الرئيس الحسين أبو علي ابن سينا.

ج ٣ أحمد أمين.

ج ٤ مرض أديسون: ينشأ عن إصابة قشرة الغدة الجاركُولية بالدرن، أو نتيجة لاضطرابات المناعة أو بالساركويد.. فيحدث نقصاً في إفراز الكورتيزون، وهبوطاً في ضغط الدم، وتغييراً في لون الجلد.

ج ٥ جزيرة فورموزا: في غرب المحيط الهادي، يفصلها عن الصين الشعبية مضيق فورموزا، وتسمى أيضاً «تايوان»، وعاصمتها «تايبيه».
جزيرة كورسيكا: جزيرة جبلية تقع في غرب البحر الأبيض المتوسط، تابعة لفرنسا.
جزيرة سردينيا: ثاني أكبر جزيرة ـ بعد صقلية، تابعة لإيطاليا ـ يفصلها عن كورسيكا الفرنسية مضيق بونيفاسيو.
جزيرة غرينلاند: أكبر جزيرة في العالم، تقع في شمال دائرة القطب الشمالي، وهي تابعة للدانمرك، تتبع سياسياً أوروبا، لكنها جيولوجياً تعتبر جزءاً من كندا.

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٨١)

الاسم: ------------------------

المهنة: ------------------------

العنوان: ------------------------

السؤال الأول :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ كتاب الفلك الدائر على المثل السائر ـ كتاب مجمع الأمثال ـ كتاب المستقصى في الأمثال .

السؤال الثاني :

كم مرة تدور فيها الأرض حول نفسها خلال ٢٤ ساعة . . وكم مرة تدور حول الشمس كل ٣٦٥ يوماً ؟

السؤال الثالث :

اذكر أسماء أربع أوبرات لحنها الموسيقار النمساوي المشهور « موتسارت » ، مع ذكر أسماء الشعراء الذين كتبوا نصوصها ؟

السؤال الرابع :

كان وزيراً وأديباً ، ولد حوالي عام ٣٠٠ هـ ، برع في علوم كثيرة كالهندسة ، والمنطق ، وعلوم الفلسفة ، والإلهيات ، والطبيعة ، والتصوير ، واسع الرواية لأشعار العرب وأخبارهم . . كان إماماً في الكتابة . . وله شعر حسن . . كان لقبه « أبو الفضل » . . تخرج على يديه عدد من أساطين السياسة والأدب مثل « عضد الدولة » الحاكم البويهي الذي أطلق عليه لقب « الأستاذ الرئيس » . . كما تتلمذ على يديه « الصاحب ابن عباد » ، والوزير « أبو الفتح » . . وقد كان وزيراً لركن الدولة البويهي . . وقد مدحه عدد من الشعراء ومنهم المتنبي الذي امتدحه بقصيدة مطلعها :

باد هواك صبرت أو لم تصبر
وبكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

لم يكن على وفاق مع أبي حيان التوحيدي الذي ألف فيه وفي تلميذه الصاحب ابن عباد كتاب « مثالب الوزيرين » ملاء بالطعن وإظهار العيوب .

كما لقب بالجاحظ الثاني . . أو الجاحظ الأخير . . وقيل إن الكتابة بدأت بعبد الحميد ، وختمت به . . أسس مكتبة وجعل ابن مسكويه المؤرخ المعروف خازناً لها . . توفي عام ٣٦٠ هـ ، في رواية ، وعام ٣٥٩ هـ ، في رواية أخرى . . اذكر اسم هذا .

السؤال الخامس :

ما عمل الغدة الدرقية THYROID GLAND في جسم الإنسان ؟

نتائج مسابقة العدد (٧٤)

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخ **يوسف جابر عبد الرضا** ، البصرة ـ العراق ، مكتب بريد الجمهورية .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخ **محمود صالح أدهم** ، بمستشفى الدكتور محمد فخري ، الخبر ـ المملكة العربية السعودية .

● وفازت **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخت **صباح محمود محمد** ، صويلح ـ الأردن .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من السودان ـ الخرطوم ، رئاسة وزارة الشؤون الداخلية ، مكتب التلكس ، ص . ب ٢٧٩٣ ، الأخ يوسف أحمد حسن آدم .

● من الأردن ـ عمان ، الأخت جازية راشد عبد الله عودة .

● من مصر ـ القاهرة ، شبرا ، الأخت ثريا محمد عبد الله .

● من موريتانيا ـ نواكشوط ، المدرسة الوطنية للإدارة ، ص . ب ١٢٥٢ ، الأخ محمدين محمد لقمان .

● من المملكة العربية السعودية ـ الرياض ، إطفاء المطار ، الأخ عبد العزيز محمد الجاسر .

● من الهند ، ١٧٠٩ رود جران ، لال كنوان ، دهلي « دلهي » ١١٠٠٠٦ ، الأخ سيد نثار علي .

● من السودان ـ الخرطوم ، امتداد الدرجة الثالثة ، مربع ٩ ، منزل رقم ٤٢ (الغرابة) ، الأخ محمود أحمد إدريس .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب ـ ضبيشي ، درب الجامع ، رقم ٧٠ مكرر ، مراكش ، الأخ عبد النبي بن الجيلالي لمعيني .

● من اليمن ـ صنعاء ، ص . ب ٢٨٨١ ، الأخ حسين صالح حيدر الحرازي .

● من الكويت ، بريد الصفاة ، قسم الفرز ، الأخ نهاد كامل هنداوي .

● من قطر ـ الدوحة ، ص . ب ٢٧١٣ ، الأخ أحمد علي إسماعيل .

● من المملكة العربية السعودية ـ رابغ ، حي القلة ، الأخ عبد القادر كرامة الله نعمت الله ، إمام وخطيب جامع الإمام السنوسي .

● من المغرب ، طريق ابن أحمد ، أمام باب ثانوية ابن عباد رقم ٧٦ ، سطات ، الأخ المقيس حسن بن محمد .

● من مصر ، البدالة ، مركز المنصورة ، الأخت شكرية محمد خضر .

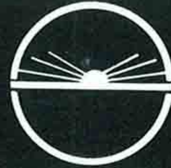
● من المملكة العربية السعودية ، مدرسة رغبة ، بلدة رغبة (المحمل) ، الأخ عبد الرحمن محمد عبد الله الصالح .

● من تونس ، المدرسة الثانوية المهنية بالوردانين ، ٥٠١٠ الوردانين ، الأخ عبد الرحمن بن عمر الجمالي .

● من لبنان ، حارة حريك شارع عبد النور ، ص . ب ١٧٠٦١ ، بيروت ، الأخ محمد خالد العطار .



كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

مصرع الداروانية

دراسة من إعداد **محمد علي يوسف** اشتملت على نقد علمي للنظرية الداروانية حيث تناول المؤلف بكل موضوعية مقومات النظرية وحججها وما أضافته من وزن لنظريات الملاحدة. والمؤلف لا يتصدى فقط للنظرية وإنما يرسم النهج السليم لمجابهة مثل هذه النظريات وضرورة قيامه على تصور صحيح. صدر الكتاب عن **دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة**، ويقع في (٢١٦) صفحة من الحجم المتوسط.

الحياة الأدبية في العصر الإسلامي

دراسة حول الحركة الأدبية في العصر الإسلامي، أعدها **الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان**، وقد تناول فيها دور الإسلام الواضح في إثراء الحياة الدينية والاجتماعية والأدبية والفكرية عند العرب، حيث كان للقرآن الكريم والحديث الشريف أثرهما في ازدهار النثر الأدبي والشعر، وقد قدم المؤلف نماذج من شعر تلك الفترة. يقع الكتاب في (٢٤٨) صفحة من الحجم المتوسط، أصدرته **دار الرسالة للطباعة**.

الشنفرى.. شاعر الصحراء

من تأليف **الدكتور محمود حسن أبو ناجي**، وهي الطبعة الثانية من كتابه الذي تناول فيه **سيرة الشاعر الشنفرى** وموضوعات وخصائص شعره. وتأتي هذه الطبعة منقحة وتحوي زيادات وشروحاً مستفيضة وفهارس عامة للأعلام والأبيات الواردة بالكتاب. يقع في (١٩٢) صفحة من الحجم المتوسط، أصدرته **مؤسسة علوم القرآن بدمشق**.

موعد مع الشجاعة

بأسلوب شيق يأخذك الأستاذ **قدري قلعجي** عبر حياة المغفور له **الملك عبد العزيز آل سعود** الحافلة بالأحداث والبطولات والإصلاحات، حيث يعكس الكتاب صورة مشرقة لأهم مرحلة في تاريخ المملكة العربية السعودية حيث أرسيت فيها قواعد الاستقرار وتهيأت منها انطلاقة التقدم والرقي. صدر الكتاب عن **دار الكاتب العربي**، ويقع في (٣٢٠) صفحة من الحجم الكبير.

فيصل.. والبعث الجديد

من تأليف الأستاذ **قدري قلعجي** رقم «٣» ضمن سلسلة «**التاريخ السعودي الميسر**»، وقد تناول فيه سيرة البطل الشهيد **الملك فيصل بن عبد العزيز**، مستعرضاً فيه منجزات المملكة في عهده، وما حققته سياسته الحكيمة من مواقف رائدة على الساحة العربية والعالمية. صدر الكتاب عن **دار الكاتب العربي**، ويقع في (٣٤٤) صفحة من الحجم الكبير.

مسيرة الإيمان

من تأليف الأستاذ **قدري قلعجي**، ويعتبر رقم (١) من سلسلة «**التاريخ السعودي الميسر**». قدم المؤلف من خلاله، وبأسلوبه عرضاً شيقاً لفترة من تاريخ المملكة حافلة بالأحداث والبطولات المدعومة بقوة الإيمان، في عهد **الإمام محمد بن عبد الوهاب** والأسرة السعودية العريقة. صدر الكتاب **عن دار الكاتب العربي في بيروت**، ويقع في (٣٢٢) صفحة من الحجم الكبير.

رشات

مجموعة مقالات للكاتب **مساعد بن سعدون أبو غازي**، شملت مقابلات صحفية مع بعض الزعماء والمسؤولين بدول مجلس التعاون الخليجي بالإضافة لمقتطفات شتى في موضوعات متفرقة. يقع الكتاب في (٢٠٢) من الصفحات من الحجم المتوسط، وقد صدر **في البحرين**.

الدين والبناء العائلي دراسة في علم الاجتماع العائلي

أعدها **الدكتور نبيل محمد توفيق السمالوطي**، تناول فيها النظم الاجتماعية السائدة، وبيان العلاقة القائمة بين نظام الأسرة والدين والقيم، مختتماً الدراسة بعرض لدور الشريعة الإسلامية في دقة تنظيم الأسرة. الكتاب أصدرته **دار الشروق بجدة**، ويقع في (٢٢٤) صفحة من الحجم المتوسط.

عدس أبي العلاء

مجموعة قصصية للأستاذ **عبد الرحمن النابلسي** تضم إحدى عشرة قصة قصيرة حول نماذج مختلفة من الحياة اليومية والواقع المعاش. تقع المجموعة في (١٥٢) صفحة من الحجم الصغير، إصدار **مطبعة الكاتب العربي بدمشق - سورية**.

